كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

في رحاب النبيّ مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته الطيبين الطاهرين

دراسة دينية أدبية

دراسة وشرح

أ.د. المتمرس
عبد اللطيف حمودي الطائي

الطبعة الاولى
2024

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٢٣٩

ط ٢٩٩ الطائي، عبد اللطيف حمودي.

في رحاب النبي محمد وال بيته الطيبين الطاهرين/

عبد اللطيف حمودي الطائي . - ط١.- بغداد:

مطبعة كلية الكوت الجامعة ، ٢٠٢٤م

٢٢٠ص؛ ٢٤ سم

١. السيرة النبوية أ. العنوان

رقم الإيداع

٥٦٣ / ٢٠٢٤

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٥٦٣ لسنة ٢٠٢٤م

ISBN: 978-9922-685-74-8

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

Al-Kut University College Printing Press

مطبعة كلية الكوت الجامعة

الإهداء :

الى .. سيدي ومولاي رسول الله محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

{إنَّما يريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكمُ الرّجسَ أهلَ البيتِ ويطهرُكُم تطهيرًا}

سورة الأحزاب الآية : ٣٣

المقدمة

رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هو خاتمُ الأنبياء والمرسلين، وشريعته هي خاتمة الشرائع السماوية ، والإسلام الذي جاء به من عند الله، هو خير الأديان وخاتمها ، فقد قال سبحانه وتعالى [1] : {اليوم اكملتُ لكم دينكم ، وأتممتُ عليكم نعمتي ، ورضيتُ لكم الإسلام دينَا} ، وقال تعالى[2] {ومن يبتغي غير الإسلام دينًا فلن يقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين}، وهذا يعني من خلال التبليغ بالآية الكريمة السابقة ، أنَّهُ لا دين بعد الإسلام ، ولن يقبل الله من عباده دينًا غير الإسلام من بعد مبعث محمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأما أهلُ البيتٍ الكرام الطيبون الطاهرون، فهم امتداد طبيعي للنبي، وهم عدل القرآن الكريم بنص الحديث النبوي الشريف ، إذ قال رسول الله محمّد (صلى الله عليه واله وسلم): (إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إنْ تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي أهلِ بيتي)، من هذا المنطلق الكريم أحببتُ أن أشارك في احياء تراث النبي محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين من خلال المشاركة في كتابة بحوث تصب في إحياء ذكرهم ، فكتبت ثمانية بحوث، أولها عن رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) طلبا للشفاعة والبركة ، فضلا عن كتابتي بحثين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وصي رسول الله ، فيما كتبت بحثين اثنين عن البضعة الطاهرة، السيدة فاطمة الزهراء البتول عليها السلام ، فضلًا عن بحثين آخرين كتبتهما عن الإمام السبط الحسن المجتبى عليه السلام ، وختمت البحوث ببحث كتبته عن شبل الإمام الحُسين عليُّ الأكبر عليهما السلام ، والبحوث هي كما يأتي :

---

[1] - سورة المائدة الآية : ٣

[2] - سورة أل عمران الآية : ٨٥

١- خطبةُ الوداع امتدادٌ طبيعي للقرآن الكريم .

٢- الإمامُ علي بن أبي طالب (عليه السلام) : مبتكرُ علم النحو والنقد .

٣- الشعرُ شاهدُ صدقٍ على بيعة الغدير .

٤- السيدةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام) : سيرتها وألقابها وكناها .

٥- السيدةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعضلة فدك .

٦- أثرُ القرآن الكريم في النص الخطابي للإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) .

٧- صلحُ الإمام الحسن (عليه السلام) : أسبابه ومبرراته ونتائجه .

٨- عليُّ الأكبر بن الإمام الحسين (عليهما السلام) : قدوة مثالية للشباب المسلم .

فقد بذلتُ في كتابة هذه البحوث جهودًا كبيرة ومضنية ، وسهرت ليالٍ طوالٍ ، وكان الهدف من كتابتها المشاركة في احياء تراث أهل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام أولا ، فضلا عن رضا رسول الله وأهل بيته، ليكونوا لي شفعاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فأرجو من الله التوفيق والسداد لما كتبه ، واتمنى أن ينال رضا القراء الكرام ، وفي الختام أقول : الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا ، وما كنا أن نهتديَ لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أكرم خلق الله رسول الله محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين .

أ.د.المتمرس عبداللطيف حمودي الطائي

كلية الكوت الجامعة

٢٠٢٤/١/٥

الفصل الأول

خطبةُ الوداع امتدادٌ طبيعي للقرآن الكريم

بعد تمام نزولُ القرآن الكريم على رسولِ الله محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ونزول الآية الكريمة المباركة[١] : {اليومَ أكملتُ لكُم دينكُم، وأتممتُ عليكُم نعمتي ، ورضِيتُ لكُم الإسلامَ ديناً} ، تنبأ النبيُّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّ رحلةَ عمرهِ الشريف قد شارفتْ على نهايتها ، لذلك كان يقولُ للمسلمين[٢] : (أيُّها الناسُ إنَّهُ يوشكُ أنْ يُدعى فيُجيب) ، وكان يخاطب المسلمين فيقول[٣] : (إنَّ جبرئيلَ كان يُعارضُني بالقرآنِ في كلِّ سنةٍ مرَّةٍ ، وأنَّهُ عارضني هذا العام مرَّتين ، وما أراهُ إلا قد حضر أجلي) ، وهو لمّا يحجُّ بعد ، وما أنْ حلَّ موسمَ الحجِّ ، حتى أعلن أنَّهُ عزمَ على الذهاب الى الحجَّ في هذه السنة ، وهي السنة العاشرة من الهجرة ، ذلك لأنَّ الحجَّ ركنٌ من أركان الإسلام الرئيسة ، وفرضٌ على من يستطيع أداءِ مناسكه ، وقادرٌ عليها ماديًّا وبدنيًّا ، وطبقًا لذلك ، فقد ذهب النبيُ الى الحجِّ لإرساء قواعد الحجِّ ، ليكون حجُّ المسلمين مثلما يحجُّ، لأنَّ الحجَّ سُنَّةٌ من سُنن الإسلام ، وفي الحجِّ القى خطبتهُ المشهورة ((خطبة الوداع)) وفيها ودَّعَ المسلمين والمسلمات والأمَّة الإسلاميّة عامةً، ورسم لهم في هذه الخطبة دستورًا ، إنْ ساروا على منهجهِ وهُداه ، فهُم على السراطٍ المستقيمِ ، وإنْ خالفوهُ ، وابتعدوا عن النهج السَّوي ، وفي الحالينِ حسابٌ وعطاءٌ وعقابٌ .

ولمّا وصل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الى عرفة ، وجدَ القُبَّةُ قد ضُربتْ لهُ بنَمِرَة ، فنزلَ بها حتى إذا زاغتْ الشمسُ ، أمرَ بقصواءَ وهي ناقتُهُ ، فَرُحِلتْ له فأُتى بطنَّ الوادي ، فخطبَ بالناسِ قائلًا [٤] :

(الحمدُ للهِ ، نحمدّهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتوبُ إليهِ ، ونعوذُ من شرورِ أنفسنا ، ومن سيئاتِ أعمالنا ؛ منْ يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ ؛ ومنْ

يضلل فلا هاديَ له ، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولهُ ، أوصيكم عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ ، وأحثّكُم على طاعتهِ ، واستفتحُ بالذي هو خير .

أما بعدُ ؛ أيُّها الناس : اسمعوا مني أبينُ لكم ، فإنّي لا أدري ، لعلّي لا ألقاكم بعدَ عامي في موقفي هذا .

أيّها الناس : إنَّ دماءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكم إلى أنْ تلقَوْا ربّكم ، كحرمةِ يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .

ألا هلْ بلّغتْ ؟ اللهم اشهد .

فمنْ كانتْ عندهُ أمانة فلْيؤودها الى الذي إئتمنهُ عليها ، وإنَّ ربّا الجاهليةِ موضوعٌ ، وأولَ ربًّا أبدأُ به ربّا عمّيَ العباس بن عبدالمطلب ـ وأنَّ دماءَ الجاهلية موضوعةٌ ، وأولُ دمٍ نبدأُ دمُ عامر بن الحارث بن عبدالمطلب(٥) ، وأنَّ مآثر الجاهلية موضوعةٌ ، غير السّدانةِ والسقاية ، والعمدُ قودٌ ، وشبهُ العمدِ ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مئة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيّها الناس : إنَّ الشيطانَ قد يئسَ أنْ يُعبدَ في أرضكم هذهِ ، ولكنَّهُ قد رضيَ أنْ يطاعَ فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيّها الناس : إنَّ النّسيَ زيادةٌ في الكفرِ يضلُّ بهِ الذين كفروا ، يحلونهُ عاماً ويحرمّونهُ عامًا ليواطئوا عِدّة ما حرَّمَ الله ، فيحلُّوا ما حرّمَ الله ، إنَّ الزمانَ قد استدار كهيئتهِ يوم خلق الله السّمواتِ والأرض ، وإنَّ عدة الشّهور عند الله اثني عشر شهرًا في كتاب الله يومَ خلق السَّمواتِ والأرض ـ منها أربعة حُرُمٌ ثلاثة متواليات ، وواحدٌ فردٌ ، ذو القِعدة وذو الحِجة والمحرم ، ورجبٌ الذي بين جمادى وشعبان .

ألا هلْ بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيّها الناس : إنَّ لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حقٌّ ، لكم عليهنَّ ألا يوطئنَ فُرُشكم غيرَكم ، ولا يدخلنَّ أحدًا تكرهونهُ بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة مبيّنة ، فإنْ فعلنَ فإنَّ الله قد أذنَ لكم أنْ تعضلوهنَّ وتهجروهنَّ في المضاجع ، واضربوهنَّ ضربًا غيرَ مبرّحٍ ، فإنْ انتهينَ واطعنكم فعليكم رزقهُنَّ وكسونهنَّ بالمعروف ، وإنَّما النساءُ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهُنَّ شيئًا ؛ أخذتموهنَ بأمانةِ الله ، واستحللتُم فرُجهنَّ بكلمةِ الله ، فاتقوا الله في النساء فاستوصوا بهنَّ خيرًا .

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيّها الناس إنَّما المؤمنون أخوةٌ ؛ ولا يحلُّ لامرئٍ مسلمٍ مالَ أخيه إلا عن طيبِ نفس منه .

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

فلا ترجُعنَّ بعدي كفارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعضٍ ، فإنَّي قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلّوا بعدهُ ، كتاب الله ، وعترتي أهلَ بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيَّها الناس : إنَّ ربكم واحدٌ ، وإنَّ أباكم واحدٌ ، وكلكم لآدمَ وآدمَ من ترابٍ ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وإنَّ الله عليمٌ خبيرٌ ، وليس لعربيٍّ على عجميٍّ فضلٌ إلا بالتقوى .

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

قالوا : نعم

قال : فليبلغ الشّاهدُ الغائبَ .

أيَّها الناس : إنَّ الله قسم لكلِّ وارثٍ نصيبهُ من الميراثِ ؛ فلا تجوزُ وصيّةُ الوارثِ ، ولا تجوزُ وصيّةٌ في أكثرِ من الثُّلث ، والولدُ للفراشِ ، وللعاهر الحجر ، منِ ادّعى الى غيرِ أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليهِ لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ .

والسّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته) .

وبعد أنْ أكمل خطبته المباركة، أذنَ لصلاةِ الظُهرِ فصلى بالحجيج.

القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الشريفة رُكنا الإسلام الأساسين، فالسُنّةُ النبوية هي امتدادٌ للقران الكريم، توضحُ للمسلمين ما استغلق فهمه عليهم من آيات القرآن الكريم في الفروض ، والواجبات ، والطاعات ، وكان النبيُ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حريصاً على أنْ يوضح لهم كلَّ شيءٍ حتى يكونوا على بينة واضحةٍ من أمرهم ، وكانت خطبة الوداع خاتمةً التشريع ، فهل التزم المسلمون بهذا التشريع ؟

سنقفُ على الخطبة فقرة بعد فقرة لمعرفة ما أرادَ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أنْ يوصله للمسلمين المؤمنين :

الفقرة الأولى من الخطبة ، قال فيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) : (الحمدُ للهِ ؛ نحمدّهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتوبُ إليهِ ، ونعوذُ من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا ، منْ يهدِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ ، ومنْ يضلل فلا هاديَ له، أشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وحدهُ لا شريكَ لهُ ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ، أوصيكم عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ ، وأحثكم على طاعتهِ ، واستفتحُ بالذي هو خير) .

يُبينُ رسول الله صلّى الله عليه وآله للمسلمين بوجوب حمد الله على ما أعطى وأنعمَ وأجزلَ ، ثُمَّ الإستعانةِ به ، مع وجوب الاستغفار ، لأنَّ الاستغفار تحصينٌ للّنفس من الشيطان فضلًا عن التوبة عمَّا يصدر عن

النّفس من أعمال لا يرضاها الله للعبد المسلم، والاستعاذة من الشرّ بكلِّ أشكاله وأنواعه، لأنَّهُ من عمل النّفس الأمارة بالسوء[٦] ، {إنَّ النَّفسَ لأمارة بالسوء} فضلاً عن الاستعاذة بالله من سيئات الأعمال ، فالإنسانُ بين خيارين لا ثالث لهما: إما الهداية وإما الضلالة ، وهاتان الحالتان تحددهما أعمال الانسان نفسه ، فمن حَسُنتْ أعماله فإنَّ الله سيهديه الى سراطٍ مستقيمٍ ، حينئذٍ لا يستطيع كائن من كان أنْ يضلَّهُ عن الصواب ، لأنَّ اللهَ هو الذي هداهُ، فقال[٧]: {فإنَّ الله يضِلُّ من يشاء، ويهدي من يشاء}، وأما من غوى وعصا وقادته نفسه الأمارة بالسوء الى المعصية ، فقد ضلَّ ضلالًا كبيرًا، فقال تعالى[٨] : {من يضللْ اللهُ فما له من هادٍ}، أي لا يوجد من بعد الله من يهديه الى السراط السويّ ، وبعد ذلك تشهَّدَ الشهادتين، وأمر الناس بالتقوى، لأنَّ التقوى هي أعلى درجات الطاعة والتقرب الى الله. ثُمّ أخبرهم بقرب أجله المحتوم، وقد لا يراهم بعد هذا العام.

الفقرة الثانية : أيّها الناس : إنَّ َدماءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكم إلى أنْ تلقوا ربّكم ، كحرمةِ يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .

ألا هلْ بلّغتْ ؟ اللهم اشهد .

أراد رسول الله في هذه الفقرة تحريم الخوض في الدماء ، وقتل الأبرياء بلا ذنبٍ ، فإنَّ الله حرم قتل النفس بلا ذنبٍ ولا جريرةٍ فقال عزَّ من قائل[٩] : { ولا تقتلوا النَّفسَ التي حرم الله إلا بالحقّ } والقتل هو إراقة الدماء ، وقال تعالى[١٠]: { ولا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم رحيمًا }، وقتل أنفسكم بلا سببٍ أو لسببٍ لا قيمة له ، ذلك لأنَّ النبي محمّدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم قال [١١]: (لزوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتِل رجلٍ مسلمٍ) ، وبالمحصلة النهائية إنَّ اراقة دمُ المسلم بغير حقٍّ يعدُّ من كبائر الذنوب[١٢]، فدمُ المسلمِ محرّمٌ مثل حرمة : يوم النحرِ ، وشهر الحجّ (شهر ذي الحجّة)، ومَكّة المُكّرمة ، ثُمَّ أشهد الله عليهم أنَّهُ بلغهم ما أمر الله به ، وهم بعد ذلك كلٌّ مسؤول عن نفسه .

الفقرة الثالثة : فمنْ كانتْ عندهُ أمانة فليؤودِّها الى الذي إئتمنهُ عليها، وإنَّ ربا الجاهليةِ موضوعٌ ، وأولَ رباً أبدأُ به ربا عمّيَ العباس بن عبدالمطلب، وأنَّ دماءَ الجاهلية موضوعةٌ ، وأولُ دمٍ نبدأُ به دمُ عامر بن الحارث بن عبدالمطلب، وأنَّ مآثر الجاهلية موضوعةُ ، غير السّدانةِ والسقاية، والعمدُ قودٌ ، وشبهُ العمدِ ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مئة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

هذه الفقرة تتكون من خمسةِ محاورٍ هي على النحوَ الآتي :

أولاً : محور الأمانة

الأمانة من أبرز صفات المسلم الحقّ ، وهي نقيضُ الخيانة ، ونقيضُ الغُشَّ ، وفاعل الأمانة هو الأمين ، والأمين صفةٌ من صفاتِ رسولِ الله محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهو الصادق الأمين ، والأمانة بصورة عامة تعني تبادل الثقّة بين الناس ، لكي يشعر الناس بالأمن والأمان ، والأمانةُ عند الله شيءٌ عظيم ، لا يستطيع أنْ ينهضَ بمسؤوليتها كُلُّ انسانٍ ، لذلك كانت الأمانة من أبرز صفات المسلم الحقّ ، فالأمانة مسؤولية كُبرى يعجز كثير من الناس من تحمّلها لجهلهم بها ، وضُعفِ ايمانهم ، ومرض نفوسهم ، وموت ضمائرهم ، فالله سبحانه وتعالى يصف ثقل الأمانة وصعوبة تحملها بقوله [١٣]: { إنا عرضنا الأمانةَ على السمواتِ والارضِ والجبالِ ، فأبينّ أنْ يحملنَها ، وأشفقنَ منها، وحملها الإنسانُ إنَّهُ كان ظلومًا جهولًا } ، والأمانة كما قلت هي تبادل الثقة بين الناس ليعيش المجتمع عيشة هانئة مريحة لذلك قال تعالى [١٤] : {فإنْ أمِنَ بعضكم بعضًا فليؤدِّ الذي أوتمنَ أمانته } ، أي إذا وثقَ بعضكم ببعضٍ وتبادلتم الثقة فيما بينكم، على الذي أُودعتْ عنده الأمانة أنْ يعيدها الى صاحبها الذي أتمنهُ عليها، ولما كان هناك ضِعاف النفوس المريضة من أصحاب الضمائرالميّتة، ممّن طمعوا بالأمانة ، وأنكروها ورفضوا إعادتها لأصحابها، واللهُ سبحانه وتعالى يأمر المُؤتمن أنْ يعيد الأمانة الى أهلها

فقال [١٥]: {إنَّ اللهَ يأمرُكم أن تؤدُّوا الأمانات الى أهلها} ، وعدَّ الله سبحانه وتعالى من انكر الأمانة خائناً ، وجعل خيانة الأمانة صنوًا لخيانة الله ورسوله فقال [١٦]: { يا أيُّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} ، جعل الله الأمانة من الصفات المحببة عندهُ للمسلم فقال [١٧]: {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون} ، أي محافظون ، وأنَّ هؤلاء هم المكرمون عند الله .

ثانياً : محور الرِّبّا

الربّا هو أكل اموال الناس بالباطل بغيرِ وجهِ حقٍّ ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى أموال الربّا بالسُحت الحرام ، والربّا هو الربح الفاحش الذي يتعاطاه المُرابي ، والربّا كان سببًا في إملاقِ العوائل الفقيرة وضياع أبنائها بسبب جشع المرابين ، وربّما يؤدّي الربّا بالإنسان العاجز عن التسديد الى العبودية ، فيصبح سلعة تُباع وتُشرى ، إذْ كانت الجاهلية تعدُّ الربّا مثل البيع ، ومن هذا المنطلق حرم الله الربّا فقال [١٨]: {الذينَ يأكلونَ الرّبوا لا يقومونَ الا كما يقومُ الذي يتخبطهُ الشيطانُ من المسِّ ، ذلكَ لأنّهم قالوا إنَّما البيعُ مثل الرّبوا ، وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرمَ الرّبّا} ، هؤلاء المرابون الذين يأكلون الرّبّا هم مثل المجانين الذين تخبَّطهم الشيطانُ بالمسّ ، لأنَّهم قالوا : الربّا نوعٌ من البيع ، لكنَّ الحقيقة تتطلب أنْ يكونَ الربحَ في البيعِ لا يثقلُ كاهل المشتري لأنَّهُ ربحٌ يسيرٌ ، فيما يكون الربحُ في الربّا ربحًا فاحشًا ، فقال تعالى [١٩]: {يمحقُ اللهُ الربّا ، ويربي الصدقات} ، أي انَّ الله سبحانه وتعالى يطرح في الصدقات الخير والبركة، فيما لا يبارك الربّا فيجعله مذمومًا لا خيرَ فيه ، وتكون نتائجه وخيمة ، لذلك حرم الله الربّا وأحلَّ البيع ، ثم يعود الله ليحذر المؤمنين من الاستمرار في تعاطي الربّا إنْ كانوا مؤمنين فيقول [٢٠] : {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربّا أضعافاً مضاعفةً} ، ولكن الجشع والطمع يمنع المرابين من ذلك فخاطبهم الله مرة ثالثةً بصيغة جديدة ، قال فيها [٢١] : {أتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربّا إنْ

كنتم مؤمنين} ، التقوى هي الخوف من الله سبحانه وتعالى ، فإنْ كنتم تخافون الله ، اتركوا العمل بالربا إذا كنتم مسلمين حقًّا، والله يؤكد أنَّ المرابين قد نهاهم عن أخذ الربّا ، ولم يمتثلوا لأمرهِ ، وأكلوا أموال الناس بغير حقٍّ فقال (٢٢) : {وأكلهم الربّا وقد نهو عنه وأكلهم أموالَ الناسِ بالباطل} ، وخاطب الله المرابين في قوله (٢٣) : {وما أوتيتم من ربّاً ليربوا في أموالِ الناس ، فلا يربوا عند الله} ، اي مهما أخذتهم من أموال الناس في الربّا ، فإنَّها أموالٌ مذمومةٌ غير مباركة ، لا قيمةَ لها عند الله ، وهي سحتٌ حرامٌ ، لمّا كان العبّاس بن عبدالمطلب عمُّ النبي من كبار مرابي مكّة ، ولم يتخلَ عن مهنة الربّا ، والعمل بها إلا بعد حجّة الوداع ، أسقطَ النبيُ ديون العباس التي كانت بذمة الناس التي كان يتقاضاها عن الربّا ، وذلك تخفيفًا عن كاهل المسلمين الضعفاء الذين لا يستطيعون السداد .

المحور الثالث : دماء الجاهلية

في الجاهلية كانت القبائل العربية تسكنُ الصحراءِ والفيافي والقفار التي شُحَّ ماءُها وقلَّ عُشبُها ، وهي قبائل بدوية رعوية تتنقل من مكانٍ الى آخرٍ طلباً للماءِ والكلأ ، وبموجب ذلك تحدث بينها مصادماتٍ وأيامٍ يقعَ فيها كثيرٌ من القتلى والجرحى ، ويحدثُ فيها سلبٌ ونهبٌ وأسرٌ ، ومن أجل ذلك كانت القبائل العربية كلها موتورة ، قاتلة ومقتولة ، مطلوبةً للثأرِ وطالبةً له ، وهذا ما ولد بينهم الشحناء والبغضاء ، وزرع في نفوسهم الأضغان والأحقاد ، ومن أجل تنقية تلك الأجواء ، بعث اللهُ محمدًا هاديًا لهم لينقذهم من الضلالِ ويخرجهم من الظلماتِ الى النورِ ، ولكن يبقى الثأرُ وطلب الثأر ، هو المعضلة الكبرى التي كانت تنغِصُّ حياة الناس وتقضُّ مضاجعهم فلا يشعرون بأمن والأمان ، لذلك في خطبة الوداع أسقط النبيُ صلّى الله عليه وآله وسلَم دماءَ الجاهلية وعدَّها موضوعة ، وأنَّ أولَ تلك الدماء الموضوعة ، هو دمُ ابن عمِّهِ عامر بن الحارث بن

عبدالمطلب الذي قُتِلَ في الجاهلية ، لكي تدور الحياة بعجلةٍ جديدة ، ويأمنُ المسلمين بعضهم بعضاً .

المحور الرابع : مآثر الجاهلية

لا تخلو الجاهلية من مآثر ، ومعظم تلك المآثر هي أعرافٌ وتقاليدٌ ، ورثها بعضُهم عن بعضٍ ، وكثيرٌ منها مُكرسٌ لخدمة القوي على حساب الضعيف ، وذلك لاستمرار سيادة الأغنياء على الفقراء ، وبالمحصلة النهائية يكون الفقراء هم الضحية ، ولاسيّما طبقة العبيد والإماء ، ولمّا أشرقت شمس الإسلام ، وساوى الإسلام بين القويّ والضعيف ، والحرُّ والعبد ، أبَى أصحابُ النفوس المريضة ، والضمائر الميتة قبول ذلك وقاوموه بشدة ، واستمر الصراع الى يوم خطبة الوداع فأسقط النبيُ صلّى الله عليه وآله وسلّم المآثر السلبية التي تضرُّ الناسَ وتهدم المجتمع ، ولم يبقِ إلا على ما كان منها ايجابيًا ، ولم يجدْ غير السدانةِ والسقايةِ فأبقاهما ، فالسدانة تمثلُ رعاية بيت الله الحرام وخدمته وصيانته ، وأما السقاية فتعني تقديم المياه للحجيج ، والشيءُ بالشيءِ يُذكر فقد كان عبدالمطلب جدُّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ، وربما يخلط الماء باللبن أو العسل ويسقي به ضيوف الرحمن (٢٤) .

المحور الخامس : القتل العمد وغير العمد

دمُ المسلم له حرمةٌ عند الله ، فقاتل المسلم متعمّدًا عليه أنْ يدفع الديّة صاغراً ، والديّةُ هي ما يدفعُ من المال إلى أهل المقتول إنْ قبلوا الديّة ، وتدفع من خالص مال القاتل المذنب الجاني ، فإنْ لم يقبلوا فالقصاصُ هو الحُكم العادل على القاتل بالقتل ، والقتلُ هو سلبُ الحياة من كائنٍ محترمٍ منحها الله سبحانهُ وتعالى له ، وهذه العقوبة هي من سنن الله سبحانه في عباده ، وهي تمثل العقوبة بالمثل ، فالذي يسلب حياة إنسان ، عليه أنْ يفقد حياته ، لأنـَّه مثلما أزهق نفسًا بلا ذنب وسلب روحها ، يجب أنْ تزهق

نفسهُ وتسلب روحه هو لا غيره ، بموجب قاعدة المعاملة بالمثل ، وقبل الدخول في تفاصيل حدود القتل ، علينا أنْ نحدد جنس المقتول ، والمقتول هوً الإنسان حصرًا ، ولا يحدُّ غيره ، ذلك لأنَّ النفس البشرية من المكرمات عند الله ، لأنَّ الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ليكون خليفة له في الأرض ، وأمرهُ بأعمارها وإصلاحها ، وقد خلقه في أحسن صورة وهيأة ، وقد حرم الله جلت قدرته قتل النفس البشرية التي لم ترتكب ذنبًا ، فكيف بقتل النفس المؤمنة البريئة ، فتلك جريمة كبرى وعظيمة ، فمن قتل تلك النفس فكأنَّما قتل الناس كافة ، وهذا تكريم للإنسان وحقنٌ لدمه ، عِبْرَ تحريمهِ ، فقال تعالى [٢٥] : { مِنْ أجْلِ ذلِكَ كتبنا على بني إسرائيلَ أنـَّهُ مَنْ قتلَ نفسًا بغيرِ نفسٍ أوْ فسادٍ في الأرضِ ، فكأنـَّمَا قتلَ الناسَ جمِيعاً } ، والقتل نوعان : عمدٌ وخطأ وهو غير العمد ، ولكُلِّ منهما حدوده ، فقاتل العمد حدّهُ القصاص العادل ، وذلك في قوله تعالى [٢٦]: {ولكُمْ في القَصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ لعلكُمْ تتقوُنَ} ، الله سبحانه وتعالى يأمرنا بقتل القاتل ليرتدع ذوي النفوس المريضة ، وأصحاب الضمائر الميتة فلا يقدمون على قتل النفس المحرَّمة ، وقتل القاتل واجب التنفيذ فلا تأخذ الحاكم فيه رحمة ؛ لأنَّهُ مثلما حَرَمَ المقتول من الحياة ، عليه أنْ يُحْرَمْ منها، وقبل ذلك حدّد الباري عزَّ وجل مجموعة حدود منها القصاص في قوله تعالى [٢٧]: { يا أيُهَا الذينَ آمَنـُوا كُتِبَ عليكُمُ القصاصَ في القتلى ، الحُرُّ بالحُرِّ ، والعبدُ بالعبدِ ، والأنثى بالأنثى ...} ، الخطاب هنا موجه للمؤمنين القاتل يُقْتل بأمر الله ، والقصاص يجب أنْ يكون متكافئًا وعِدْلًا للمقتول ، فلا نقتصُ بعبدٍ بدلًا من الحر ، والعكس صحيح وكذا الحال قصاص المرأة يجب أنْ يكون بامرأة مثلها ، وذلك لإحقاق الحقّ ، وعدم إلحاق الأذى والظلم بأهل المقتول ، وقد أكَّدَ الله أنَّ العقوبة بالمثل في قوله تعالى [٢٨] : { الشهرُ الحرامِ بالشهرِ الحرامِ ، والحُرماتُ قصاصٌ ، فمِنْ اعتدى عليكُمْ فاعتدُوا عليهِ بمثلِ ما اعتدى عليكم...} هذا في القتل العمد أمّا في قتل المؤمن خطأ بغير عمدٍ فعقوبتها غير عقوبة القتل العمد ، لأنَّ

القاتل لم يكن قاصداً ذلك ، ولكن القتل حصل ، فقال سبحانه تعالى [٢٩] : {وَمَا كانَ لمُؤْمِنٍ أنْ يقتلَ مُؤمنًا إلا خَطأً ، ومَن قَتَلَ مُؤمنًا خَطأً ، فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ وديةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أهلِهِ ، إلا أنْ يَصّدَّقُوا ، فإنْ كانَ من قومٍ عدّوٍ لكُمْ ، وهوَ مؤمنٌ فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ، وإنْ كانَ من قومٍ بينكُمْ وبينهُمْ ميثاقٌ ، فديّةٌ مسلمةٌ إلى أهلِهِ وتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ، فمَنْ لمْ يجدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعينِ توبةً من اللهِ وكانَ اللهُ عليمًا حكيمًا} ، نلحظ في هذه الآية الكريمة عقوبات متعددة لحالة واحدة ، ولكنَّها تعددت بنوع الحالة ، فالحالة الأولى تتمثل في القتل الخطأ ، إذا كان القاتل والمقتول من طرف واحد ، أو من فئةٍ واحدة ، ونلحظ هنا النظرة الرحيمة من عند الله لعباده المؤمنين إذا كانا من طرف واحد ، فجعل العفوَ أمرًا واردًا ، ولم يجعله في الأنواع الأخرى من القتل الخطأ ، فالحدُّ القائم في الأصل ، وهو دفع الديَّة فضلاً عن تحرير رقبة ، فقد اشترط الله سبحانه وتعالى أنْ تكون الرقبة مؤمنة ، مقابل أنَّ العفو حصرًا بيد وليّ أمر المقتول إنْ أراد أنْ يعفوَ فلهُ ذلك ، والجدير بالذكر أنَّ أولَ مُؤمنٍ قُتِلَ خطأً هو الصحابي الجليل اليمان والد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان الذي قُتِلَ في معركة أحد خطأ ، فأراد الرسول مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يدفع ديتَهُ ، ولكنَّ ولي أمر الدم ، ابنه الصحابي حُذيفة تصّدق بديّة والده لله ولرسوله وللإسلام ، فقبلَ الرسول ذلك منه [٣٠] ، أمّا إذا كان المقتول من طرفٍ معادٍ وهو مؤمن ، وكذلك إذا كان من طرفٍ آخرٍ ولكنْ تربطه مع المسلمين معاهدة عدم الاعتداء ، وقد اشترط اللهُ سبحانه وتعالى ، في دفع الديّة ، أنْ تسلَّمْ لأهل المقتول حصراً فضلاً عن تحرير رقبة مؤمنة ، وشرط العفو لولي الأمر لم يرد هنا ، وإذا كان القاتلُ مؤمناً ، ولم تكن له القدرة على دفع الديّة فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ ، وكان اللهُ به رحيماً ، فاشترط الصيام شهرين متتابعين . ونلحظ في هذه العقوبة الصرامة المطلقة في التطبيق ، وذلك لقطع دابر جريمة القتل سواءً كان عمدًا أم خطأً ليكون المسلمُ المؤمنُ حذرًا في استعمال السلاح خوفًا من وقوع المحذور ، فقد

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلَم) [٣١] : (لقتلُ مؤمنٍ أعظمُ عند الله من زوالِ الدّنيا) ، وقال أيضاً في قتل النفس التي حرَّمَ الله إلا بالحقّ[٣٢] : (اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : ما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال : الشركُ بالله ، والسحرُ ، وقتلُ النفس التي حرَّمَ الله إلا بالحقّ ، وأكلُ الربّا ، وأكلُ مالِ اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ) وقتلُ النفس هي الثالثة من بينها ، وذكر القرآنُ الكريم نوعًا آخر من قصاص ؛ تمثل في قصاص الأعضاء البشرية في قوله تعالى[٣٣]: { وكتبنا علَيهِمْ فيها أنَّ النفسَ بالنفسِ ، والعينَ بالعينِ ، والأنفَ بالأنفِ ، والسِّنَ بالسِّنِ ، والجُرُوحَ قصاصٌ ، فمنْ تصدقَ بهِ فهُوَ كفارةٌ لهُ ...} ، نلحظ في حدود هذه الآية الكريمة أن من يُعتدى عليه فتفقأُ عينه له الحقُّ أنْ يفقأ عين الجاني ، وكذا بالنسبة للأنفِ والسنِ ، وإذا شاءَ أنْ يتصّدق بها فله ذلك ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى سيحتسبها في ميزان حسناته ، وهذا الحكم ينسحبُ على قتلِ النفسِ والجروح أيضاً وذلك رحمة من الله بعباده المؤمنين ، وأختم هذا المحور بقوله تعالى [٣٤] : { من يقتل مؤمناً متعمِداً فجزاؤهُ جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه وأعدَّ لهُ عذاباً عظيماً}.

الفقرة الرابعة : أيّها الناس : إنَّ الشيطانَ قد يئسَ أنْ يُعبدَ في أرضكم هذهِ ، ولكنَّهُ قد رضيَ أنْ يطاعَ فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيّها الناس : إنَّ النّسيءَ زيادةٌ في الكفرِ يضلُّ بهِ الذين كفروا ، يحلَّونَهُ عامًا ويحرّمونَهُ عاماً ليواطئوا عِدّة ما حرَّمَ الله ؛ فيحلّوا ما حرّمَ الله ؛ إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئتهِ يوم خلق الله السّمواتِ والأرض ، وإنَّ عدة الشّهور عند الله اثني عشرَ شهْرًا في كتاب الله يومَ خلق السَّمواتِ والأرض ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ثلاثةٌ متواليات ، وواحدٌ فردٌ ، ذو القِعدة وذو الحِجَّة والمحرَّم ، ورجبٌ الذي بين جمادى وشعبان .

ألا هلْ بلغت ؟ اللهم اشهد !

هذه الفقرة تتكون من ثلاثةِ محاورٍ هي على النحو الآتي :

المحور الأول : الشيطان

الشيطانُ هي صفةٌ لإبليسَ لعنةُ اللهِ عليهِ ، وقد وردت هذه الصفة في القرآن الكريم بـ ((٦٨)) ثمانية وستين مرةً بصيغة المفرد ، وأما الاسم ابليس فقد جاء ذكرُهُ في ((١١)) إحدى عشرةَ مرةً ، وإبليس لعنةُ الله عليه لم يكن من الملائكة بل كان من الجنِّ ، قال تعالى [٣٥] : { وإذْ قُلنا للملائكة اسجدوا لأدم ، فسجدوا إلا إبليس ، كان من الجنِّ ففسقَ عن أمرِ ربه } ، فضلاً عن ذلك ، كان ابليسُ من المتكبرين الكافرين قال عزَّ من قائل [٣٦]: {إلا ابليسَ استكبرَ وكانَ من الكافرين} ، حينما خلق الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) وذريتَهُ ، حذّرهم من إبليس ، وقال لهم إنَّهُ عدوٌّ لكُم [٣٧] : { إنَّ الشيطانَ لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوًّا } ، ثم خاطب بني آدم عليه السلام بعد أنْ رأى هواهم يجري باتجاه الشيطان لعنة الله عليه ، قال محذّراً إياهم[٣٨]: {ولا يصدنَّكم الشيطانُ ، إنَّهُ لكم عدوٌّ مُبين} ، ثم بَيَّنَ اللهُ سبحانه وتعالى للإنسان إنَّ الشيطان قرينٌ ملازمٌ للكافر [٣٩] : { ومن يعشُ عن ذكر الرحمن ، نُقيّضُ له شيطاناً فهو له قرين} ، ولما كان عدد اتباع الشيطان كبيرًا ، فقد جعلهم الله حزباً فقال [٤٠] : {إنَّ حزبَ الشيطانِ هُم الخاسرون} ذلك لأنَّهم من الكافرين .

المحور الثاني : النسئ

النسئُ في الجاهلية هو استبدالُ الشهر الحلال بشهرٍ محرَّم، فيقدمون الشهر الحلال، ويؤخرون الشهر الحرام، إذا كانت العرب في جاهليتهم في موسم الحجّ، وبعد أنْ يصدروا عن مِنى، يقومُ رجلٌ منهم من كنانة فيقول[٤١]: (أنا الذي لا أُعابُ، ولا أُجابُ، ولا يرَّدُ لي قضاء، فيقولون له: صدقتْ ! أنْسئنا شهرًا ؟ أي أخرّ عنا حُرمة المُحرَّم ، واجعلها في صَفر،

وأحلَّ لنا المُحرّم ، لأنَّهم كانوا يكرهون توالي ثلاثة أشهرٍ حُرم، لا يغيرون فيها ، لأنَّ معاشهم كان يعتمد الغارة ، فيحلُّ لهم المُحرَّم ، فذلك هو الإنساء) ، وهذا التلاعبُ بالأشهر الحُرم وتغييرُ أوقاتِها التي حدّدها الله سبحانه وتعالى لهم يُعدُّ كُفرًا ، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عنه فقال (٤٢) : {إنّما النسئُ زيادةٌ في الكُفرِ ، يُضِلُّ بهِ الذين كفروا يحلّونَهُ عاماً ويحرّمونَهُ عامًا ، ليواطئوا عِدَّةَ ما حرَّمَ اللهُ ، فيحلّوا ما حرّمَ الله ، زُيّنَ لهم سوءُ أعمالِهم ، واللهُ لا يهدي القومَ الكافرين} .

المحور الثالث : عدة الشهور

خلق اللهُ الشهورَ والسنينَ لتكون في خدمة الانسان ليعرف عن طريقِها المواسمَ الدينية والاجتماعية والزراعة والحساب ، وجعلَ القمرَ دليلًا عليها فقال (٤٣) : { وهو الذي جعلَ الشمسَ ضياءً ، والقمرَ نورًا ، وقدرهُ منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ } ، وحدّد عدد الشهور بـ ((١٢)) اثنيَ عشرَ شهرًا ، وكُلِّ اثني عشر شهرًا تمثلُ سنة كاملة ، وسماها بأسمائها ، وجعل الله سبحانه وتعالى ثُلثها أشهرًا حُرمًا ، حرَّمَ فيها الحربَ والقتالَ فقال (٤٤): { وإذا انسلخَ الأشهرُ الحُرُمُ ، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} ، وهذه الأشهرُ الحُرم كانت معروفة في الجاهلية ، وكانت كثيرٌ من القبائل العربية تلتزم بها إلا ما ندر ، ولما أشرقت شمس الإسلام أمر الله نبيَّهُ الكريم محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بتقديسها واحترامها ، ولا يحقُّ لكائنَ من يكون أنْ يتجاوزَ على حرمتها ، فقال في محكم كتابه المجيد (٤٥) : { إنَّ عدَّةَ الشهورِ عند الله أثنا عشرَ شهرًا في كتابِ الله يومَ خلقَ السموات والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ ذلك الدين القيم } ، نلحظ في هذه الآية الكريمة أنَّ الله سبحانه حدّدّ عددَ الأشهرِ الحرم ولم يسمِّها بأسمائها ، تاركاً الأمر لرسوله الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فالنبيُّ في خطبةِ الوداعِ وضعَ النقاطَ على الحروفِ وذكر أسماء الأشهر فقال : (ثلاثةٌ متواليات ، وواحدٌ فردٌ ، ذو القِعدة وذو الحِجة

والمُحرَّم ، ورَجَبٌ الذي بينَ جُمادى وشعبان) وحكمة الأشهر الثلاثة المتواليات هيَ أنَّ فيها الحجّ ، والحجيج يأتون من كلِّ فجٍّ عميق ، وذلك يعني أنَّهم يأتون من مسافات بعيدة ، وهذه المدة الزمنية كافية تتيحُ لهم العودة الى ديارهم آمنين سالمين بعد أنْ يأدوا مناسك الحجّ ، ولاحظ أنَّ النبي الكريم قد حدد مكان الشهر الرابع تحديداً دقيقاً ، فبعد أنْ سماهُ باسمه ((رجب)) حدد مكانه فقال : ((بين جُمادى وشعبان)) ولمّا كان لدينا اثنين من الأشهر باسم جمادى ، فقد حدد جُمادى المقصود ، وهو الذي يسبقُ شهر شعبان .

الفقرة الخامسة : أيّها الناس : إنَّ لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حقٌّ ، لكم عليهنَّ ألا يُوطِئنَّ فُرُشكُم غيرَكُم ، ولا يدخلنَّ أحداً تكرهونهُ بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة مبّينة ، فإنْ فعلنَ فإنَّ الله قد أذنَ لكم أنْ تعضلوهنَ وتهجروهنَ في المضاجع ، واضربوهنَ ضربًا غيرَ مبرِّحٍ ، فإنْ انتهينَ واطعنكم فعليكم رزقهُنَّ وكسونهنَّ بالمعروف ، وإنَّما النساءُ عندكم عوانٌ لا يملكن لأنفسهُنَّ شيئًا ، أخذتموهنَ بأمانةِ الله ، واستحللتُم فرُجهنَ بكلمةِ الله ، فاتقوا الله في النساء فاستوصوا بهنَ خيرًا .

ألا هلْ بلغت ؟ اللهم اشهد !

هذه الفقرة تمثل وصية رسول الله في المرأة

المرأة نصف المجتمع ، وهي سيدة المجتمع ، وفي الوقت نفسه هي النصف الضعيف ، لذلك كانت الوصية في المرأة وليس في الرجل ، والعضو في المجتمع من الرجال والنساء له حقوقٌ وعليه واجبات ، وفي هذه الخطبة التي خصَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المرأة بها ، سأتحدث عنها تحت عنوان :

حقوقُ الرجل على المرأة وحقوقها عليه .

للرجل على المرأة ثلاثةِ حقوقٍ رئيسة ، على المرأة أن تلتزم بها ، وتحافظ عليها، لأنَّ هذه الحقوق هي التي تعبر عن شخصية الرجل ومكانته في المجتمع ، فعلى المرأة الصالحة ألّا تخدشَ حياءَ زوجها ، وتطعنَهُ في شرفهِ ، فتخونَهُ وتسمحَ للرجال أن يأتوها ويطؤوا فراشَ زوجها ، لأنَّ فراشه هو رمزُ شرفه وحيائه ، ومن ثّمَ لا تسمح لمن لا يحبه زوجها ، ولا يرتاحُ له ، ولا يطمئنُ قلبه له ، إلا بعلم زوجها ورضاه ، فإنْ لم يقبل زوجها فلا يحقُّ لها أن تدخلَهُ ، والحقُّ الأخيرُ يتمثلُ في أن تكون زوجاً صالحةً ، تبتعدُ وتنأى عن الفواحش ما ظهرَ منها وما بَطن ، كبيرُها وصغيرُها ، ومن لم تلتزمْ بطاعةِ زوجها والإخلاصِ له ، يحقُّ له معاقبتها عقوبة تأديبية وليس انتقامية ، قد تصلُ الى الضرب ولكن ليس بقسوةٍ ، لأنَّ الهدف من العقوبة هو الإصلاح ، فضلاً عن هجرها في المنام ولا يأتيها في الفراش ، فإنْ فاءتْ الى رشدها وأطاعتْ زوجها بما يرضي الله ويرضيه ، وأمَّا إنْ كانت زوجاً صالحةً ومطيعةً ومخلصةً تعرفُ حقَّ الله، وحقَّ زوجها عليها ، فيترتبُ لها على زوجها حقوقٌ واجبةُ التنفيذ تتمثل في إطعامها بما يقدرُ عليه ممّا رزقه الله ، وتوفير ما يليق بها من الملابس وحُلي ، وحسب قدرته الشرائية ، وأشار رسول الله (صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم) الى قول الله عزَ وجل في سورة النساء[٤٦]: {وعاشروهُنَّ بالمعروفِ} ، أي بالحفاظ على كرامتها ، وعدم إهانتها بقوارص الكلام البذيئة ، وعدم سبَّها وشتمها ، ومناداتها بأحب الأسماء اليها ، والتوددَّ لها بالكلام الطيّب ، مع تقديم ما يتناسب لها من الهدايا ، ثُمَّ قال : إنَّ المرأةَ عند الرجلِ مثلُ الأسيرة ، فعلى الرجل أنْ يعاملَها بما يُرضي الله ، لأنَّها كما قلنا في صدر الكلام ، هي العنصر الضعيف في المجتمع ، وقال رسول الله في وصية للمسلمين المؤمنين [٤٧]: (خيرُكم خيرُكم لأهله ، وأنا خيرُكم لأهلي) .

الفقرة السادسة : أيّها الناس إنَّما المؤمنون أخوةٌ ، ولا يحلُّ لامرئٍ مسلمٍ مالَ أخيه إلا عن طيبِ نفسٍ منه .

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

فلا تُرْجُعنَّ بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقابَ بعضٍ ، فإنَّي قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلّوا بعدهُ ، كتابَ الله ، وعترتي أهلَ بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

هذه الفقرة تتكون من جزأين هما :

أولا : علاقة المسلم المؤمن بأخيه المسلم المؤمن

قال اللهُ سبحانَهُ وتعالى في كتابه المجيد (٤٨): {إنَّما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلحوا بين أخويكم} ، هذه الآية الكريمة تشير الى اصلاح ذات البين إذا وقع بين المسلمين ، وعدَّ المسلم بالنسبة للمسلم أخًا ، ومعظم حالات الخلاف بين المسلمين سببها المال ، والطمع الذي يحرّك الغريزة النفسيّة الجشعة باتجاه الاستيلاء على مال أخيه ليأكلَهُ ظُلمًا وعُدوانًا ، ليتحوَل المالُ الحلالُ الى سُحْتٍ حرام ، النبيُّ اقتبسَ هذه الآية وتعامل معها بشكلٍ موسعٍ ، وعدَّ الامرَ مُحرَّماً إلا إذا كان بموافقة الطرف الثاني وبرضاه وليس إجبارًا وخوفًا .

ثانياً : هذا الجزء من هذه الفقرة يمثّلُ وصيةَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الى المسلمين كافةً بعد أنْ ينتقل رسول الله الى جوارِ ربهِ ، فيوصيهم بالحفاظ على وحدة الإسلام ، وعدم العودةِ الى الجاهلية مرَّةً أخرى ، بعد أنْ أخرجَهم اللهُ من الظلمات الى النور ، فيقتتلوا فيما بينهم من أجل أمور دنيويَّة زائلة ، فيقعوا في الضلال ، وانَّهم - أي المسلمين - قد تركَ لهم رسول الله ركيزتين مهمتين في الحياة ، أنْ التزموا بهما فهم على

السراط السويّ ، وينالون رضا الله ، وإن تخلَوْا عنهما وابتعدوا ، فسيؤول أمرهم الى غضب الله ، وعدم مرضاته ، والقومُ بعد وفاة رسول الله ، اتفقوا على الركيزة الأولى ، واختلفوا في الركيزة الثانية التي تمثلت في قوله : ((عترتي أهلَ بيتي)) ، فقال الفريق الأول قال : ((سُنتي)) ومهما يكن من الأمر فإنّ قوله : ((عترتي أهلَ بيتي)) هي الصواب ، ذلك لأنَّ العترة هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد كرمهم الله تكريماً كبيراً ، وميَّزهُم على المسلمين كافة ، فقد عصمهم من الخطلِ والخطأ ، وجعلهم على سراطٍ مستقيمٍ ، ارتضاهُ الله لهم من ظاهرِ آيةِ التطهير في قوله تعالى (٤٩) : {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وِيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} ، وإذهاب الرجس عنهم هو عصمتهم من الزلل والخطأ ، وفي العترة الطاهرة نزلت آية المباهلة (٥٠) : {فمنْ حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقلْ تعالَوْا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءكم ثُمَّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين} ، وفي العترة نزلت آية المودة التي فيها قال تعالى على لسان نبيه الكريم (٥١) : {قُلْ : لا أسئلكُم عليه أجراً إلا المودةَ في القُربى} ، فقالوا لهُ من القُربى؟ قال: عليٌ وفاطمةُ والحَسنُ والحُسينُ ، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم، وهم الذين أخرجهم رسول الله يوم المباهلة ، وهم الواجب مودتهم ، فمن كان بهذه المواصفات ، هو أولى بقيادة المسلمين بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولكن....

الفقرة السابعة والأخيرة: أيَّها الناس: إنَّ ربكم واحدٌ؛ وأنَّ أباكم واحدٌ، وكلكم لآدمَ وآدمَ من ترابٍ، أكرمكم عند الله أتقاكم، وإنَّ الله عليمٌ خبيرٌ، وليس لعربي على عجمّيٍ فضلٌ إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت ؛ اللهم اشهد !

قالوا : نعم

قال : فليبلغ الشّاهدُ الغائبَ .

اختتم رسول الله صلى الله عليه وآله خطبته الشريفة بهذه الفقرة المهمة ، وذكرهم أنَّ الله سبحانه وتعالى هو واحدٌ فردٌ صمدٌ وحدهُ لا شريك له وهو ربُّ كلِّ شيءٍ، وأنَّهُ خلق أباهم آدمَ من ترابٍ فقال تعالى(٥٢): {إنَّ مثلَ عيسى عندَ اللهِ كمثلِ آدمَ خلقهُ من ترابٍ ، ثُمَّ جعلكُم أزواجًا} ، لذلك فالبشرية جمعاء، هم ذريةُ رجلٍ واحدٍ ، هو آدم عليه السلام ، وتبعاً لذلك كُلُّكُمْ من ترابٍ ، فقال الله تعالى (٥٣) : {واللهُ خلقكُمْ من ترابٍ ثُمَّ من نطفةٍ } ، إذاً كلُّ البشر من تراب ، وكلهم عائدٌ الى التراب لا فرق بين غنيٍّ وفقيرٍ ، ولا فرقَ بين الملوكِ وعامةِ الناسِ ، كُلُّهُم يؤولُ مصيرُهُم الى ترابٍ ، ولا تمايز بين الأجناس والألوان ، ولا تفاضل في الأحساب بين الناس إلا بالأعمالِ الحسنةِ المرضيةِ عندَ اللهِ ، والميزانَ هو التقوى ، وكلمّا كان تقوى الإنسان عاليًا ، كان أقرب الى الله من غيره .

في هذه الخطبة التي كانت متناصة مع القرآن الكريم فكرًا وروحًا، قد تداخلت في أبعاد هذه الخطبة ((٤٣)) ثلاثٍ أربعينَ آيةً كريمةً، فضلًا عن الأحاديث الكريمة والأقوال المأثورة.

في ختام البحث لا أستطيع القول، إلا أنَّ الخطبَ النبويّة الشريفة هي امتدادٌ شرعيٌّ وطبيعيٌّ للقرآن الكريم، وأقول: هذا مبلغُ فهمي وعلمي وعملي فإنْ أصبت فيه، فمن الله التوفيق، وإنْ أخطأت فمن تلقاء نفسي الخاطئة، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهاديّ البشير رسول الله محمد وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين وسلّم تسلّيماً كثيرًا .

الهوامش :

١- سورة المائدة الآية : ٣

٢- سُنن الترمذي : ٢ / ٢٩٨ ، سُنن ابن ماجة : ١٢ ، طبقات ابن سعد : ٢ / ١٩٤

٣- طبقات ابن سعد : ٢ / ١٩٣

٤- صحيح مسلم رقم الحديث : ١٢١٨ ، سنن أبو داوود : ١٩٠٥ ، سنن : ابن ماجة : ٣٠٧٤ ، سنن الدارمي : ١٨٥٠

٥- ورد في المنتقى من سيرة المصطفى : ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب : ٤٩٧، وعامر بن الحارث هو ابن عم النبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

٦- سورة يوسف الآية : ٥٣

٧- سورة فاطر الآية : ٨

٨- سورة الرعد الآية : ٣٣

٩- سورة الأنعام الآية : ١٥١

١٠- سورة النساء الآية : ٢٩

١١- سنن الترمذي / ٢٦

١٢- ينظر كتاب الكبائر : ١٤ – ١٦

١٣- سورة الأحزاب الآية : ٧٢

١٤- سورة البقرة الآية : ٢٨٣

١٥- سورة النساء الآية : ٥٨

١٦- سورة الأنفال الآية : ٢٧

١٧- سورة المعارج الآية : ٣٢

١٨- سورة البقرة الآية : ٢٧٥

١٩- سورة البقرة الآية : ٢٧٦

٢٠- سورة آل عمران : ١٣٠

٢١- سورة البقرة الآية : ٢٧٨

٢٢- سورة النساء الآية : ١٦١

٢٣- سورة الروم الآية : ٣٩

٢٤- ينظر كتاب السيرة النبوية على ضوء القران والسنة – ولاية عبدالمطلب السقاية .

٢٥- سورة المائدة الآية : ٢٢

٢٦- سورة البقرة الآية : ١٧٩

٢٧- سورة البقرة الآية : ١٧٨

٢٨- سورة البقرة : ١٩٤

٢٩- سورة النساء الآية : ٩٢

٣٠- الرياض المستطابة : ٥٦ ، أعيان الشيعة : ٧ / ٣٣٧

٣١- سنن النسائي رقم الحديث : ٣٩٨٦ ، سنن الترمذي رقم الحديث : ١٣٩٥

٣٢- صحيح البخاري رقم الحديث : ٢٧٦٧ ، صحيح مسلم رقم الحديث: ٨٩ ، سنن النسائي رقم الحديث : ٣٦٧١ ، سنن أبو داود رقم الحديث : ٢٨٧٤

٣٣- سورة المائدة الآية : ٤٥

٣٤- سورة النساء الآية : ٩٣

٣٥- سورة الكهف الآية : ٥٠

٣٦- سورة ص الآية : ٧٤ ، سورة البقرة الآية : ٣٤ ، سورة الأعراف الآية : ١١

٣٧- سورة فاطر الآية : ٦

٣٨- سورة الزخرف الآية : ٦٢

٣٩- سورة الزخرف الآية : ٣٦

٤٠- سورة المجادلة الآية : ١٩

٤١- لسان العرب مادة : نسأ ، رجٌ من كنانة : أراد صاحب الموسم وأمير الحجّ .

٤٢- سورة التوبة الآية : ٣٩

٤٣- سورة يونس / الآية : ٥

٤٤- سورة التوبة الآية : ٣٦

٤٥- سورة التوبة الآية : ٥

٤٦- سورة النساء الآية : ١٩

٤٧- وسائل الشيعة : ٢٠ / ١٧١

٤٨- سورة الحجرات الآية : ١٠

٤٩- سورةُ الأحزابِ ؛ الآية : ٣٣

٥٠- سورة أل عمران الآية : ٦١

٥١- سورة الشورى الآية : ٢٣

٥٢- سورة آل عمران الآية : ٥٩

٥٣- سورة فاطر الآية : ١١

المصادر:

- القرآن الكريم .
- أعيان الشيعة - للإمام السيد محسن الأمين ، حققه وراجعهُ حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، (د . ت) .
- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة – للإمام يحيى ابن أبي بكر العامري اليمني رحمه الله ، منشورات مؤسسة المعارف ، ط ٢ ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م .
- سنن ابن ماجة - الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، ضبط نصها أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (نت) .
- سنن الترمذي - تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ؛ ط ٢ ؛ ١٩٨٣م ؛ بيروت .
- سنن أبي داود - الامام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت٢٧٥هـ) ، حققه وضبط نصه وشرح أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ، محمد كامل قره بللي ، الرسالة العالمية ؛ (د.ت) .

- صحيح البخاري ، الجامع المسند – للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
- صحيح مسلم - دار صادر ؛ بيروت ؛ (د . ت) .
- الطبقات الكبرى – محمد بن سعد البصري ، دار صادر ، بيروت .
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، دراسة محررة جمعت بين أصالة القديم وجدة الحديث – الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ، دار القلم ، دمشق .
- لسان العرب – ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ) ، القاهرة ، (د . ت) .
- كتاب الكبائر – للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أحمد عثمان الذهبي ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
- المسند الجامع المعروف بسنن الدارمي - للحافظ المفسر ابو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالصمد الدارمي التميمي (ت٢٥٥هـ) تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط ١ ، ٢٠٠٠م - ١٤١٢هـ .
- المنتقى في سيرة النبي المصطفى – تأليف الشيخ الإمام محمد بن مسعود البلياني الكازروني (ت٧٥٨هـ) ، تحقيق د.خالد أحمد الملا السويدي ، دار كنان ، دار سعد الدين ، ط ١ ، دمشق ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
- وسائل الشيعة – للحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ) ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ .

الفصل الثاني

الإمامُ علي بن أبي طالب (عليه السلام)

مبتكرُ علم النحو والنقد

التمهيد : تُعدُ اللغة العربية أقدسُ اللغاتِ وأكرمِها وأرفعِها وأعلاها شأناً ومنزلة ، عندَ اللهِ سبحانَهُ وتعالى ، لذلك اختارها ، لتكونَ لغةً لخاتمِ أنبيائهِ ورسلهِ النبيُّ محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، فضلاً عن اختيارها لغةً لأهل الجنة ، وهي اللغة التي احتضنتْ بين جناحيها كتاب الله ((القرآن الكريم)) ، فلو عُدنا قليلاً الى العصرِ الذي سبقَ الإسلام ، سنجدُ أنَّ الجزيرة العربية ، وإنْ كانت تتكلم بلغةٍ واحدة إلا أنَّهُ كانت فيها عشرات اللهجات منتشرة بين القبائل ، فلكلِّ قبيلةٍ عربيةٍ لهجةً خاصةً بها يتخاطب فيها أبناؤها ، والى يومنا هذا ما زالتْ هناك عشرات اللهجات بل المئات في البلدان العربية ، ولما كانت اللهجات هي السائدة في لغة الخطاب عند القبائل العربية قبل الإسلام ، فلابُدَّ من توحيدها في لهجةٍ واحدةٍ ، لتكون هي الأرقى والأعلى مرتبةً ومنزلةً ومؤهلةً لاستقبال القرآن الكريم واحتضانه ، فضلاً عن أنَّ اللهَ سبحانهُ وتعالى لا يرسلُ نبياً ولا رسولاً إلا بلغةِ قومه ليبلغهم ما أُرسلَ بهِ من ربه ، والرسولُ الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عربيٌّ يتكلم اللغة العربية ، وعليه لابُدَّ أن تكون اللغة التي يتكلمُ بها النبي لغةً تليق بالدين الجديد وكتابه المنزل عليه ، وتكون واضحة ومفهومة عند جميع الناس .

من هنا أذهب الى ما قاله أبو عمرو الجاحظ (ت٢٥٥هـ) عن الأدب العربي والشعر السائد في تلك المرحلة ولغته فقال [١] : (الشعرُ حديثُ الميلاد ، صغيرُ السن ، أولُ من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه ، امرئ القيس بن حجر ، والمهلهل ابن ربيعة ، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - الى أنْ جاء الاسلام - خمسين ومئة عام ، وبغاية الاستظهار مئتي عام) ،

وإذا علمنا أنَّ الشعرَ يمثلُ الثمرة الناضجة للغة ، فعليه لابُدَّ أن يكون عمر اللغة (الشجرة) ضعف عمر الشعر ، لكي تتمكن الشجرة من أنْ تُزهر وتُعطي ثمارها ، وبذلك يكون عمر اللغة العربية الناضجة على أقلِ تقديرٍ هو ((٣٠٠)) ثلاثمئة سنة إذا افترضنا أنَّ عمر الأدب ((١٥٠)) خمسين ومئة ، وإذا افترضنا أنَّ عمر الشعر ((٢٠٠) مئتي سنة سيكون عمرها ((٤٠٠) أربعمئة سنة ، وهذه الأرقام هي افتراضية تقديرية تقريبية مستنبطة من قول الجاحظ ، وبذلك نقف بشكل تقريبي على أنَّ اللغة العربية الناضجة التي تكلمت بها قريش ، ونزل بها القرآن الكريم هو ((٤٠٠)) أربعمائة سنة قبل الإسلام تقريباً .

ولعلَّ سائلاً يسألُ لماذا كانت لهجةُ قريش هي اللهجة المختارة التي توحدت بها جميع لهجات العرب دون غيرها ، فيكون الجواب : ذلك أمرٌ أراده الله سبحانه وتعالى ، وليس للبشر يدٌّ فيهِ ، فالنبيُّ المختار الذي سيظهر في الجزيرة العربية ينتمي الى هذه القبيلة ، وهم قومه ويتكلم لغتهم، وكلِّ نبيٍ يتكلمُ بلغةِ قومهِ ، فقد قال سبحانهُ وتعالى [٢] : { وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومهِ ليبينَ لهم ، فيضلُ اللهُ من يشاء ويهدي من يشاء ، وهو العزيز الحكيم } ، فضلاً عن أسبابٍ أخرى هيأها الله سبحانه وتعالى لهذه اللهجة لكي تسود على اللهجات كافة وهي :

أولًا : إنَّ قبيلة قريش قبيلة دينية تسكنُ في مكة ، وفي مكة بيت الله الحرام الذي بناهُ النبي ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل عليهما السلام ، وفي جوف البيت الحرام توجد أصنام العرب وأوثانها ، وهم يحجون اليه في كلِّ عامٍ ، والحاج عندما يأتي الى مكة لا بُدَّ أنْ يتكلمَ مع أهلها بلهجتهم لكي يفهموه ، ويفهم منهم ، وعندما يعود الى ديار قومه تكون بعض العبارات والألفاظ من لهجة قريش قد علقت بلسانه واستعذبها ، وسمعها منه قومه فانتشرت بينهم ، ومن التساؤل السابق يظهر لنا استفهامٌ آخر هو هل كانت العرب تحجُّ وكيف كان حجُّهم ؟ الجواب هو : نعم كانوا يحجون ويلبون ،

ولكن ليس مثل حجِّ الإسلام ، بل كان حجُّهم طوافٌ حول البيت ، ولكن تكون يدُّهم اليمنى هي المحاذية الى الكعبة وليس اليسرى كما يفعل المسلمون ، أي الطواف الذي سبق الإسلام هو عكس الطواف الذي جاء به الإسلام ، وهم عند طوافهم يصفقون ويصفرون ، وحجُّهم عبارة عن تصديةٍ ومُكاءٍ ، والحجيج قبل الإسلام : نوعان : حلةٌ وحمسٌ ، فالحمس هم اصحاب الحرم وعدد من القبائل العربية ، ويحجون بما يرتدون من الملابس ، والحلة وهم الحجيج الذين يحجون عراة بلا ملابس ، وهم لا يحترمون قدسية الأشهر الحرم [٣] ، وهذا حاتم الطائي قد حجَّ بيت الله الحرام فقال الشاعر العُريان بنُ سهلة الطائي [٤] :

مُجيباً والذي حجَّ حاتمٌ أخونكَ عهداً إنّني غيرُ خوانِ

علق أبو زيد الأنصاري على هذا البيت قائلًا [٥] : (أراد بيت الله الذي حجَّهُ حاتِم).

ثانيًا : كانت قُريشٌ قبيلةٌ تجاريةٌ ذلك لأنَّها لم تكنْ قبيلة بدوية رعوية تسكن الصحراء مثل بقية القبائل العربية الأخرى ، بل كانت قبيلة متحضرة تسكن المدينة (مكة) لذلك كانت تمتهن التجارة ، ورجالُها هم كبار تجار العرب ، ولها سنوياً رحلتان واحدة في الصيف والأخرى في الشتاء ، وقد أكدَ هذه الحقيقة القرآن الكريم في سورة قُريش في قوله تعالى[٦] : { لإيلاف قُريشٍ ۞ إلافهم رحلة الشتاءِ والصيف ۞ فليعبدوا ربَّ هذا البيت ۞ الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف ۞ } ، لذلك حينما كانت تمرُ قوافلُ قريشٍ التجارية في منازل القبائل العربية وديارها ، ويتبادلون البيع والشراء أو المقايضة ، لابُدَّ لهم من لغةِ تفاهمٍ ، فتكون لغة التاجر هي لغة الخطاب والتفاهم ، وذلك لعذوبة لهجة قُريش وسلاستها وخلوها من العيوب ، فتعلمت العرب لهجة قُريش .

لهذين السببين سادتْ لهجة قريش على لهجات القبال العربية كافةً ، ولما انتشرت لهجة قُريش أصبحتْ شائعة بين القبائل العربية ، وأخذت القبائل العربية تتكلم بها ، قام الشعراء يفدون الى مكة لعرض نتاجاتهم الشعرية على قُريشٍ ، ومثال ذلك عندما نظم الشاعر علقمة بنُ عبدة قصيدته ذات المطلع [٧] :

هلْ ما علمت واستودعت مكتومُ أم حبلَها إنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالت له قريش : هذه سمطُ الدهر ، ثم عاد اليهم في العام التالي فأنشدهم قصيدته ذات المطلع :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ بُعيدُ الشَّبابِ عصرٌ حانَ مشيبُ

فقالوا هاتان سمطا الدهر .

لذلك أصبحت لهجة قريش مؤهلة لاحتضان القرآن الكريم بين دفتيها ، ولما أشرقت شمس الإسلام نزل القرآن الكريم بها .

ظهر اللحن لأول مرة عند العرب في عهدِ رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد لحن رجلٌ بحضرته فقال [٨] : (ارشدوا أخاكم فقد ضلَّ) ، وفي عهد عمر بن الخطاب كتب كاتب أبي موسى الأشعري الى عمر بن الخطاب [٩] : (من أبو موسى ، فكتب عمر إليه ، سلامٌ عليك ، أما بعد : فاضرب كاتبك سوطاً واحداً ، وأخر عطاءه سنة) ، وعندما انفتحت الدولة العربية الإسلامية الفتية على الأمم المجاورة لها الذين لا يتكلمون اللغة العربية ، ولكن دخل أبناء هذه الأُمم في الاسلام ، أصبح لزاما عليهم تعلم اللغة العربية لقراءة القرآن الكريم ، وأداء المناسك الدينية مثل الصلاة والتلبية في الحجِّ ، ولكون هذه الامم تعلمت العربية حديثاُ الى جانب لغتهم الأصلية ، حدث هنا اللحن ، لأنَّ العربي يتكلم على الفطرة والسليقة ، والأعجمي يتكلم على التعلم ، وفي هذا النطاق يروي أبو حاتم

السَّجستاني : (إنَّ أبا الأسود الدؤلي سمع رجلًا أعجميًا يقرأ قوله تعالى[١٠]: { إنَّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولِهِ } قرأها بالجر وهي على النصب ، فقال لا أظنُّ يسعني إلا أن أضع ما أصلح به النحو هذ أو كلام هذا ، فوضع النحو) .

أولًا : الإمامُ عليٌ عليه السلام يضع الأسس الأولى للنحو العربي :

إذاً بموجب الخبر السابق يكون أبو الأسود الدؤلي هو من وضع الأسس الأولى للنحو العربي وقواعدهُ ، ولكن واقع الحال يقول : لا ، وذلك من خلال اجابة أبي الأسود الدؤلي عمن وضع علم النحو ، فقالوا لأبي الأسود الدؤلي [١١] : (من أين لك هذا العلم – يعنون النحو – قال : لُقنتُ حدوده من علي بن أبي طالب عليه السلام) وكان أبو الأسود من القراء ، فقد قرأ على أمير المؤمنين علي عليه السلام [١٢] ، ومن خلال اعتراف أبي الأسود وإقرارهُ إنَّ علم النحو تعلمه من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، تكون هذه الأقاويل قد فسدت وبطل هدفها ، وكان المراد منها هو تجريد الإمام علي من ابتكاره لعلم النحو وقواعده .

هناك عددٌ من الروايات تؤكد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو من وضع الأسس الأولى للنحو العربي وأرسى قواعده منها ما يأتي :

١- سُئِلَ أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق الى الوضع في النحو ، وأرشده إليه فقال [١٣]: (تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله ، وقال في حديثٍ آخر : ألقى إليَّ علي أصولاً احتذيتُ بها) .

٢- أتى أبو الأسود الدؤلي الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين [١٤] : (ذهبتْ لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك أنْ تطول عليها الزمان أن تضمحل .

فقال له : وما ذلك ؟

فأخبره بخبر بنته ، وكانت بنته قد قالت لأبيها : ما أشدُّ الحر ؟ وكان في شدة القيظ ، فقال : إنَّما أردتِ شديد ، فقال لها : قولي : ما أشدَّ بالفتح ، فعل تعجب .

فاشترى صُحفاً بدرهمٍ ، وأملى عليه الكلام كلهُ لا يخرج عن اسمٍ وفعلٍ وحرف ، ثُمَّ رسم أصول النحو كلها ، فنقلها النحويون وفرعوها) .

٣- أخذ أبو الأسود الدؤلي النحو [١٥]: (عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، أنَّهُ سمع لحناً ، فقال لأبي الأسود : اجعل للناس – حروفاً- وأشار له : الرّفع ، والنَّصب ، والجّر – فكان أبو الأسود ضنيناً بما أخذه من ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام).

٤- قال أبو الأسود الدؤلي[١٦]: (كتبَ الإمامُ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثُمَّ قال لي : تتبعهُ وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود : إنَّ الأشياء ثلاثة : ظاهرٌ ، ومضمرٌ ، وشيءٌ ليس بظاهر ولا مضمر ، قال فجمعتُ منه أشياء ، وعرضتها عليه ، وكان من ذلك حروف النّصب ، فكان منها : إنَّ وأنَّ وليت ولعلَّ وكأنَّ ، ولم أذكر لكنَّ ، فقال لي : لم تركتها ، فقلت : لم أحسبها منها ، فقال : بل هي منها فزدها فيها) .

٥- قال محمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية العطرة [١٧] : (زعم أكثرُ العلماء أنَّ واضع علم النحو هو أبو الأسود الدؤلي ، واسمه ظالم بن ظالم أو ظالم بن عمرو ، وضعهُ بأمرٍ من علي عليه السلام وتلقينه) .

٦- قال ابن الأنباري [١٨]: (إنَّ أولَ من وضع علم العربية وأسس قواعده وحَّدهُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخذه عنه أبو الأسود الدؤلي).

٧- قال ابن النديم [١٩]: (زعم أكثر العلماء أنَّ النحو أخذ عن أبي الأسود ، وأنَّ أبا الأسود أخذه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) عليه السلام .

٨- قال كفعمي وهو من رجالات الشيعة [٢٠]: (إنَّ أبا الأسود الدؤلي أول من وضع علم العربية ، وأخذه أبو الأسود من علي عليه السلام ، قال أبو الأسود : دخلتُ على علي عليه السلام وفي يده رقعة ، فقلتُ : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : تأملتُ كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (الأعاجم) فأردتُ أنْ أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه ، ثُمَّ (ألقه) ألقى الرقعة وفيها مكتوبٌ : الكلام على ثلاثة أشياء ، اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ ، فالاسم ما أنبأ عن المُسمى ، والفعل من أنبئَ به، والحرف ما جاء لمعنى ، واعلم يا أبا الأسود أنَّ الأسماء ثلاثة : ظاهرٌ ومضمرٌ واسم لا ظاهرٌ ولا مضمرٌ ، وإنَّما يتفاضل الناس فيما لا ظاهر ولا مضمر ، وأراد بذلك الاسم العلم المبهم ، قال أبو الأسود فكان ما وقع إليَّ أنَّ وأخواتها ما خلا لكنَّ ، فلما عرضتها على علي عليه السلام ، قال لي : أين لكنَّ ؟ فقلتُ ما حسبتها منها ، فقال : هي منها ، فألحقتها بها ، ثُمَّ قال : ما أحسن هذا النحو نحوه).

٩- قال الشيخ أبو الحسن سلامة بن عياض بن أحمد الشامي النحوي[٢١] : (إنَّ علياً دخل عليه أبو الأسود يوماً ، فقال رأيته مفكراً ، فقلتُ له : ما لي أراك مفكراً يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنّي سمعتُ من بعض الناس لحناً ، وقد هممتُ أنْ أضع كتاباً

أجمعُ فيه كلام العرب ، فقلتُ : إنْ فعلت ذلك أحييت أقواماً من الهلاك ، فألقى إليَّ صحيفة فيها : الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن المعنى وليس باسم ولا فعل ، وجعل يزيد على ذلك زيادات ، قال فاستأذنته أن أصنع في النحو ما أصنع فأذن وآتيته به ، فزاد فيه ونقص).

١٠- قال محمد بن سلام الجمحي [٢٣]: (أول من أسس العربية ، وفتح بابها ونهج سبلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي حين اضطرب كلام العرب)، وقال ابن سلام مرة ثانية [٢٣]: (أول من وضع علم النحو أبو الأسود الدؤلي) .

١١- قال محمد بن يحيى: أخبرنا محمد بن يزيد عن الجرْمي عن الخليل قال [٢٤] : (لم يزل أبو الأسود ضنيناً بما أخذه عن علي عليه السلام ، حتى قال له زياد : قد فسدت ألسنةُ الناس ، وذلك أنَّهما سمعا رجلاً يقول سقطت عصاتي ، فدافعهُ أبو الأسود) .

١٢- قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي[٢٥]: (إنَّ أبا الأسود الدؤلي هو أول من أسس العربية ونهج سبلها ووضع قياسها ، وذلك بعد اضطراب كلام العرب ، وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون) .

السلطاتُ الأموية الظالمة ومن بعدها العباسية أرادتا أن تمحوَ كلَّ فضائل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بما في ذلك صناعة النحو ، وذلك بغضاً منهم لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام ، فأشاعوا بين الناس أنَّ أبا الأسود الدؤلي هو من صنع علم النحو ، لا علي بن أبي طالب ، من أمثال محمد بن سلام الجمحي [٢٦] ، وأبي حاتم السجستاني [٢٧] ، ولكنَّ أبا الأسود رحمه الله ،

كان يُصرحُ بأعلى صوته ، ويعلنُها جهاراً على الملأ : إنَّ من صنع علم النحو وأمرهُ أنْ يكتبه هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد أكد علماء اللغة والنحو هذه الحقيقة ، وطبقاً لذلك فأنَّ الإمام علي عليه السلام وبموجب الروايات السابقة والدلائل الواضحة والموثقة ، يكون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو من ابتكر علم النحو العربي وضع أُسسه وأصوله الأولى ، وأرسى قواعدها ، ومن ثمَّ سار النحاة اللاحقين له عليها، ولابد من الإشارة الى ما رواه الجزري عندما ذكر أبا الأسود الدؤلي [٢٨] : (أول من وضع مسائل النحو بإشارة من الإمام علي عليه السلام ، فلما عرضها على علي عليه السلام قال : فاحسن هذا النحو الذي نحوت ، ومن ثم سموا النحو نحواً) ، إذاً أنَّ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو من اطلق الاسم على علم قواعد اللغة العربية وسماه بـ ((النحو)) .

ثانيًا : الإمامُ عليٌ عليه السلام يبتكرُ الأسس الأولى للنقد الفني المعلل :

بعد أنْ تأكد لنا بما لا يقبل الشك ، من أنَّ أمير المؤمنين الإمامَ عليُ بن أبي طالب عليه السلام ، هو من وضعَ أسس النحو العربي وقواعده الصحيحة الرصينة ، ننتقل الآن الى القسم الثاني من جهوده في خدمة اللغة العربية والمتمثل بالنقد الأدبي العربي الفني المعلل ، إذْ كان النقد العربي في العصر الذي سبق الإسلام نقداً بدائياً وانطباعياً ، يتخذُ من الذوق الشخصي معياراً عند الحكم على الشعر ، فكانت أحكامهم تطلقُ على أبياتٍ مختارةٍ من القصائد فيقولون : هذا أمدح بيت ، وذاك أفخر بيت، وهذا أغزل بيت ، وذاك أرثى بيت ، دون النظر لعامة القصيدة ، وما فيها من الفنون الشعرية والبلاغية ، ثم تطور النقد ليشمل الحكم على القصائد ، فتلك القصيدة هي اليتيمة ، وهذه سمط الدهر ، وتلك القصيدة الدامغة ، وتلكما سماطا الدهر ، ثُمَّ انتقل الأمر في النقد ليكون الحكم على أشخاص الشعراء ، فقالوا هذا أشعر شاعر ، فقد كانت العرب تضرب قبة

من الأدم الأحمر للنابغة الذبياني فيحكم بين الشعراء وقصة حسان بن ثابت والخنساء من أشهر ما ينقل عن هذه القبة من أحكام انطباعية ، ومن أحكام النقد الانطباعي على الشعراء نختار نموذجاً منها على سبيل المثال لا الحصر ، ففي المحفلِ الأدبي لبلال بن أبي بُردة الأشعري والي البصرة سُئل الراوية والناقد الكبير حمّادًا الراوية عن أشعر الشعراء الجاهليين فقال: الذي يقول [٢٩] :

رمتني بناتُ الدَّهرِ من حيثُ لا أرى

فكيف بمن يُرمى وليسَ برامِ

فلو أنَّها نبلٌ إذاً لاتقيتهـــــــــــــا

ولكنَّني أُرمى بغيرِ ســـــــهامِ

هذا الحكم أصدره حمّاد الراوية على الشاعر عمرو بن قميئة وفق ذوقه الشخصي واعجابه بهذه الأبيات ، والمعروف أنَّ عمرو بن قميئة ، هو رأس الطبقة الجاهلية الثامنة عند محمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء ، وفي محفلٍ أدبي آخر بعث المنصور العباسي الى حمّاد الراوية من يسألهُ عن أشعر الشعراء ، فأجاب حمّاد الراوية [٣٠] : (ذلك الأعشى صناجتها) .

ألمْ ترَ أنَّ حمّادًا الراوية أجاب بجوابين مختلفين عن سؤالٍ واحد ، وهكذا بقية الأحكام النقدية الانطباعية التي كانت تتغير، وفقاً لتبدل الذوق والإعجاب والمحفل الأدبي .

أما ما يخص القصائد في ظلِّ الأحكام الانطباعية ، فقد اتخذ الشعراء من قبيلة قُريشٍ حُكاماً لميزانِ أشعارهم [٣١] ، فما قبلوه منهم فهو مقبولٌ، وما ردوه فهو مرفوضٌ ، ومن هذا النوع من الأحكام نأخذ مثالاً واحداً على سبيل التمثيل وليس الحصر ، فقد أتى الى مكة الشاعر

المعروف علقمة بن عبدة ليعرض قصيدته ذات المطلع على قُريش لتقول فيها حكمها ورأيها :

هلْ علمتَ وما استودعتَ مكتومُ

أم حبلَها إنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالت له قُريش : إنَّ هذه القصيدة هي سمطُ الدّهرِ ، ثُمَّ جاءهم في العام الثاني وأنشدهم قصيدته ذات المطلع :

طحا بكَ قلبٌ في الحسانِ طروبُ

بُعيدُ الشّبابِ عصرٌ حانَ مشيبُ

فقالوا له : هاتان سمطا الدهر ، وبذلك حظيتْ هاتين القصيدتين بشهرةٍ واسعةٍ نتيجةً لقبول قُريش ورضاها عنها .

واستمر النقد الانطباعي بألوانه الثلاثة سائدًا عند العرب على وفق المعيار الذوقي الشخصي لصاحب الحكم والقرار ردحاً من الزّمن بين الشدِّ والجذبِ، الى عهدِ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذ مرَّ الإمام علي ذات يومٍ في ليلةٍ رمضانية وهو يطعمُ عسكرهُ لحماً ولا يتناول منه ، ولما فرغوا من إفطارهم خطبهم ووعظهم وكان يستمع اليهم وهم يستمعون إليه ، وبعد ذلك قال لهم : اعلموا إنَّ ملاك أمركم الدين ، وعصمتكم النفوس ، وزينتكم الأدب ، وحصن أعراضكم الحلم ، ثُمَّ التفتَ الى أبي الأسود الدؤلي ، وقال له [٣٢] : (فيم كنتم تفيضون فيه ؟ (يعني عمّن كنتم تتحدثون – فقد كانوا يتحدثون حول أيُّ الشعراء أفضل .

فقال يا أمير المؤمنين : الذي يقول :

ولقد أغتدي يُدافع ركنـــي أجوَلي ذو ميْعةٍ اضـــــريجُ[٣٣]

مخلطٌ مِزيَلٌ مِعنٌ مِفـــــرٌ مِطرحٌ مِضرحٌ جمُوحٌ خروجُ[٣٤]

والشعر لأبي دؤاد الأيادي [٣٥] .

فقال عليه السلام : ليس به ، (أي ليس هو) .

قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟

فقال : لو رُفعتْ للقومِ غايةً ، فجروا إليها معاً ، علمنا من السابق منهم) .

والخبر في شرح نهج البلاغة بصيغة أخرى هو [٣٦] : (أقبل عليٌّ على الناس فقال : كل شعرائكم محسنٌ ، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول ، لعلمنا أيهم أسبق ، وكلهم أصاب الذي أراد وأحسن فيه ، وإن يكن أحدٌ أفضلهم ، فالذي لم يقل رغبةً ولا رهبةً امرؤ القيس بن حجر ، فإنَّهُ كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة).

لو تأملنا ما قاله أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جيدًا ، سنعرف أنَّ النقد الأدبي الفني من هنا قد انتقل من المرحلة الانطباعية الى مرحلة جديدة تمثلت بمرحلة النقد الفني المعلل ، الذي لا يصدرُ حكما نقديًا إلا بموجب علةٍ جاعلًا الذوق الشخصي رديفًا للنقد المعلل ، فالإمام علي عليه السلام اشترط للحكم على الشعراء لمعرفة مراتبهم وأيهُم أجود ثلاثة شروط أساسية هي:

١- أنْ يجتمعوا في محفلٍ واحدٍ، أي مكانٍ واحدٍ يتباري فيه الشعراء.

٢- أنْ يلتقوا في وقت واحدٍ، ويتبارى الشعراء للتباري فيما بينهم.

٣- تكون لهم غاية واحدة ، وهي تحديد غرض الشعري واحد يتبارى فيه الشعراء.

إذًا أمير المؤمنين حدد ثلاثة شروط لمعرفة أشعر الشعراء وهي : ((المكان والزمان والغرض)) ، وبما أنَّ جمع الشعراء في مكان وزمان

وغرض واحد مستحيل ، ذلك لأنَّ كلَّ شاعر منهم يتفوق في غرض معين من الأغراض الشعرية وبه مشهور ، لذلك لدينا هناك شعراء تميزوا بالفخر، فيما تميز غيرُهم بالفروسية ، وغيرُهم تميزوا بالمدح أو الرثاء أو الهجاء، وغيرها من الأغراض الشعرية ، فكان هناك شعراء فرسان، وشعراء مداحون ، وشعراء هجاؤون ، وهناك شعراء وشاعرات تميزوا بالرثاء، وآخرون تميزوا بالغزل ، وغيرهم بالوصف، لذلك قال الإمام علي عليه السلام كل شعرائكم مُحسنٌ فيما ذهب إليه، أي في الغرض الذي يتميز به ، وهذه نقطة مهمة جداً والتفاتة رائعة من الإمام علي عليه السلام والتي أصبحت فيما بعد ظاهرة من ظواهر النقد الأدبي .

أصبحت هذه الشروط الثلاثة التي وضعها أمير المؤمنين معيارًا فنيًا ومقياسًا عند النقاد ، لمعرفة فحولة الشعراء وجودة أشعارهم ، فألفوا في ذلك الكتب ، فالأصمعي صنع كتاباً سماهُ فحولة الشعراء ، فيما صنع محمد بن سلام كتاباً سماهُ طبقات فحول الشعراء ، وصنع ابن قتيبة كتابا سماه الشعر والشعراء ، ثم تطور الأمر فظهرت الكتب نقدية التي اختصت بنقد الشعر مثل : كتاب عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، وكتب اختصت بالموازنة بين الشعراء مثل كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي ، وغيرهم من المؤلفين والكتاب لا مجال لذكرهم هنا ، ولو تأملنا هذه الكتب النقدية لوجدناها جميعًا ، تمتدُ جذورها موغلة ومتصلة بما وضعهُ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحددهُ من قواعد النقد الأدبي الفني ، وبذلك يكون الإمام علي بن أبي طالب هو رائد النقد الأدبي العربي الفني ومبتكره ، وهو من أسس قواعدهُ، وأرساها ، وسار النقاد الآخرون من بعده على هداها .

الخاتمة : بعد هذه الجولة الشاقة والممتعة بين المصادر اللغوية والنحوية والكتب النقدية وكتب التاريخ ، تكون حصيلة الجولة غنيمةً رائعةً جداً ، فنعرفُ ونعترفُ أنَّ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ،

هو الفارس الأول للغة العربية بعلومها كافة بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فمن البلاغة يكفي نهج البلاغة فخرا أنَّهُ من أقواله وخطبه ، فضلاً عن اكتشافه علم النحو وقواعد اللغة العربية ، وكذلك قيامه بنقلة نوعية للنقد الأدبي العربي ، ونقله من النقد الانطباعي البسيط الى النقد الفني المعلل ، بعد أن كان نقداً بدائياً ساذجاً انطباعياً ، معياره الذوق الشخصي لصاحب الحكم ، وبذلك هو وضع الخطوط العامة العريضة للنحو والنقد ، وعليهم العمل على تفريعها وتفصيلها ، وفي ختام بحثي أرجو الله أنْ يوفقني فيما سعيتُ إليه وكتبتُ ، فإنْ اصبتُ فذلك بفضل من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبتُ الصوابَ ، فذلك من تلقاء نفسي الخاطئة ، وحسبي أنّي اجتهدتُ ، ولكلِّ مجتهدٍ نصيبٍ ، وآخرُ دعوانا أنْ الحمدُ لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين الكرام وسلم تسليماً كثيرا .

الهوامش:

١- الحيوان : ١ / ٧٤

٢- سورة الآية : ٤

٣- للمزيد من المعلومات ينظر كتاب : مكة والحيرة وما بينهما للدكتور يحيى الجبوري .

٤- النوادر في اللغة : ٦٥

٥- النوادر في اللغة : ٦٥

٦- سورة قريش

٧- الأغاني : ٢١ / ٢٠١ ، معاهد التنصيص : ١ / ١٧٦ – ١٧٧ ، خزانة الأدب : ١١/ ٢٨١

٨- مراتب النحويين : ١٩

٩- مراتب النحويين : ١٩

١٠-مراتب النحويين : ٢١

١١-أنباه الرواة : ١/ ١٥

١٢- أنباه الرواة : ١/ ١٥

١٣-مراتب النحويين : ٢١

١٤- البداية والنهاية : ٣١٢/٨ ، مرآة الجنان : ١ / ٤٠٢ ، تهذيب تاريخ دمشق : ١١٢/٧ ، الإصابة : ٢٤٢/٢ ، تاريخ دمشق : ١٣٥/٢٧ .

١٥-مراتب النحويين : ٢٠

١٦-معجم الأدباء : ٥٨٢/٥ ، أمالي الزجاجي : عن قاموس الرجال : ٥٨٢/٥ ، وفيات الأعيان : ٥٣٥/٢ ، قضاء أمير المؤمنين عليه السلام : ١١٩ ، مناقب آل أبي طالب : ٥٧/٢ ، أعلام النبلاء : ٨٤/٤، بحار الأنوار : ٤٠ / ١٦٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٨١

١٧- نزهة الألباب : ٣

١٨- الفهرست : ٥٦

١٩-أبو الأسود الدؤلي في الميزان : ١٣٥

٢٠- أبو الأسود الدؤلي في الميزان : ١٣٥

٢١-مراتب النحويين : ٢١

٢٢- طبقات فحول الشعراء : ٥ ، معجم الأدباء : ٣٤/١٢ ، الأغاني : ٢٩٩/١٢ ، أنباه الرواة : ١٦/١

٢٣-الفهرست لأبن نديم : ٤٥

٢٤- سرح العيون : ٢٧٦٩ ، سمط اللالئ : ٦٦/١ ، الشعر والشعراء : ٧٢٩/٢ ، المزهر للسيوطي : ٢/ ٣٤٥

٢٥-طبقات النحويين واللغويين : ٢١

٢٦- مراتب النحويين : ٢١

٢٧- دلائل الإعجاز : ٤٩٥ ، الأغاني : ٩/ ١١٠ ، معاهد التنصيص : ١/ ١٩٧

٢٨- الإصابة : ٢٤١/٢

٢٩-الأغاني : ١٦/ ١٥٩ طبعة ساسي ، نشوة الطرب : ٢/ ٦٢٦ والشعر في ديوانه :

٣٠- دلائل الإعجاز : ٤٩٥ ، الأغاني : ١٩ / ١١٠ ، معاهد التنصيص : ١٩٧/١

٣١- الأغاني : ٢٠١/٢١ ، معاهد التنصيص : ١٧٦/١ – ١٧٧ ، خزانة الأدب : ١١/ ٢٨١

٣٢- شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٥٣ ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ : ٢٧٦

٣٣- أغتدي : أسير غداة ، الميعة : الفرس في أول جريه ونشاطه ، اضريج : الفرس كثير العرق الشديد الجري .

٣٤- المطرح : البعيد الطويل ، الخروج : الذي يغتال بعنقهِ كلَّ عنان جُعل له .

٣٥- ديوان أبي دؤاد الأيادي : ٦٦ – ٦٧

٣٦- شرح نهج البلاغة : ٢٠ : ١٥٣

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم
- أبو الأسود الدؤلي في الميزان – د.محمد منصور ، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، ط ١ ، ١٤١٨هـ ، قم .

- الإصابة في تميز الصحابة ـ لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، حقق أصوله وضبط أعلامه ووضع فهارسه ، علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر (د.ت) .
- الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، مصورة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (د.ت) .
- الأغاني ـ نسخة ثانية ، طبعة ساسي .
- أمالي الزجاجي ـ لأبي القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي (ت٣٤٠هـ) ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .
- أنباه الرواة على أنباه النحاة – جمال الدين القفطي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٩٨٠م ، القاهرة.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء في بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، بيروت .
- البداية والنهاية – لابن كثير أبي الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، ط١ ، مكتبة المعارف ببيروت ، ومكتبة النصر بالرياض ، ١٩٦٦م.
- تاريخ الخلفاء – جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م ، بيروت .
- تاريخ دمشق – لابن عساكر ، دراسة وتحقيق محب الدين ابو سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ، بيروت .
- تهذيب تاريخ ابن عساكر – المكتبة العربية ، ٢٠١٨م ، دمشق .
- الحيوان ـ الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٢ ، مصر ، (د.ت).

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

- دلائل الإعجاز ـ الإمام عبدالقاهر الجرجاني ، صحح أصله الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، ووقف على طبعه السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون – جمال الدين بن نباته المصري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، مطبعة المدني ، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦١م .

- سمط اللالئ ـ ابو عبيد البكري ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م ، مصر .

- سيرة أعلام النبلاء – شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) ، تحقيق محمد أسعد طلس ، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، د.ت .

- شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ، دار الرشاد الحديثة ، (د . ت)..

- الشعر والشعراء ـ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٢م٠

- طبقات فحول الشعراء ـ محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) قراءة وشروح محمود محمد شاكر ، مصر ، (د.ت).

- طبقات النحويين واللغويين – لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، دون تاريخ .

- فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت – أحمد بن محمد بن حنبل ، مطبعة الحكمة ، ٢٠١٨م .
- الفهرست ـ النديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ـ تحقيق رضا تجدد ، طهران ، إيران ، (د.ت) .
- قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – للعلامة الشيخ مُحمَّد تقي التستري ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ ، طهران .
- الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ـ المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م ، القاهرة.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان – عبدالله ابن اسعد بن سليمان اليافعي اليمني المكي أبو محمد ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، بيروت .
- مراتب النحويين – عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، ط ١ ، صيدا – بيروت ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ السيوطي ت٩١١م شرح وتعليق محمد جاد المولى وزملائه ، ١٩٨٦م ، بيروت .
- معجم الأدباء والمؤلفين ـ لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٩٨٠م ، القاهرة .
- معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص – للشيخ عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسي ، تحقيق حامد عبدالله المحلاوي التميمي، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٣م ، بيروت .
- الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية – م . ج . كستر ، ترجمة الدكتور يحيى الجبوري ، طبع على نفقة جامعة بغداد ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، بغداد .

- مناقب آل أبي طالب – لابن شهر آشوب – تصحيح لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المكتبة الشيعية ، ١٩٥٩م .
- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ – محمد الريشهري ، تحقيق مركز بحوث دار الحديث ، بمساعدة السيد محمد كاظم الطباطبائي والسيد محمود الطباطبائي ، ط ٢ ، ١٤٢٥هـ .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، (د.ت) .
- نشوة الطرب في جاهلية العرب – لابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ) ، تحقيق د.نصرت عبدالرحمن ، مكتبة الأقصى ، ١٩٨٢م ، عمان .
- النوادر في اللغة ـ أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، (ت٢١٥هـ) ، صححه وعلق عليه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ، بيروت ، لبنان .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر خلكان (ت ٦٨١هـ) ، حققه د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د. ت) .

الفصل الثالث

الشعرُ شاهدُ صدقٍ على بيعة الغدير

المقدمةُ : عندما تمَ نزول القرآن الكريم ، وتمتْ مراجعته مرتين في تلكَ السنة مع جبريل عليه السلام ، إذ كان القرآنُ الكريم قبل ذلك في الأعوام السابقة يُراجَعُ مرةً واحدةً ، هنا استشعر الرسولُ الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّ حياتَهُ على وشك أنْ تنتهي ، بعدما اكتمل نزول القرآن الكريم ، وكذلك اكتملت أركان الاسلام ، ولم يبقَ شيءٌ غير واضحٍ في الدين الإسلامي ، الى هنا والرسولُ عليه الصلاة والسلام لم يحجّ بعد ، والحجُّ يمثلُ ركناً رئيساً من أركان الإسلام الحنيف ، لذا كان عليه أنْ يحجَّ أمام المسلمين ، قبل رحيله عن الحياة الدُّنيا ليكونَ حجَّهُ سنةً يستنُ بها المسلمين في حجّهم من بعده ، فعزم الرسولُ على الحجّ في تلك السنة ، فأخبر المسلمين بذلك ، وأنَّهُ قد يفارقهم الى جوارِ ربهِ ، ولا يلقاهم في العام القابل ، فذهب الى الحجّ وقد صحبته أعدادٌ غفيرة من المسلمين من أهل المدينة ، فضلاً عمّن التحقَ به في طريق الذهاب الى مكة ، فحجَّ رسولُ الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الحجّ الأكبر الذي هو عبارة عن عمرة التمتع + الحجّ ، وحجَّ المسلمون مثل حجّهِ ، وبعد انتهاء مراسم الحجَّ وفي طريق العودة الى المدينة ، وفي منطقة الجُحفة في غدير خُمٍ أتاهُ الوحيُ يأمرهُ أنْ يعلنَ للمسلمين كافةً بأنَّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو خليفته من بعده ، فإنْ لم يُعلن فما بلغ رسالته التي امتدت طوال (٢٣) ثلاثٍ وعشرين سنة ، فأوقف الرسولُ الكريم الحجيج ، وأمر بعودة من سبقهُ منهم أنْ يعودوا ، وانتظر من تأخر منهم حتى يصلوا ، ليسمعوا ما سيخطبهم به ، حدث ذلك في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة للسنة العاشرة من الهجرة ، فلما اكتمل حضور الحجيج خطبهم خطبة الغدير وهي خطبة طويلة ، ومع ذلك سأختار منها ما يتلائم مع بحثنا ، وإنْ كان المقطع المختار طويل نسبياً ، ولكنَّ البحثَ يتطلب ذلك ، وهو كما يأتي :

قال رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [١] : (قد أعْلمني – الله – إنّي إنْ لمْ أبلغْ ما أنزل إليَّ في حقِّ عليٍّ ، فما بلغتَ رسالته ، وقد ضمن لي تبارك الله وتعالى العصمة من الناس ، وهو الله الكافي الكريم ، فأوحى إليَّ بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل تعالى إليَّ ، وأنا أبين لكم سبب نزول هذه الآية ، إنَّ جبريل هبط إليَّ مرارًا ثلاثًا يأمرُني عن السّلامِ ربي ، وهو السلام أنْ أقوم في هذا المشهد ، فأُعلمُ كلَّ أبيضٍ وأسودٍ أنَّ علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي على أُمتي والإمام من بعدي الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنَّهُ لا نبي بعدي ، وهو وليكم بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليَّ بذلك آيةً من كتابه هي[٢]: {إنَّما وليَكُم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون} ، وعليُ ابن أبي طالب الذي أقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وهو راكعٌ يريدُ الله عزَّ وجلَّ في كُلِّ حالٍ ، وسألتُ جبريلَ أنْ يستعفي السلام عن تبليغ ذلك إليكم أيها الناس ، لعلمي بقلة المتقين ، وكثرة المنافقين، وإدغال اللائمين وحيل المستهزئين بالإسلام الذين وصفهم الله في كتابه، بأنَّهُم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، وكثرةُ أذاهم لي غير مرةٍ حتى سمّوني أُذنًا ، وزعموا أنّي كذلك لكثرة ملازمته إياي ، وإقبالي عليه ، وهواه وقبوله مني، حتى أنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك[٣]: { ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذنٌ قل أُذنٌ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن بالمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم} ، ولو شئت لأسمي القائلين بذلك بأسمائهم ، لسميتُ وأنا أُمِيءُ إليهم بأعيانهم لأومأتُ ، وأنْ أدل عليهم لدللتُ ، ولكنّي والله في أمورهم قد تكرمتُ ، وكلّ ذلك لا يرضي الله مني ، إلا أنْ أبلغ ما أنزل الله لي في حقِّ عليٍّ[٤] { يا أيها الرسولُ بلغ ما أنزل إليك من ربك - في حقِّ علي - وإنْ لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس}، واعلموا معاشر الناس ذلك فيه ، وافهموه واعلموا أنَّ الله نصبهُ لكُم وليًا وإمامًا فرض طاعته على المهاجرين

والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان ..... ثم قال : من كُنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاه ، وهو علي بن أبي طالب أخي ووصيي وموالته من الله عزَّ وجلَّ أنزلها عليَّ ...، ألا وقد أديتُ ، ألا وقد بلغتُ ، ألا وقد أسمعتُ ، ألا وقد أوضحتُ ، ألا وأنَّ الله عزَّ وجل قال وأنا قلت عن الله عزَّ وجلَّ ، ألا أنَّهُ لا أمير للمؤمنين غير أخي هذا ، ألا لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحدٍ غيره، ثم قال(٥) : (فمن كنتُ مولاهُ فهذا عليٌ مولاهُ، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله وأدر الحقَّ معه حيث دار) ، ولما فرغ من خطبته تقدمَ الشيخان أبو بكر وعمر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالا (٦): (هذا أمرٌ منكَ أم من الله ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : وهلْ يكون هذا من عند غير الله سبحانه وتعالى ؟ نعم أمرٌ من الله ورسوله ، فقاما وبايعا ، فقال عمرٌ لعليٍ : السلام عليك يا أمير المؤمنين بخٍ بخٍ لك قد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ) ، وهنا نزل قوله تعالى(٧): {اليومَ أكملتُ لكُم دينكم ، واتممتُ عليكُم نعمتي، ورضيتُ لكُم الإسلام دينًا} .

بعد أنْ أكملَ رسولُ الله حجَّهُ لبيت الله الحرام ، قفل راجعًا الى المدينة المنورة ، وحينما وصل الى غدير خم في منطقة الجحفة ، أوقف قوافل الحجيج وأمر المتقدمين بالعودة الى الجحفة فيما انتظر المتأخرين حتى يصلو اليها ، فألقى في المسلمين خطبة تحولتْ بعد القائها الى بيعة الغدير ، هنا اندفع المسلمون والمسلمات لمبايعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مباركين له تنصيبه بالخلافة من الله ليكون خليفةً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان أولُ من بايعهُ أبو بكر، ثم تلاهُ عمر بن الخطاب ، ثم بقية المسلمين والمسلمات ، وكانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ممن حجَّ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وسمعت خطبة الغدير، ولما حاجت الأنصار على خذلانهم لأمير المؤمنين بعد اغتصاب فدك منها ، ومبايعتهم لأبي بكر بالخلافة، قالوا لها: (٨) : (يا بنت محمد ، لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ، ما عدلنا بعليٍ

أحداً، فقالت لهم : وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحدٍ عُذراً) ، وكان للشعر حضور كبير لتوثيق هذا الحدث التاريخي العظيم الذي أصبح عيداً ثالثًا للمسلمين بعد عيدي الفطر والأضحى ، فهذا الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري يستأذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بأنْ ينظم الحدث شعرًا لتوثيقهُ ، فقال حسان بن ثابت : يا رسول الله أ أقولُ في عليٍّ شعرًا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله افعل، فقال: [٩] :

يناديهمُ يومَ الغديرِ نبيُّهُـــــم بخمٍّ وأسمعْ بالنبيّ مُناديَـــــا

وقد جاءَهُ جبريلُ عن أمرِ ربِّهِ بأنّكَ معصومٌ فلا تكُ وانيـــا

وبلّغْهُمُ ما أنزلَ اللهُ ربُّهُـــــم إليكَ ولا تخشى هناكَ الأعاديا

فقامَ بهِ اذْ ذاكَ رافعَ كفِّـــــهِ بكفِّ عليٍّ معلنَ الصوتِ عاليا

فقالَ : فمنْ مولاكمُ ونبيُّكُـــمْ؟ فقالوا : ولم يبدُوا هناكَ التَعاميا

إلهُكَ مولانا.. وأنتَ نبيُّنـــــا ولمْ تلقَ مِنَّا في الولايةِ عاصِيا

فقالَ لهُ : قُمْ يا عليُّ فإنَّنِـــــي رضيتُكَ من بعدي إماماً وهاديا

فمنْ كُنتُ مولاهُ فهذا وليُّـــــهُ فكونوا لهُ أتباعَ صِدقٍ مُواليـــا

هناكَ دعا : اللهمَّ والِ ولِيّـــهُ وكُنْ للذي عادى علياً مُعاديـــا

فيا ربِّ فانصرْ ناصريهِ لنصرِهِ إمامَ هُدىً كالبدرِ يجلو الدَّياجيـا

في هذه القصيدة أشار حسان بن ثابت الى معركة خيبر ، وحصنها المنيع الذي استعصى على المسلمين أنْ يفتحوه ، وكان وقتها الإمام علي (عليه السلام) مصابًا بالرمد فاستدعاهُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورقاه فبرئتْ عيناهُ من الرمدِ ، فبرز الى مرحبٍ قائد اليهود

وزعيمهم فقتله ، وقلع باب خيبر ، وفتح حصنها ، وانتصر المسلمون على اليهود في معركة خيبر .

كانَ عليٌّ أرمدُ العينِ يبتغـــي دواءً فلما لم يحـــــسُ مُداويـــــا

شفاهُ رسولُ اللهِ منهُ بنفثـــــةٍ فبُـــــورِكَ مَرقِياً وبُورِكَ راقيـــا

فقال : سأعطي الرايةَ اليـــومَ ضارباً كمياً مُحباً للرسولِ مُواليا

يحبُّ إلهُ والاهُ يحبُّـــــــــــهُ بهِ يفتـــــحُ اللهُ الحصونَ الأوابيـا

فخصَّ بها دونَ البريـــةِ كلِّها علياً وسماهُ الوزيرَ المُواخيـــــــا

وكان الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري ممن حجَّ مع رسول الله حُجَّة الوداع ، واستمع الى خطبتها ، وفي طريق العودة كان مع رسول الله، ملازمًا له فسمع منه خطبة الغدير وبيعتها ، فبايعَ الإمام علي (عليه السلام) بإمارة المؤمنين ، وبعد البيعة أستأذن من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يوثقَ هذا الحدث العظيم ، وينظمه شعراً ليبقى شاهد عيان على ذلك التتويج الإلهي ، فأذنَ له فقال القصيدة أعلاه ، ولما رجعتُ الى شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري بشرح عبد الرحمن البرقوقي ، وجدتُ شارح الديوان قد أسقط هذه القصيدة ، وكلّ ما قاله من شعرٍ في يوم الغدير وبيعتها من ديوان شعر حسان بن ثابت الأنصاري عمدًا ، وذلك لمرضٍ في نفسه ، وضميره الميت ، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ القصيدة كانت موثقة في (٢٦) ستة وعشرين مصدرًا قديمًا [١٠] .

وللقصيدة رواية أخرى هي :

يناديهم يومَ الغديرِ نبيُهُـــم بخمٍ وأسمعْ بالرسول مُناديـا

فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

: إلهك مولانا وأنت نبينـا ولم تلقَ منا في الولايةِ عاصيا

فقال لهُ: قُم يا علي؟ فإنَّني رضيتُك من بعدي إماما وهاديا

فمن كنتُ مولاهُ فهذا وليُهُ فكونوا له أتباعَ صِدقٍ مواليـــا

هناكَ دعا اللهُمَ؟ والِ وليَهُ وكُنْ للذي عادا عليا معاديـــــا

الشاعر حسان بن ثابت يؤكد أنَّ رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر مناديًا أنْ ينادي بتجمع المسلمين في منطقة الجُحفة في غدير خُم، ليخبرهم أنَّ الله سبحانه وتعالى ، قد أمر رسوله الكريم أنْ يُنصبَ علي بن أبي طالب (عليه السلام) أميراً للمؤمنين، وخليفةً للمسلمين من بعده، لقد حاول مبغضي الإمام علي وأهل بيته (عليهم السلام) وحسادهم وأعداءهم إسقاط هذه القصيدة من ديوان حسان بن ثابت وتغييبها وتعفية أثرها وتعمية خبرها على المسلمين التابعين، إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى أبى إلا أنْ يُظهرها في (٢٦) ستة وعشرين مصدرًا، كانت كافية لإظهار الحقَّ ، كما أكد حسان بن ثابت الولاية للإمام علي في قوله :

فقال : فمن مولاكم ونبيكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

: إلهك مولانا وأنت نبيُنـــا ولم تلقَ منا في الولايةِ عاصيا

كان حسان بن ثابت في عهد رسول الله مواليًا لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، وعندما تفاخر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع الفاسق الوليد بن عقبة بن أبي مَعيط الأموي ، الذي نزل فيه قوله تعالى[١١]: { يا أيُّها الذين امنوا إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا أنْ تُصِيبوا قومًا بجهالةٍ فتصْبِحُوا على ما فعلتُم نادمين } ، قال حسان بن ثابت هذه القصيدة منتصراً للإمام علي (عليه السلام) ، ومعرضًا بالوليد بن عقبة ، ولكنَّ شارحَ الديوان اسقط هذه القصيدة أيضاً من شعر حسان التي قال فيها[١٢]:

أنزلَ اللهُ والكتابُ عزيـــــــزٌ في عليٍّ وفي الوليدِ قُرانا

فتبوأ الوليدُ من ذاكَ فِسقَـــــاً وعليٌّ مُبوأُ إيمانـــــــا

ليسَ من كانَ مُؤمناً عــرفَ اللهَ كمنْ كانِ فاسقاً خَوانـــــا

سوفَ يُدعى الوليدُ بعدَ قليـــلٍ وعليٌّ إلى الحسابِ عيانـا

فعليٌّ يُجزى بذاكَ جنانـــــــاً ووليدُ يُجزى بذاكَ هوانـا

ربَّ جدٍّ لعقبةَ بن أبـــــــان لابسٌ في بلادِنا تُبانـــــا

فعليٌّ يلقى لدى الله عـــــــزّاً ووليدُ يلقى هناكَ هوانـــا

سوف يُجزى الوليدُ خزياً وناراً وعليٌّ لا شكَ يُجزى جِنانـا

اما الصحابيُ الجليل قيسُ بن سعد بن عُبادة الخزرجي الأنصاري (رحمه الله) فقد قال مبتهجاً ببيعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه لسلام) أميراً للمؤمنين وخليفةً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصيدته المسماة بالغديرية التي أنشدها بين يدي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهم في طريقهم الى صِفين فقال [١٣] :

وعليٌّ إمامُنا لا ســـــــواهُ في كتابٍ أتى به التنزيلُ

حين قالَ النبيُّ من كنتُ مولا *** هُ عليٌّ مولاهُ هذا دليـــلُ

أيما قالَهُ النبيُّ علـــــى الأمَ *** ةِ فرضٌ وليسَ قالٌ وقيـلُ

يا بنَ هندٍ أينَ الفرارُ من الموت** تِ وللموتِ في الفجاجِ ذُيُولُ

ولواءُ النبيِّ يخفقُ في كـــف *** فِ عليٍّ نصيرهُ جبريـــلُ

ثم حامتْ عليهِ من سلفِ الخز *** رج قومٌ كأنَّهُم إكليـــــلُ

عندَ ذاكَ العيانُ يخلفهُ الظـــن *** نُ وما غيرهُ هناكَ سـبيلُ

نلحظ هنا أنَّ الصحابيَ الجليل قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاري يشير في الأبيات الثلاثة الأولى الى قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، وأنَّ الامر ليس من عند رسول الله ، بل هو ما أتى بهِ جبريل (عليه السلام) من عند الله سبحانه وتعالى في التنزيل ، وما قاله رسول الله هو فرضٌ واجبُ التطبيق على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ ، وجاء البيت الأول برواية أخرى في كتاب الغدير [١٤] :

وعليٌّ إمامُنا وإمـــــــــامٌ لسوانا أتى به التنزيـــلُ

وهذا يعني إنَّ الإمامَ عليٌ (عليه السلام) ، هو أميرٌ للمؤمنين والمسلمين كافة سواءً رضوا به أم لم يرضوا ، ذلكَ لأنَّ تنصيبه كان أمرًا من الله سبحانه وتعالى .

أما عمرو بن العاص السهمي الأموي ، وهو من ألد خصوم الإمام علي (عليه السلام) ومن أعداءه وخصومه الرئيسين ، وفي الوقت نفسه هو من أكبر أنصار معاوية بن أبي سفيان ، في معارك صفين ، فقد قال مُخاطبًا معاوية في قصيدةٍ طويلةٍ ، اخترتُ منها ما يتعلق بيوم الغدير فقط[١٥] :

وكمْ قدْ سمعنا من المُصطفى وصايا مخصصةً في علي؟
وفي يومِ خُمٍ رقى مِنبـــــراً يُبلغُ والركبُ لم يرحـــــلِ
وفي كفِّهِ كفَّهُ معلنـــــــــاً يُنادي بأمرٍ العزيزِ العلـــي
ألستُ بكُمْ منكُم في النِّفـــوسِ بأولى؟ فقالوا: بلى فافعـــلِ
فأنحلَهُ إمرةَ المؤمنيـــــــن من اللهِ مُستخلفُ المنحـــلِ
وقالَ : فمنْ كنتُ مولىً لـــــهُ فهذا لهُ اليومَ نِعْمَ الولـــــي
فوالِ مواليهِ يا ذا الجـــــلالِ وعادِ مُعادي أخِ المُرســلِ
ولا تنقضوا العهدَ من عترتي فقاطعهُم بي لمْ يوصـــــلِ

فبخبخَ شيخُكَ لمـــــــا رأى عُـرى عقدِ حيدرٍ لمْ تُحـلـلِ

فقال : وليكُم فاحفظـــــــوه فمدخلهُ فيكُم مدخـــــــلي

عمرو بن العاص الأموي كان حليفًا لمعاوية بن أبي سفيان وشريكًا لهُ في الانشقاق والتمرد على الخلافة الشرعية للإمام علي (عليه السلام) ، وهو من أبرز أنصار معاوية وأدهاهم وأهمهم ، وقائد جيش الشام في معارك صفين ، قد قالها بالفم المليان وبمنتهى الصراحةٍ المطلقةٍ - عمرو بن العاص ممن شارك في حجة الوداع وسمع خطبتها وحضر بيعة الغدير وسمع خطبتها ، وبايع الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة - قال عمرو بن العاص : سمعنا رسول الله في وصاياه يوصي بحق الإمام علي ولكننا خالفنا ما قال فقد سمعتُ الرسول المُصطفي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بعد أنْ أوقفَ مواكبَ الحجيج ، وأرسلَ بعودة من تقدم منها ، وانتظر من تأخر منها حتى وصل ، ثُـمَّ ارتقى المنبر ، ومعه ابن عمه علي بن أبي طالب كفًّا بكفٍّ ، فرفع يدَّ علي فقال : أنَّ عليًا أميراً للمؤمنين ، وخليفة عليكُم من بعدي ، ثُـمَّ أشار عمرو بن العاص في البيت التاسع من القصيدة الى قول عمر بن الخطاب عندما سمع بأنَّ علي بن أبي طالب أصبح أميرًا للمؤمنين بأمرٍ من الله ، فقال مخاطباً الإمام علي (عليه السلام) ، بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب قد أصبحت مولاي ومولاي كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ، والقصيدة وثيقة دامغة تمثلُ اعترافًا صريحاً لا لبس فيه ، بأنَّ معاوية بن أبي سفيان كان باغيًا ، وعلى الباطل ، وأنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو صاحب الحقَّ والشرعية ، وهو الأحقُّ بالأمر والخلافة منك يا معاوية ، ولكنَّك يا معاوية تنازعه على الباطل ، وتطلبُ أمرًا ليس لك ، وشهادة الخصم تمثل أفضل وثيقة باعترافٍ صريحٍ وصحيح ، أنَّ أهل الشام وزعيمهم معاوية هُمُ الفئة الباغية ، وهي تمثل ((وشهدَ شاهدٌ من أهلها)) ، وكان على المسلمين أنْ يقاتلوا الفئة الباغية ولكن ...

أما التابعيُ الجليل الكُميتُ بن زيد الأسدي شاعرُ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) فقد قال متحسرًا على ضياع الخلافة ، وسلِب حقُّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ممن سبقهُ ومن بعدهم الأموين فقال [١٦] :

وأصفاهُ النبيُ على اختيارٍ بما أعيى الرفوض له المذيعا

ويومَ الدَّوْحِ دوْحِ غديرِ خُمٍ أبانَ لهُ الولايةً لو أُطيعـــــا

ولكنَّ الرجالَ تبايعوهـــــا فلمْ أرَ مثلَها خطراً مبيعـــــا

فلمْ أبلغْ بها لعناً ولكـــــن أساءَ بذاكَ أولُهم صَنيعـــــا

فصار بذاك أقربهم لعـــدل إلى جور وأحفظهم مضيعـــا

أضاعوا أمرً قائدَهُم فضلوا وأقومَهُم لدى الحدثانِ ريعـــا

تناسَوْا حقَّهُ وبغَوْا عليـــــهِ بلا ترةٍ وكانَ لهُم قريعـــــا

هذه القطعة هي من القصيدة الهاشمية السادسة للشاعر الكميت بن زيد الأسدي ، قالها وهو يتحسرُ ألمًا على ضياع فيئ العلويين واغتصابهِ منهُم ظُلمًا ، وهم يعلمون علم اليقين أنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نصب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أميرًا للمؤمنين وخليفةً للمسلمين من بعده في غدير خُم ، وما حدث في بيعة السقيفة لا يمثلُ إلا انقلابًا على الشرعية الالهية ، انقلابٌ قاده الشيخ الأول ، يعضدهُ الشيخ الثاني ، علماً أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أخبر رسولَهُ الكريم بما سيحدث من بعده في المستقبل القريب ، وإنَّ القوم سوف ينقلبون على ما سيوصيهم به، وذلك قبل بيعة الغدير بسنواتٍ قليلة ، وذلك عندما كان القومُ مجتمعين في دارهِ ، فنزلَ الوحيُ من الرّبِ الجليل يخبره بما يضمرهُ هؤلاء القوم لآلِهِ (عليهم السلام) من بعدهِ فقال عزَّ من قال [١٧] : { وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبلهِ الرُّسل أ فإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلبتُم على أعقابكم } ، والانقلاب على الأعقاب ، يعني التراجع القهقري الى الوراء ، وهو أنْ تتراجع الى

الخلف ونظرك الى الأمام ، والآية الكريمة تشير الى أنَّ زعماءَ قريشٍ المجتمعين في دار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سوف ينكثون ما عاهدوا رسول الله وينقضوا عليه ، بمجرد أن يتوفاهُ الله ، فيعودوا الى الجاهلية والظلمات من حيث خرجوا منها أول مرة ، وفعلاً حدث الانقلاب (الارتداد) في يوم السقيفة ، والرسول مازال مسجىً لم يُوارى الثرى بعد ، فأجهضوا بيعة الغدير ، ووأدوها بقيادة أولهم واستبدلوها ببيعة السقيفة ، كما أشار الكميت في البيت الثالث من المقطع مؤكدا أنَّ القوم نقضوا عهودهم لرسول الله ، وما أمر الله به ، منقضين على حقٍّ ليس لهم فيه نصيب .

وللشاعر السيد اسماعيل الحميري بصمةٍ قوية وواضحة في بيعة الغدير ، فهو في بيعة الغدير أكثرُ من قال شعراً فقال (١٨) :

يا بايعَ الدّينِ بدنيـــــــــاهُ ليسَ بهذا أمـــــرَ اللهُ

منْ أينَ أبغضتَ عليَّ الوصيَ ؟ وأحمدٌ قدْ كانَ يرضاهُ

من الذي أحمدٌ في بينهـــــم يومَ غديرِ الخُمِ نـاداهُ؟

أقامَهُ من بينِ أصحابِـــــهِ وهُم حواليهِ فســـــماهُ

: هذا عليُ بنُ أبي طالـــبٍ مولىً لمنْ قد كنتُ مولاهُ

فوالِ من والاهُ يا ذا العُـــلا وعادِ من قدْ كانَ عــاداهُ

في هذه القطعة يخاطب السيد الحميري رؤوس بيعة السقيفة وزعمائها وجموع المسلمين ممن أضمروا بغضًا للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ويقول لهم : لِمَ تبغضون رجلًا اختاره الله ورسوله ، ونصبهُ ليكون لكم إمامًا وخليفة من بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأنتم ببغضكم لعلي بن أبي طالب ، قد بعتُم دينكم بدنياكم ، وستكون مكافأتكم عن بيعكم هذا أنْ تكونوا وقودًا للنار خالدين فيها أبداً ، لقد بايعتم

إرضاءً لسادتكم المنحرفين عن الإسلام المحمدي وأهل البيت ، ويقول لهم أنَّ النبيَّ دعا ربّهُ أنْ يوالي من يوالى عليًا وينصره ، وأنْ يعادي من عاداه ويخذله ، وبالمحصلة النهائية من كان عدوًا لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو من أهل النار لا شكَّ في ذلك لأنَّ دعاءَ النبيُ مستجابٌ عند الله.

وقال أيضاً :

وبخُمٍ إذ قالَ الإلهُ بعزمـــهِ : قُمْ يا محمد في البريةِ فاخطبْ

وانصبْ أبا حسنٍ لقومكَ إنَّهُ هادٍ وما بلغتَ إنْ لم تنصِبْ

فدعاهُ ثُـمَّ دعاهُم فأقامَـــــهُ لهُم فبينَ مُصدقٍ ومُكـــذبْ

جعلَ الولايةَ بعدهِ لمُهـــذبٍ ما كانَ يجعلُها لغيرِ مُهـذبْ

في هذه القطعة يشير السيد الحميري الى أنَّ الله سبحانه وتعالى ، هو من أمرَ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنْ يقوم في المسلمين خطيبًا، ويبلغهم أنَّ الله هو الذي نصب علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة عليهم من بعده ، وفي البيت الثاني من القطعة كانت الإشارة واضحة الى قوله تعالى [١٩] : {يا أيُّها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربكَ ، وإنْ لمْ تفعلْ فما بلغتَ رسالتَهُ واللهُ يعصمُكَ من الناسِ } ، فقام النبيُ بتنفيذ ما أمرَهُ اللهُ بهِ ، فجعلَ الولايةَ لعلي بن أبي طالب ولأولادِهِ من بعدِهِ .

وقال أيضاً :

يوماً قامَ النبيُ في ظلِّ دَوْحٍ والورى في وديقةِ صيخودِ [٢٠]

رافعاً كفَّهُ بيُمني يديـــــــهِ بايحاً باسمه بصوت مديــد [٢١]

: أيُّها المسلمونَ هذا خليلي ووزيري ووارثي وعقيـدي

وابنَ عمي ألا فمنْ كنتُ مولاهُ فهذا مولاهُ فارعُوا عهُودي

وعليٌّ مني بمنزلةِ هــارون بن عمران من أخيهِ الـودودِ

يشير السيد الحميري في هذا المقطع الى يوم الغدير حينما وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ظلِ شجرةٍ عظيمةٍ في يومٍ قائض شديد الحرارة ، وهو يرفعُ بيمينه يدُّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويقول بصوتٍ واضح ومرتفع : يا معاشر المسلمين هذا عليٌ أخي وحبيبي ووزيري ، وهو ابن عمي وصهري ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى (عليهما السلام) ، فمن كنتُ مولاهُ فهذا عليٌ مولاه ، فحافظوا على عهدي وعهدكم وارعوه ، اللهم والِ من والاه وانصر من نصره ، وعادِ من عاداه.

وقال أيضاً :

ألا الحمدُ للهِ حمداً كثيراً وليُ المحامدِ ربَّاً غفـــورا

هداني إليهِ فوحدتُـــــهُ وأخلصتُ توحيدَهُ المُستنيرا

في هذه النتفة يحمدُ السيد الحميري الله الغفور ، حمداً لا حصر له على نعمة اختيارهِ للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للولاية ليكون خليفة لرسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده .

ويقول السيد الحميري في قصيدة طويلة منها هذه القطعة :

لذلكَ ما اختارَهُ ربَّـــــــــهُ لخيرِ الأنامِ وصياً ظهِيـــــرا

فقامَ بخُمٍ بحديث الغديـــــــرِ وحطَّ الرّحالِ وعافَ المسيرا

وقُمٍ لهُ الدّوحَ ثُمَّ ارتقـــــــى على منبرٍ كانَ رحلاً وكـورا

ونادى ضُحىً باجتماعِ الحجيجِ فجاؤا إليهِ صغيراً وكبيـــرا

فقالَ وفي كفِّهِ حيـــــــــدرٌ يليحُ إليهِ مُبيناً مشيـــــــرا

: ألا إنَّ منْ أنا مولىً لـــــــهُ فمولاهُ هذا قضاً لن يجــورا

فهل أنا بلغتُ ؟ قالوا : نعـــم فقال: اشهدوا غيباً أوْ حضُورا

يبلغُ حاضرُكُم غائبـــــــــاً وأشْهِدُ ربي السميعَ البصيــرا

فقوموا بأمرِ مليكِ الســـــما يبايعهُ كُلٌّ عليهِ أميـــــــرا

فقاموا : لبيعتِهِ صافقيـــــن أكفاً فأوجسَ منهم نكيـــــرا

فقال : إلهي والِ الولـــــــي وعادِ العدوَ لهُ والكفـــــورا

وكُنْ خاذلاً للأولى يخذلـــون وكُنْ للأولى ينصرون نصيرا

فكيفَ ترى دعوةَ المُصطفـــى مجاباً بها أو هباءَ نثيــرا؟؟!!

أحبُّكَ يا ثاني المُصطفـــــــى ومن أشهدَ الناسَ فيه الغديـرا

وأشْهِدُ أنَّ النبيَ الأميـــــــن بلغَ فيكَ نداءً جهيـــــــــرا

وإنَّ الذينَ تعادَوْا عليـــــــكَ يصلَوْنَ ناراً وساءَتْ مصيـرا

يشير السيد الحميري الى أنَّ تنصيب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكنْ من اختيار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بل هو اختيارٌ من الله سبحانه وتعالى ، ليكون وصيًا وسندًا لرسول الله ، وإمامًا للبرية من بعده ، لذلك ارتقى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنبر بالجُحفة في غدير خُم خطيبًا ، بعد أنْ استوقف الحجيج كبارهم وصغارهم، رجالهم ونسائهم ، ليعلنها على الملأ ورؤوس الأشهاد أنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرَهُ بإعلان علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفةً على المسلمين من بعده ، قائلًا هذا عليًا وزيري وخليفتي من بعدي ، اللهم والِ من والاه ، وانصر من نصره ، وعادِ من عاداه ، وأخذل من خذله ،

فتجمع المسلمون وبايعوا علي بن أبي طالب بأمارة المؤمنين من بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فليبلغ الحاضر الغائب بذلك ، ثُمَّ قال لهم كيف ستخلفوني فيه ، وهل ستذهب وصيتي هذه عندكم هباءً منثورا .

وقال أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي (٢٢) :

كان عنها لهُم في خُمٍ مُزْدَجَـــرٍ لما رقى أحمدُ الهادي على قتبِ

وقالَ والناسُ من دانٍ إليهِ ومــنْ ثاوٍ لديهِ ومنْ مُصْغٍ ومرتقـــبِ

: قُمْ يا علي فإنّي قد أُمِرْتُ بـأنْ أبلغَ الناسَ والتبليغُ أجدرُ بـــــي

إنّي نصبتُ علياً هادياً علمـــــاً بعدي وإنَّ علياً خيرَ مُنتصـــــبِ

فبايعوكَ وكُلٌّ باسطٌ يـــــــدَّهُ إليكَ من فوقِ قلبٍ عنكَ مُنقلـــبِ

يقول العبدي أنَّ النبيَ محمد الهادي البشير(صلى الله عليه وآله وسلم) ارتقى منبرًا مصنوعًا من أقتابِ الجمال في يوم غدير خُم ، والناسُ مجتمعين حوله ، وكلُّهم آذانٌ تصغى لما سيقوله لهم ، فنادى عليًا وقال له: قُم فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرني بتنصيبك خليفة للمسلمين من بعدي ، وذلك إشارة الى قولهِ تعالى (٢٣) : { يا أيُّها الرسولُ بلغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربكَ، وإنْ لمْ تفعلْ فما بلغتَ رسالتَهُ واللهُ يعصمُكَ من الناسِ } ، ثُمَّ قال : إنّي نصبتُ علي بن أبي طالب (عليه السلام) عليكم خليفة بأمر من الله تبارك وتعالى ، فبايع المسلمون المجتمعون كافة علياً بأمارة المؤمنين من بعد الرسول باسطين أيديهم .

ما لعليٍّ سوى أخيـــه محمدٌ في الورى نظيرُ

فداهُ إذ أقبلتْ قـــريشٌ عليهِ في فرشهِ الأميـــرُ

وافاهُ في خُمٍ وارتضاهُ خليفةً بعدَهُ وزيـــــــرُ

يقول أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي ليسَ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخٌ غير علي بن أبي طالب (عليه السلام) إشارة منهُ يوم المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ، فاختار رسول الله علياً ليكون له أخًا[٢٤] في السنة الأولى من الهجرة في الثاني عشر من شهر رمضان في دار أنس ابن مالك ، وأنَّ عليًا بات في فراش النبي ليلة الهجرة ، وأنَّ رسول الله بأمرٍ من الله اختاره وزيرًا له ، وخليفة من بعده .

وأما شيخ العربية والأدب الشاعر الكبير حبيب بن أوس الطائي المشهور بأبي تمام فقد قال يمدحُ أهل بيت النبي في قصيدة طويلة ، فضلَ فيها أمير المؤمنين على الصحابة كافة ثم ذكرهم بغدرهم بأمير المؤمنين ، ونقضهم بيعة الغدير ، ويعيد عليهم ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه في ذلك اليوم فقال [٢٥] :

فجئتم بها بُكراً عواناً ولـــم يكن لها قبل عوانٌ ولا بِكـــــــرُ
أخوهُ إذا عُدَّ الفخارُ وصـــــهرهُ فلا مثلهُ أخٌ ولا مثلهُ صـــــهرُ
وشُدَّ به أزرُ النبـــي محمـــــدٍ كما شُدَّ من موسى بهارونهِ إزرُ
هو السيفُ سيفُ الله في كُلِّ مشهدٍ وسيفُ الرسولِ لا ددانٌ ولا دثرُ
فأيُّ يدٍّ للذّمِ لـــم يبرَ زندهـــا ووجه ضـــلالٍ ليس فيه له أثرُ
يسدُّ اثغر المُخـــوفِ من الردى ويعتاضُ من أرضِ العدوّ بهِ الثغرُ
بأُحدٍ وبدرٍ حيـــن ماج برجلهِ وفرسـانِهُ أحـــدٌ وماجَ بهُم بـدرُ
ويـــوم حُنيـــنٍ والنضير وخيبرٍ وبالخندقِ الثـاوي بعقوته عمرُو
سما للمنايا الحُمر حتـــى تكشفتْ أسيـــافهُ حمرٌ وأرماحهُ حمـــرُ
مشاهد كان الله كاشـــفَ كربها وفارجهُ لا فيـــها ملتبسٌ أمـــرُ

ويومَ الغديرِ استوضحَ الحقَّ أهلُهُ بفحيـــــاءَ لا فيها حجابٌ ولا سُّـر

أقامَ رسولُ اللهِ يدعـــــوهُم بهـا ليقربَهـــم عُرْفٌ ويناَهُمُ نُكْـــرُ

يمدُّ بضبع،ـيهِ ويعـلمُ: أنَّـــــهُ ولي ومولاكُم فهلْ لكُـم خبـــرُ[٢٦]

يروحُ ويغدو بالبيـــانِ لمعشـرٍ يروحُ بهم غمرٌ ويغدو بهم غمرُ[٢٧]

فكانَ لهُـم جهـرٌ بإثباتِ حقَّـهُ وكانَ لهُم في برِّهِم حقَّهُ جهـــرُ

أبو تمام يشير الى غدر ممن يسمون أنفسهم أصحابًا لرسول الله في يوم السقيفة ، وقيامهم باغتيال بيعة الغدير الشرعية ، واستبدالها ببيعة السقيفة التي لم يرضها الله ولا ورسوله ، وسمى بيعة السقيفة بالداهية الدهياء ، ويذكرَهم أنَّ لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بيعةٌ في رقابهم قد نكثوها ، وبعد ذلك يعدد أبو تمام مآثر الإمام علي وفضائله ، ودوره الكبير في الدفاع عن رسول الله في يوم بدر ويوم أحد ويوم الخندق ويوم خيبر والنضير ويوم حنين ، وأنَّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يشدُّ أزرَ رسول الله ، كما شدَّ هارون أزرَ موسى (عليهما السلام) ، ثم يقول لهم : أنَّ النبيَ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم غدير ، وفي أرضٍ رحبة واسعة ، بيَّنَ لهُم ما أمر الله به بدون حجاب ولا سِتار ، وأنَّ النبي رفع عضديه عاليًا ، قائلًا للمسلمين : إنَّ الله قد اختار علي بن أبي طالب خليفةً عليكم من بعدي ، وهو كريمٌ يأتي من بعدِ كريمٍ ، ولكنَّهم غدروا فشبههم بأصحاب بقرة موسى والغلام القتيل في سورة البقرة .

وهذا أبو الحسين علي بن العباس بن جُريج البغدادي المشهور بابن الرومي يصف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بالذهب الخالص مبيناً أنّ محله من الفضل ، محل الشمس من الكواكب ، أو البدر في الليلة الظلماء بين النجوم ، ثُمَّ يُعرجُ على يوم الغدير وبيعتهُ فيقول[٢٨]:

وأراهُ كالتبرِ المُصفى جـــوهراً[٢٩]

وأرى ســواهُ لنـاقـــديهِ مُبهرجـا

ومحـــله من كـُـلِّ فضـــلِ بيّنٍ

عالٍ محلَ الشمسَ أو بدرِ الدُّجــى

قـــال النبيُ لهُ مـــقالاً لمْ يكنْ

يومُ الغـديرِ لسـامعيـــهِ مُمَجمجا

من كنتُ مـــولاهُ فذا مولى لهُ

مثلي فــأصبحَ بالفـــخارِ مـتوجـا

أما الشاعر أبو فراس الحمداني فيقولُ مستغربًا ومتسائلًا : لِمَ ينكرون بيعة الإمام علي (عليه السلام) ، ألم يسمعوا ببيعة الغدير ، وكلُّهم حضور، حينما نصبَ لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) أميَرًا لهم ، وخليفةً من بعده ، فقال منشداً [٣٠] :

أتراهُـــم لم يسمعوا ما خصّهُ منهُ النبيَ من المقالِ أبـــاهُ؟

إذْ قالَ يومَ غدير خمّ معلنـــاً: من كنتُ مولاهُ فذا مـــولاهُ

هـذي وصيتهُ إليهِ فافهـــموا يا منْ يقولُ بأنَّ ما أوصـــاهُ

قروا من القرآن ما في فضلـهِ وتأملوهُ وافهمـــوا فحـــواهُ

هذه القطعة أسقطها جامع شعر أبي فراس الحمداني ، وذلك لمرض في نفسه ، وضميره الميت ، لأنَّهُ كان من مبغضي الإمام علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام.

وقال أبو فراس الحمداني معارضًا محمد بن سُكرة الهاشمي في قصيدته التي يفتخرُ بها على الطالبيين ، فقال قصيدته المُسماة بالشافية(٣١):

الدِّينُ مُخترمٌ والحقُّ مُهتَضَـــمُ وفيْءُ آلِ رسول الله مُقتسَـــمُ

والناسُ عندكَ لا ناسٌ فيُحفظُهُمْ سُوءُ الرُّعاةِ ولا شاءٌ ولا نِعَمُ

الى أنْ يقول (٣٢) :

قامَ النبيُ بها يومَ الغديرِ لهُـــمْ والله يشهدُ والأملاكُ والأُمَـــمُ

حتى إذا أصبحتْ في غيرِ صاحبها باتتْ تنازعُها الذُّوْبانُ والرِّخَمُ

وَصُيِّرَتْ بينهُمْ شورى كأنَّهُـمْ لا يعلمونَ ولاةِ الأمرِ أينَ هُـمُ

والله لا جَهِلَ الأقوامُ موضعها ولكنَّهُمْ ستروا وجهَ الذّي عَلِموا

وهكذا يتواصل الشعراء في توثيق يوم الغدير مستهجنين قول المخالفين والمنكرين والجاحدين لإمامة أمير المؤمنين وولايته ، فهذا الشاعر أبو محمد المنصور بالله شيخ الزيدية ، يشير إلى ذلك فيقول (٣٣):

قَالَ فِيهِ المُصْطَفَي: أَنْتَ الوَلِي ومِثْلُهُ: أَنْتَ الوَزِيرُ وَالوَصِي

وكَمْ وكَمْ قَالَ لَه: أنْتَ أَخِـــي فَأَيُّهُمْ قَالَ لَهُ مِثْلَ علـــــي

وهَلْ سَمِعْتَ بِحَدِيثِ مَوْلَـــي يَوْمَ الْغَدِيرِ وَالصَّحيحُ أَولَـــي

أَلَمْ يَقُلْ فِيهِ الرَّسُولُ قَـــوْلاَ لَمْ يُبْقِ لِلمُخَالِفِينَ حَـــوْلي

شيخ الزيدية يقول إنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي ابن أبي طالب (عليه السلام) في يوم غدير خُم ، وعلى مسمع ومرآي من رؤوس قريش وزعمائها ممن كانوا معه في حجّة الوداع ، أنت ولي أمر المسلمين من بعدي ، وأنت الوصيُ والوزير ، وأنت أخي فهل قال

الرسول ذلك لأحد من الصحابة أنت أخي غير علي ابن أبي طالب (عليه السلام) .

الخاتمة: شعر كثيرٌ قيلَ في خطبة الغدير وبيعتها ، أخفى الرواة المناهضين والمبغضين لأهل البيت (عليهم السلام) كثيراً منه ، محاولةً منهم لطمس الحقيقة وتزويرها ، إلا أنَّ الله سبحانهُ وتعالى أبى إلا أنْ يظهره ، ليعرف الناس أنَّ بيعة السقيفة غير شرعية ، لأنَّها بيعة الفلتان كما سماها عمر بن الخطاب ، وبيعة السقيفة التي أجهضت بيعة الغدير وقتلتها ، وأنّ كثيراً ممن يدعون أنَّهم أصحابُ رسول الله ، قد نقضوا عهد الله ورسوله عن عمدٍ مع سبق الإصرار ، ولم ينفذوا وصية رسول الله ، وما أراده الله منهم، ذلك لأنَّهم كانوا يلهثون وراء الأموال والمناصب ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله تعالى على محمد واله الطيبين الطاهرين الكرام .

الهوامش :

١- الأحتجاج للطبرسي : ١/ ٥٨ ـ ٦٦

٢- سورة المائدة ، الآية : ٥٥

٣- سورة التوبة ، الآية : ٦٠

٤- سورة المائدة ، الآية : ٦٧

٥- مسند أحمد بن حنبل : ١/ ١١٩

٦- البداية والنهاية : ٧/ ٣٨٦

٧- سورة المائدة ، الآية : ٣

٨- الخصال : ١ / ١٧٣

٩- ديوانه : اسقط القصيدة من الديوان شارح الديوان عبدالرحمن البرقوقي.

١٠- حسّان بن ثابت وشعره في الغدير : الصفحات: ١ – ٢٠

١١- سورة الحُجرات ، الآية : ٦

١٢- تذكرة الخواص : ١١٥ ، الكفاية للكنجي الشافعي : ٥٥ ، شرح نهج البلاغة : ٢/ ١٠٣ ، مطالب السئول : ١٠

١٣- ديوان قيس بن سعد الأنصاري : ٩٣

١٤- الغدير في الكتاب والسنة : ١ / ٣٤١

١٥- عمرو بن العاص وشعره في الغدير : الصفحات: ١ – ٢٠

١٦- الكميت بن زيد الأسدي بين العقيدة والسياسة : ١٧٢- ١٧٣

١٧- سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤

١٨- الحميري وشعره في الغدير - الصفحات: ١ – ٢٠

١٩- سورة المائدة ، الآية : ٦٧

٢٠- الوديقة: شدة الحر. والصيخود : شديد الحر. ويقال : يوم صيخود وصخدان.

٢١- الصوت المديد : الصوت العالي

٢٢- العبدي الكوفي وشعره في الغدير / الصفحات: ١ – ٢٠ وشعر أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي أسقطه من شعر عبدالقيس جامع شعر عبدالقيس في الجاهلية والإسلام.

٢٣- سورة المائدة ، الآية : ٦٧

٢٤- ينابيع المودة : ٥٦ ، كنز العمال : ٦ / ٣٩٠ ، تذكرة الخواص : ٢٣

٢٥- ديوان أبي تمام : ١٤٤ ـ ١٤٥

٢٦- ضبعيه : عضديه

٢٧- الغمر : الكريم الواسع الخلق

٢٨- في رحاب الشيعة : ٨٧

٢٩- التبر المصفى : الذهب الخالص

٣٠- ابن الرومي وشعره في الغدير : الصفحات: ١ ـ ٢٠

٣١- ديوان أبي فراس : ٢٣٥ ، شرح ديوان أبي فراس : ١٩٧

٣٢- ديوان أبي فراس : ٢٣٧ ، شرح ديوان أبي فراس : ١٩٩

٣٣- الغدير : ٥/ ٤١٨

المصادر :

- القرآن الكريم
- الإحتجاج – للعلامة أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، منشورات دار الشريف الرضي ، ١٩٦٦م .
- ابن الرومي وشعره في الغدير : الصفحات: ١ ـ ٢٠
- البداية والنهاية – لابن كثير أبي الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، ط١ ، مكتبة المعارف ببيروت ، ومكتبة النصر بالرياض ، ١٩٦٦م.

- تذكرة الخواص - ليوسف بن قزألي الحنفي البغدادي المشهور بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٣هـ .
- حسان بن ثابت وشعره في الغدير.
- ديوان أبي تمام – شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية ، مراجعة يونس الموصلي ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، العازارية ، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
- ديوان أبي فراس الحمداني (المخطوطة المغربية) – تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ٢٠٠٠م ، الكويت.
- ديوان قيس بن سعد الأنصاري – جمع وتحقيق وشرح قيس العطار ، انتشارات دليل مطبعة عترت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ .
- السيد الحميري وشعره في الغدير.
- شرح ديوان أبي فراس الحمداني (المخطوطة التونسية) المكتوبة في سنة ٥٤٨هـ - تحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ٢٠٠٠م ، الكويت.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري – ضبط الديوان وصححه عبدالرحمن البرقوقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان (د . ت) .
- شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي عليه السلام – لابن أبي الحديد عزالدين بن عبدالحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة، ١٩٥٩م .
- العبدي الكوفي وشعره في الغدير.

- عمرو بن العاص وشعره في الغدير.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب – الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي ، دار الكتب الإسلامية ، بازار سلطاني طهران ، ١٣٦٦هـ .
- في رحاب الشيعة – للشيخ باقر شريف القرشي ، مؤسسة تحقيقات ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام ، إيران ، ٢٠٢٠م .
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب – محمد بن يوسف كنجي (ت١٢٢٩هـ) ، المطبعة الحيدرية ٢٠١٦م ، النجف الأشرف.
- الكميتُ بن زيد الأسدي بين العقيدة والسياسة – الدكتور علي نجيب عطوي ، دار الأضواء ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – للمتقي الهندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، رقم أحاديثه محمد عبدالسلام الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، بيروت لبنان .
- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول – لكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت١٢٥٤هـ) ، تحقيق ماجد بن أحمد العطية ، (د. ت) .
- ينابيع المودة لذوي القُربى – للقندوزي ، تحقيق سيد علي جمال الحسيني (ت١٢٩٤هـ) ؛ ١٤١٦هـ .

الفصل الرابع

السيدةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام)

سيرتُها وألقابُها وكناها

السيدةُ فاطمةُ الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام قصيرةُ النسبِ، فهي تُعرِفُ نفسها بنفسها ، فبمجرد أنْ تقول : السيدة فاطمة أو الزهراء ، يذهبُ بك الفكر والعقل الى سيدة النساء فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا حاجة لها أنْ تذكر هي بنت من ؟ أو زوج من ؟ أو أمُّ من ؟ فهيَ أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ .

وُلِدَتْ السيدةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام) في بيتٍ تعرجُ منهُ الملائكةُ صعودًا ونزولًا ، وهي تحملُ آيات القرآن الكريم الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولدينا في تاريخ ميلادها أربعةُ أقوالٍ رئيسة، فضلاَ عن أقوال اخرى ، فالأقوال الرئيسة هي كما يأتي :

أولًا : وُلِدَتْ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، يومُ الجمعة في العشرين من شهر جمادى الآخرة ، في السنة الثانية للبعثة النبوية الشريفة [١] .

ثانيًا : المشهور عند العلماء ، ولاسيما الشيخ مُؤمن بن حسن بن مُؤمن الشبلنجي الذي قال في كتابه نور الأبصار في مناقب آل المختار[٢]: (إنَّها ولدت في السنة الخامسة قبل البعثة الشريفة عندما كانت قريش تُعمّرُ الكعبة من جراءِ ضررٍ أصابَها من السيول) .

ثالثًا : قال العلامة المجلسي:[٣] : (في العشرين من شهر جمادي الآخرة في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية الشريفة) .

رابعًا : فيما قال العلامة محب الدين الطبري [٤] : إنَّها ولدت في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأنا أرجح الرأي الثاني على الآراء الأخرى ، لأنَّهُ منطقي ، مقبولٌ ومعقولٌ .

سماها أبوها النبيُّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة ، ولعلَّ سائلٌ يسألُ لِمَ سماها فاطمة ؟ فيكون الجواب ، من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما خاطب فاطمة وعليًا عليهما السلام قائلاً[٥] : (يا فاطمة أ تدرينَ لِمَ سُميتِ فاطمة ؟ قال عليٌ : يا رسول الله لِمَ سُميتْ فاطمة ؟ قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة) ، وأكد هذا الاسمُ الإمام علي بن موسى رضا (عليه السلام) في مسنده ، برواية أخرى تختلف من حيث المنطوق فقال قال رسول الله [٦]: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن أحبهم من النار) ، فلذلك سميت فاطمة ، وهي حوريةٌ أنسية .

ألقابُها : للسيدة فاطمة الزهراء عدةُ القابٍ عُرِفَتْ بها واشتهرتْ وهي كما يأتي :

١- الزهراء وهو أشهر ألقابها والذي أصبح ملازمًا لاسمها ، اطلق هذا اللقب على السيدة فاطمة (عليها السلام) عدد من العلماء القدماء منهم ابن حبان البُستي، والخطيب البغدادي وابن عبد البر، وابن الاثير، وابن حجر، وغيرهم وذلك لأنَّها كانت مشرقةٌ بيضاءٌ مستنيرةٌ ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أزهرُ اللونِ [٧] ، واطلق لقب الزهراء على فاطمة لأنَّها كأبيها في اللون والجمال وحُسن الوجه، وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام[٨] : (سُميت بالزهراء لأنَّها إذا قامت في محرابها زهرَ نورها لأهل السماء كما يزهرُ نور الكواكب لأهل الأرض) ، وسميت بالزهراء[٩]: (لأنَّها زهرة المصطفى (صلى

الله عليه وآله وسلم)) ، وروي أنَّها لقبت بالزهراء لأنَّ بنورِها زهرتْ السموات السبع (١٠) ، وروي أنَّها سُميت بالزهراء لأنَّ الله خلقها من نورِ عظمته (١١) ، ومن أجل ذلك كله قال الشاعر الشيخ علي الجشي(١٢) :

أضاءتْ بها الأكوانُ والأرضُ والسما

قديماً وفي الدُّنيا وفي النشأةِ الأخـــرى

وما زالَ في الأدوارِ يشرقُ نورُهـــــا

٢- البتول : لقبت بالبتول لأنَّها تبتلت من الحيضِ والنفاسِ ، وهي حوريةٌ في صورةِ إنسيةٍ ، لأنَّ ذلك نقصان في بنات الأنبياء (١٣) ، والبتولُ هي التي لم ترَ حمرةً قط (١٤)، وقال الإمام الصادق عليه السلام (١٥): (لأنَّها فُطِمَتْ عن الطمثِ) .

٣- الطاهرة : من ألقابها الطاهرة ، لما ولدت السيدة فاطمة (عليها السلام) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لخديجة (١٦) : (خُذيها يا خديجة ، طاهرة مطهرة زكية ميمونة) ، قال الامام ابو جعفرٍ محمد الباقر عليه السلام (١٧): (لطهارتها من كُلِّ دنسٍ وطهارتها من كُلِّ رفثٍ وما راثْ قط يوماً حمرةً ولا نفاسًا)، وبذلك فازت فاطمة بالزكاة والطهارة الفطرية الذاتية (١٨) ، وقد سُميت بالطاهرة لأنَّها من ضمن آية التطهير.

٤- الصِدّيقة: والصِدّيقة صيغة مبالغة في التصديق، والصِدّيق هو المُصدق بكُلِّ ما امرَ الله بهِ وبأنبيائهِ، لا يدخلُهُ الشك ويؤيد ذلك قوله تعالى: {والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصِدّيقون}(١٩) ، وقد سماها رسول الله بالصِدّيقة (٢٠) كما قال رسول الله للإمام علي : أُتيتَ ثلاثًا لم يُؤتهن احدٌ ولا أنا :

١- أُتيتَ صِهْرَا مثلي ولم اوتَ أنا مثله .

٢- أُتيتَ زوجةً صِدّيقةً مثل ابنتي ، ولم أوتَ أنا مثلها زوجةً .

٣- وأوتيتَ الحَسنَ والحُسينَ من صُلبكِ ولم أوتَ من صلبي مثلهما .

قال الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام [٢١] : (إنَّ فاطمةَ عليها السلام صِدّيقة شهيدة ، وإنَّ بناتِ الأنبياءِ لا يطمثنَّ) .

٥- المُحَدَثة : ومن ألقابها الأخرى المُحدثة ، وهي التي تُكلمها الملائكة بلا نبوةٍ ولا رؤيةِ صورةٍ ، أو تُلهم ويُلقى في روعها شيءٌ من العلمِ على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى ، أو بتلت له في قلبه من حقائق تخفى على غيره [٢٢] ، وهي كرامة خصَّ بها اللهُ سبحانه وتعالى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، فقد قال الإمام أبو عبدالله جعفرٍ الصادق (عليه السلام) [٢٣] : (إنَّما سُميتْ فاطمة (عليها السلام) مُحدثة لأنَّ الملائكة كانت تهبط من السماء ، فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران ، فتقول : يا فاطمة إنَّ الله اصطفاكِ وطهركِ ، واصطفاكِ على نساء العالمين ، يا فاطمة اقنتي لربكِ واسجدي واركعي مع الراكعين ، فتحدثهم ويحدثونها ، فقالت لهم ذات ليلةٍ : أليستْ المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران ؟ فقالوا : إنَّ مريم كانتْ سيدةُ نساءِ عالمها ، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلكِ سيدة نساء عالمكِ وعالمها ، وسيدة نساء الأولين والآخرين) ، وهذا يعني أنَّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أعلى مرتبةً وأسمى درجةً من مريم بنت عمران (عليها السلام) .

٦- الزكية : التزكية التطهير من الأخلاق الذميمة الناشئة عن الغضب والحسد والبخل وحب الجاه وحب الدُّنيا والكبر والعجب ، فمن عالج هذه الأمراض بالأعمال الصالحة ، صارت نفسه مُطهرة مُزكاة [٢٤] ،

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لخديجة الكبرى (عليها السلام) لما ولدت فاطمة [٢٥] : (خُذيها يا خديجة طاهرة ، مطهرة ، زكية ، ميمونة) ، فهي زكية بالفطرة .

٧- ولها ألقابٌ أخرى مثل : الراضية والمرضية والمباركة فضلًا عن ألقاب أخرى، فقد قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لفاطمة تسعة أسماء - وأراد تسعة الألقاب مثل ما قيل في إسماء الله الحسنى وهي ألقاب وليست أسماء - [٢٦] : (فاطمة ، الصِدّيقة ، المُباركة ، الطاهرة ، الزكية ، الرضية ، المرضية ، المُحدثة ، الزهراء) .

كُناها : للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عـدة كُنى ، وهي كما يأتي:

أولاً : أمُّ الحَسن وهو ابنها البكر والسبط الأكبر والسبط الأول .

ثانيا : أمُّ الحُسين وهو ابنها الثاني والسبط الأصغر والسبط الثاني .

ثالثاً : أمُّ الحسنين ، لأنَّ الحَسن والحُسين في مرتبةٍ واحدةٍ ودرجةٍ واحدةٍ.

رابعاً : أمُّ السبطين لأنَّهما سبطا رسول الله .

خامساً : أم الريحانتين لأنَّهما ريحانتي رسل الله .

سادساً : أم أبيها سُميتْ امُّ أبيها لأنّها كانت لأبيها بمنزلة الأم في حنانها وعطفها ، وتسعى في قضاء حوائجه وخدمته وتلبية رغباته، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يراها بمنزلة الأم في التعظيم والاحترام ، ولذا كان يقبل يديها ويقومُ احترامًا واجلالًا لها، حينما تدخل عليه [٢٧] ، وأنا لي رأيٌ خاص في هذه الكنية، ذلك لما سُميتْ زوجات النبي أمهات المؤمنين ، أصبحنَّ أعلى مرتبة من السيدة فاطمة (عليها السلام) ، وبما أنَّ هذا لا يصحُ مطلقًا ، فكُنيتْ أم أبيها استناداً لما تقدم من إجلال أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها ، فهنَّ أُمهاتُ عامة المسلمين ، وهي أمٌ خالصةً

وخاصةٌ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون زوجاته ، وبذلك أصبحت أعلى منهن مرتبةً ، وأسمى درجةً، والله أعلم بصواب رأيي من خطئهِ .

فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي أصغر بنات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، توفيت أمها خديجة الكبرى (عليها السلام) ولها من العمر ((١٣)) ثلاث عشرة سنة ، ثم عاشت مع أبيها ((٥)) خمس سنوات حتى تزوجها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في السنة الثانية من الهجرة ، ولما تزوجها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، كانت قد بلغت من عمرها الشريف ((١٨)) ثماني عشرة سنة .

حينما هاجر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تركها وديعةً عند ابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي أمره باللحاق به بعد ذلك ، فهاجرت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد هجرة أبيها رسول الله بعدة أيامٍ مع ركب الفواطم الذي كان بحماية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وسُمي ركبُ الفواطم لأنَّ كلَّ ما فيه من النساء أُسمها فاطمة ، فهي فاطمة بنت محمد ، وهنَّ : فاطمة بنت أسد أُمُّ الإمام علي (عليهما السلام) ، وفاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب ، وفاطمة بنت عقيل بن أبي طالب ، وفاطمة بنت الزُّبير بن عبدالمطلب ، والإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) يحدو الركبَ ويسوسه الى يثرب (المدينة المنورة) ممتشقًا سيفه البتار ، ومن أراد أنْ تثكله أُمهُ فليحق الركب ، ووصل الركب سالمًا الى يثرب والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينتظره خارج يثرب في مسجد قباء حتى وصل بسلام [٢٨] .

زواجها : ولما بلغت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) سن الزواج تقدم لخطبتها أشهر رجالات قريش ، ومنهم أبو بكر ، ثم عمر بن الخطاب تقدما يخطبان فاطمة ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنتظر أمر الله فيها ، ثم خطبها علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فقال الإمام علي :

فقمتُ أجرُ ردائي ، حتى أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت لرسول الله جلالةٌ هيبةٌ ، فلما قعدتُ بين يديه ، أفحمت فوالله ما أتكلم ، فقال : ما جاء بك ؟ ألك حاجة فسكتُ ، فقال لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ قلت : نعم ، قال : هل عندكَ من شيءٍ تستحلُها به ؟ قلت : لا والله يا رسول الله ، فقال : ما فعلت بالدرع التي سلحتكها ؟ فقلت : عندي والذي نفس علي بيده إنَّها لحطمية (لا قيمة لها) ما ثمنها إلا أربعمائة درهم ، قال: قد زوجتكها فابعثْ بها فإنها كانت لصداق لفاطمة بنتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم أنَّ علياً (عليه السلام) خرَّ لله ساجدًا شاكرًا[٢٩]، وقبل مجيء الإمام علي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان عند رسول الله خادمه أنس ، فهبط جبرئيل الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحدثه بخبرٍ مُهمٍ ، ولما انقضى الوحيُ ، قال النبي لأنس[٣٠] : (أ تدري بما جاءني به جبرائيل من عند صاحب العرش عزَّ وجلَّ ؟ قلتُ بأبي وأُمي بما جاءك ؟ قال : قال جبرائيل : إنَّ الله يأمرك أنْ تزوج فاطمة من علي) ، قال الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام[٣١]: (لولا أنَّ الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين لفاطمة ، ما كان لها كفؤُ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه) .

أثاث بيتها : كان أثاثُ بيت العريسين (علي وفاطمة) بسيطًا ، ويتكون من سرير شريط ، ووسادة من أدمٍ حشوها ليف ، وأرضية البيت من كثيبٍ (رمل) ، وقال النبيُّ لأم أيمن انطلقي الى فاطمة ، ثم قال لعلي : لا تعجل حتى آتيك ، فانطلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم أتاهما فقال لأم أيمن : هاهنا أخي ؟ قالت : نعم أخوك وتزوجه ابنتك ؟ قال : نعم ! فدخل عليهما ، وقال لفاطمة : ايتيني بماء ، فأتته فاطمة بقعب فيه ماء فمج فيه ثم نضح على رأسها وبين ثديها ، وقال : اللهم إنّي أعيذُها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، ثم قال لعلي : ايتني بماء ، قال فملأت القعب فأتيته به ، فمج فيه فنضح منه على رأسي وبين كتفيَّ ، وقال : اللهم إنّي أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ، ثم قال : ادخل بأهلك على اسم الله تعالى

وبركاته ! [٣٢] ، وكان عقد القِران في شهر رمضان الكريم ، والزواج في شهر ذي الحجة بعد العودة من معركة بدر الكبرى ، وكان زواجهما من أبهج الأيام في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان بيتها مجاورًا لبيته ، وله ثلاثةُ أبواب ، الأول داخلي يطل على المسجد الحرام ، والثاني يطلُ على بيت النبي ، والثالث خارجي يطل على المدينة ، وعندما أغلقت البيوت المطلة على المسجد الحرام ، لم يغلق رسول الله باب عليٍّ وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قال [٣٣] : (سدوا هذه الأبواب إلا باب علي ، فقال بعضهم فيه، فقال النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) : (والله ما سددتُ شيئًا ، ولا فتحتهُ، ولكنَّ أُمرتُ بشيءٍ فاتبعتهُ) ، وحرَّم الله النساء على الإمام عليٍّ (عليه السلام) مادامتْ فاطمة على قيد الحياة ، لأنَّها طاهرة لا تحيض [٣٤] .

وكانت ثمرة هذا الزواج المبارك ولدين وبنتين هم على التوالي : الحَسن والحُسين وزينب وأم كلثوم والمُحسن سقطاً بسبب حادثة الدار وحرق الباب [٣٥].

كَمُلَ كثير من الرجال منهم الأنبياء الأوصياء والصِدّيقين ، ولم يكمل من النساء إلا أربع ، ففي ذات مرة كان النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) جالساً مع أصحابه ، فخطَّ على الأرض أربعة خطوطٍ وقال [٣٦] : (أتدرون ما هذا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله : أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيه بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران) ، ومن هذا الحديث نفهم ونستدل على أنَّ السيدة فاطمة الزهراء كاملة مكملة عالمة غير مُعلمة معصومة من الخطل والخطأ .

كان الوحي يهبطُ في بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام) عندما يكون النبي في بيتها ، وكذلك تهبط فيه الملائكة زائرين ومبشرين ومنذرين ومبلغين ، هذه هي حرمة هذه دار فاطمة ، فالعجب كل العجب لما حصل لهذه الدار وبابها بعد شهادة رسول الله ، وكان النبيُّ (صلى الله

عليه وآله وسلم) يحترم هذا البيت ، واذا أراد الدخول يقرع الباب ، ويستأذن من فاطمة بالدخول ، فيقول [٣٧] : (يا آل محمد أ تأذنون لمحمد بالدخول ؟ فتقول فاطمة : أدخل يا أبه على الرحب والسعة ، البيت بيتك ، والابنة ابنتك ، والكريمة كريمتك) .

مكانتها : كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تحتل مكانة كبيرة جدًا في قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال عنها [٣٨] : (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني) ، وكان عليه الصلاة والسلام إذا عاد من سفرٍ من خارج المدينة أول بيتٍ يدخله بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ويقبلُ نحر فاطمة ، ويقول [٣٩] : (منها أشمُ رائحة الجنة) ، كما كان يقول [٤٠] : (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقَّ عليّ وفاطمةٍ والحَسنِ والحُسينِ [٤١] : (أنا وعليٌّ وفاطمة الحسن والحسين يوم القيامة في قُبةٍ تحت العرش) .

كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت أم سلمة وعندها ابنتها زينب بنت أبي سلمة ، وكانت السيدة فاطمة الزهراء حاضرة مع ابنيها الحَسن والحُسين (عليهم السلام) ، فجعل النبي الحَسن في شقٍ والحُسين في شقٍ وفاطمة في حجره ، فقال [٤٢] : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنَّهُ حميد مجيد ، فبكتْ أم سلمة ، فنظر إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ما يبكيك ؟ قالت : يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي ، فقال : إنَّك وابنتك من أهل البيت) .

قال الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) [٤٣] : (فاطمة الصِدّيقة الكُبرى ، وعلى معرفتها دارتْ القرون الأولى) .

قال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) [٤٤]: (لا يدخل الفقرُ بيتًا فيه أسم فاطمة من النساء) .

قال الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) [٤٥] : (نحنُ حُجج الله على الخلق ، وجدتنا فاطمة حُجةٌ علينا) .

ومن عظيم شأنها أنَّها كانت تدعو للمسلمين ولم تدعُ لنفسها ، فسألها أبنها الإمام ابو محمد الحسن المجتبى عليه السلام (٤٦) : (يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟ فقالت له فاطمة : يا بني الجار قبل الدار) .

قال الحسن البصري [٤٧] : (ما كان في هذه الأمة أعبدُ من فاطمة عليها السلام).

فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش ، يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم ، وغضوا أبصاركم ، حتى تمرُ فاطمة بنت محمد على السراط ، فتمر ومعها سبعون الف جارية من الحور العين كالبرق اللامع[٤٨] .

حجَّتْ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع بعلها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة [٤٩] ، كما حضرتْ بيعة غدير خم ، واستمعتْ لها [٥٠] .

فاطمة الزهراء والقرآن الكريم : وُلِدّتْ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في بيت كان مهبطًا للوحي ، وتعرج منه الملائكة صعودًا ونزولًا، كانت تنظر الى أبيها حين يتغشاه الوحي ، وتسمع من أخبار السماء ، لذلك علاقتها وثيقة بالقران الكريم تقرأهُ ليلًا ونهارًا ، لذلك كانت هناك آيات مخصوصة لها على وجه التحديد ، بمشاركة أهل بيتها الكرام (عليهم السلام) ، فمن السور التي كانت مخصوصة باسمها سورة الكوثر ، نزلت هذه السورة المباركة في العاص بن وائل السهمي الأموي ، والد عمرو بن العاص ، يقول عبدالله بن عباس [٥١] : نزلت في العاص ، إذ رأى رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج من المسجد ، وهو يدخل ، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا ، وأناسٌ من صناديد قريش في المسجد جلوس ، فلما دخل العاص ، قالوا له : من الذي كنت تحدث ؟ فقال ذلك الأبتر ، يعني النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وكان قد توفي قبل ذلك عبدالله بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان من خديجة ، وكانوا يسمون من ليس له ابن ابترًا ، فأنزل الله تعالى هذه السورة) ، وكان العاص إذا ذُكرَ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : دعوه ، فإنَّما هو رجلٌ أبتر ، لا عقب له ، لو هلك ، انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله تعالى في ذلك : { إنا أعطيناك الكوثر ۞ فصلِ لربكَ وانحرْ ۞ إنَّ شانئك هو الأبتر} ، وكان العاص إذا مر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : إنّي لأشنؤك ، وإنَّكَ لأبتر من الرجال ، فأنزل الله تعالى : { إنَّ شانئك هو الأبتر} من الدُّنيا والأخرة ، والكوثر هي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وذريتها ملأتْ الآفاق عدداً لا يحصيه إلا الله .

ونزلت سورة الإنسان فيها وفي عليٍّ والحَسن والحُسين (عليهم السلام) ، ولهذه السورة سبب نزول هو [٥٢] : إنَّ السبطين الحَسن والحُسين (عليهما السلام) مرضا ، فعادهما جدهما (صلى الله عليه وآله وسلم) وعادهما بعض الصحابة فقالوا : يا أبا الحسن ! لو نذرت على ولديك ! فقال (عليه السلام) إن برئَ ولدايَ مما بهما صمتُ لله ثلاثة أيام شكرًا لله ، وقالت فاطمة (عليها السلام) مثل ذلك ، وقالت جارية يقال لها فضة ، وقال الصبيان نحنُ نصوم ثلاثة أيام ، فألبسهما الله العافية وليس عندهم قليل ولا كثير ، فانطلق علي (عليه السلام) الى رجل من اليهود ، يقال له شمعون بن حابا فقال له : هل تأتيني بجزة من صوف تغزلها لك بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بثلاثة أصواعٍ من شعير ؟ قال : نعم ، فأعطاه ، ثم قامت فاطمة (عليها السلام) الى صاعٍ وطحنته واختبزت منه خمسة أقراص ، لكل واحدٍ منهم قرص ، وصلى علي (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المغرب ، ثم أتى فوضع الطعام بين

يديه، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ! أنا مسكين اطعموني شيئاً ، فأعطوه الطعام ، ثُمَّ جاءهم في اليوم الثاني يتيمًا فأطعموه ، وفي اليوم الثالث أسيرًا فأطعموه ، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليها ، لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح ، فلما أنْ كان اليوم الرابع وقد قضَوْا نذرهم ، أخذ عليٌّ بيده اليمنى الحَسن وبيده اليسرى الحُسين (عليهما السلام) وأقبل نحو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهما يرتعشان كالفراخِ من شدةِ الجوع ، فلما بصر بهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انطلق الى ابنته فاطمة (عليها السلام) ، فانطلقوا إليها وهي في محرابها تصلي ، وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عيناها ، فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : وا غوثاه يا الله ! أهل بيت محمد يموتون جوعاً ! فهبط جبريل (عليه السلام) فأقرأهُ { هل أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهرِ لم يكنْ شيئًا مذكورًا } الى آخر السورة المباركة ، ونلحظ في هذه السورة المباركة قد ذكر الله سبحانه وتعالى كلّ نِعم الجنة إلا انَّهُ استثنى نعمةً واحدةً لم يذكرها ، ألا وهي الحور العين ، وذلك إكرامًا وتكريمًا للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ونزلت آية التطهير فيها وفي عليٍّ والحَسن والحسين (عليهم السلام) ، هذه الآية الكريمة لها ارتباط وثيق بحديث الكساء ، وذلك أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زار السيدة فاطمة (عليها السلام) وطلب منها أنْ تجلله بالكساء اليماني الأخضر ، فجاء الحَسن (عليه السلام) وقال: لأمه : يا أماه إنّي لأجد ريحًا طيبًا كأنَّهُ ريح جدي قالت : نعم هو تحت الكساء فطلب الأذن ودخل معه تحت الكساء ، ثم جاء الحُسين (عليه السلام) وقال لأمه مثلما قال الحَسن ، ودخل معهما تحت الكساء ، ثم جاء عليٌّ (عليه السلام) وقال لفاطمة : يا بنت رسول الله إني لأجد ريحًا طيبة مثل ريح اخي وابن عمي رسول الله ، قالت : نعم هو تحت الكساء مع ولديك ، فجاء يطلب الأذن للدخول فسمح له النبي بالدخول ، وأخيرًا جاءت فاطمة وطلبت الأذن للدخول معهم فسمح لها بالدخول ، فاجتمعوا

خمستهم تحت الكساء ، فنزلت آية التطهير لتطهر من تحت الكساء [٥٣] : {إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرجسِ أهل البيتِ ويطهركُمْ تطهيرًا } فمن هذه الآية كريمة نفهم ونستدلُ على أنّ اصحاب الكساء الذين طهرهم الله من الأرجاس والأدناس هم معصومون من الخطأ والخطل ومن العيوب كافة .

وفيها وفي علي والحَسن والحُسين (عليهم السلام) نزلت آية المباهلة التي كادت أن تجري مع نصارى نجران لولا انسحابهم في اللحظات الأخيرة ، وقد نصت الآية الكريمة على من شملتهم آية التطهير وحديث الكساء فقال تعالى [٥٤] : { فمنْ حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقلْ تعالَوْا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونسائنا ونسائكم ثمَّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين} ، وكان النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المباهلة خرج محتضنًا الحُسين وآخذاً بيد الحَسن ، وفاطمة تمشي خلفه ؛ وعلي يمشي خلفها ؛ والرسول يقول لهم : إذا دعوتُ فأمنوا ؛ فقال أسقفُ نجران : يا معشر النصارى ؛ أنَّي أرى وجوهاً ، لو سألوا الله أنْ يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بهم ، فلا تباهلوهم فتهلكوا [٥٥] .

وفي فاطمة الزهراء وعلي والحَسن والحُسين (عليهم السلام) نزلت آية المودة المباركة ، وسبب نزول هذه الآية الكريمة ، إنَّ بني النجار أخوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أرادوا أنْ يجمعوا مالًا لرسول الله تكريمًا له على هدايتهم واخراجهم من الظلمات الى النور ، وجاءوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبروه بما يريدون القيام به ، فنزل قوله تعالى [٥٦] : { قلْ لا أسئلكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى } ، فسأل الصحابة [٥٧] : (يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قرابتك هؤلاء الذين وجبتْ مودتهم ؟ قال : عليٌّ وفاطمة وابناهما) ، وقال لهم[٥٨]: (إنَّ الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي ، وأني سائلكم غداً عنهم).

علاقة السيدة فاطمة الزهراء بعائشة : لم تكن العلاقة بين السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وعائشة زوجة أبيها على ما يرام ، فكان الحسدُ

والحقدُ يملأُ قلب عائشة ويأكله غيرة منها ، لأنَّها تتبوأ المكان الأول في قلب رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد روى الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) قائلًا [٥٩] : (دخل رسول الله منزله، وإذا بعائشة مقبلة على فاطمة تُصايُحها ، وهي تقول : والله يا بنت محمد ما ترين إلا أنَّ لأمكِ علينا فضلاً ، وأي فضل كان لها علينا ، وما هي إلا كبعضنا ، فسمع النبي مقالتها لفاطمة ، فلما رأت فاطمة رسول الله بكتْ ، فقال : ما يبكيك يا بنت محمد ؟ قالت : ذكرت عائشة أُمي فتنقصتها فبكيت، فغضب رسول الله ، ثُمّ قال لعائشة : مَهْ يا حُميراء ، فإنَّ الله تبارك وتعالى ، بارك في الودود الولود ، وإنَّ خديجة ولدت مني طاهرًا ، وولدت مني القاسم ، وأنت ممنْ أعقمَ الله رحمها ، فلم تلدي شيئًا) ، وكان النبيُّ قد اهتزَ مقدم شعره من الغضب عند انتقاص عائشة من خديجة بمحضر فاطمة ، فقد قالت عائشة لرسول الله : وهل كانت إلا عجوزًا ، قد أبدلك ورزقك الله خيرًا منها ، فقال وهو غاضبٌ [٦٠] : (لا والله ما رزقني الله، ولا أبدلني الله خيرًا منها ، آمنتْ بي إذ كفروا وكذبني الناس ، وأعطتني مالها حين حرمني الناس ، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولادًا إذ حرمني أولاد النساء) ، وتبقى خديجة الكبرى أفضل نساء النبي وأكملهن عقلاً وحلماً ، لأنَّها من النساء الكُمل ، وهي الزوجة التي حياها الله سبحانه من فوق العرش ، إذْ هبط جبريل الى رسول الله وقال له [٦١] : (يا رسول الله هذه خديجة قد أتتْ معها إناءٌ فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا أتتكَ فأقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيتٍ من قصبٍ لا صخبَ فيه ولا نصب) ، القصب هنا الدر المجوف ، لا صخب فيه ولا نصب : لا صياح فيه ولا ضوضاء ولا جهد ولا تعب .

عاشت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عيشة صعبة مع عسر الحال وقلة المال وكثرة العيال ، لذلك كانت مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) تلبس الملابس الرخيصة الثمن لكي لا ترهق زوجها وتحمله فوق طاقته وقد رآها سلمان المحمدي ذات يومٍ وهي لابسة

شملة قديمة من صوف ، فبكى وتألمَ لضيقِ حالها وصعوبة معيشتها فقال[٦٢] : (وا حزناه ، إنَّ بنات قيصر لفي السندسِ والحريرِ ، وابنةُ محمدٍ عليها شملة من صوف خلقة ؟ فيجيبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلًا : يا سلمان : إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق).

السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد شهادة رسول الله : بكتْ عليه بكاءً شديدًا ، فكانت تبكيه ليلًا ونهارًا ، حتى قال شيوخ المدينة للإمام علي (عليه السلام) : يا أبا الحسن إنَّ فاطمة تبكي بالليل والنهار ، فلا أحد منا يتهيأ له النوم ولا يهنأ ... إنا نسألك ، إما أنْ تبكي ليلًا أو نهارًا ، فقال لهم : حُبًّاً وكرامة ، فأقبل اليها وهي لا تفيق من البكاء ، ولا ينفع فيها العزاء ، فلما رأته سكتتْ هنيئة له ، فقال لها : يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنَّ شيوخ المدينة سألوني أنْ أسألك إما تبكين أباك ليلًا وإما نهارًا ، فقالت : يا أبا الحسن : ما أقل مكثي بينهم ، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم ، فوالله لا أسكت ليلًا ولا نهارًا أو ألحق بأبي رسول الله ، فقال لها افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك ، ثُمَّ بنى لها بيتًا في البقيع نازحًا عن المدينة ، يسمى بيت الأحزان ، وكانت إذا أصبحت قدَّمت الحسن والحسين أمامها وخرجت الى البقيع باكيةً ، فلا تزال بين القبور باكية ، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين إليها ، وأخذها بين يديه الى منزلها [٦٣] .

كانت شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بدايةً للأيام السود العصيبة التي حلتْ على بيت علي وفاطمة فتعرضتْ للسلب ولاعتداء بالضرب والسب والشتم ، وعلى الرغم من سجلها الذهبي الرائع، والمكانة العلية المتميزة التي كانت تتمتع بها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتعيشها في حياة أبيها ، إلا أنّها تحملت من الظلم والتعسف والشدائد والمصائب بعد شهادة أبيها ما لم يستطعْ تحملهُ انسان قط ، فقد تعرضتْ للقهر والعدوان والظلم ، كما تعرضت للأذى بالأقوال والأفعال ،

وتعدُ هذه المرحلة الممتدة بين شهادة أبيها وشهادتها من أحلك الأيام سوادًا؛ وأسوئها في كلِّ مراحل حياتها ، إذْ كانت مرحلةً قاسيةً جدًا تمثلت بفقدانها لوالدها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وسلب حقوقها وأموالها ، فضلًا عن اقتحام دارها ، وحرق باب بيتها ، والاعتداء عليها ضربًا ؛ فقد ضربها عمر على بطنها يوم السقيفة حتى القتْ جنينها من بطنها ، وكان عمر يصيحُ احرقوا دارها بمن فيها ، ولم يكن في الدار غير عليٍّ وفاطمة والحَسن والحُسين (عليهم السلام) [٦٤] ، فقد ذكر صاحبُ لسان الميزان أنّ عمرَ رفسَ فاطمة حتى اسقطتْ بالمُحسن [٦٥] وعلى الرغم من قول المسلمين لعمر بن الخطاب ، أنّ خلف الباب فاطمة ؛ فقال : وإنْ ... [٦٦]، وقد جسدت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ذلك في شكواها التي بثتها الى أبيها رسول الله قائلة [٦٧] :

صُبتْ عليَ مصائبٌ لوْ أنـّهـا صُبتْ على الأيّامِ صِرنَ لياليـا

تعرضت السيدة فاطمة الزهراء للظلمِ والجورِ والقهرِ منذُ اللحظات الأولى لشهادة والدها سيد الكونين أبي القاسم محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ فقد هبتْ من السقيفة عاصفةٌ سوداءٌ مظلمةٌ مملوءة حقدًا وبغضًا وكراهية للبيت العلوي الفاطمي ، لتعصف بشدة ، وتزأر بقوة على آلِ رسول الله ؛ فتسلب ما لهم من حقوقٍ شرعيةٍ ، وأموالٍ ورثوها عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بل الأدهى والأمر من كلِّ ذلك هو انتزاع ما في أيديهم ، وتجريدهم مما يملكون بحجج واهية مرفوضة شرعًا واجتماعيًا ، فبعد العزّ والدلال ، أصبح دور أل رسول الله هامشيًا بعد أنْ شادوا صرح الإسلام وبنيانه ، وأقاموا صرحه المبارك ، حتى استوى قائمًا قويًا ، وهم الذين نزل القرآنُ الكريم في بيوتهم ، وهم عدلُ القرآن الكريم في حديث الثقلين ، فقد تكالبَ القومُ عليهم ، وقبل ذلك تكالبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه في حياته الشريفة سرًا وعلانية ، وقد اخبر الله سبحانهُ وتعالى النبي بذلك في قوله تعالى مخاطباً رؤساء

قريش المتربصين بالرسول وآل بيته [٦٨] : { وما مُحمدٌ إلا رَسُولٌ قدْ خلتْ مِن قبلهِ الرُسُلُ أ فإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انقلبتمْ عَلى أعقابِكُم ...} ، هذه الآية الكريمة خاطبت رؤساء قريش وزعمائها بشكلٍ مباشر وصريحٍ بما يضمرون من الشرّ والبغضِ ، ووصفت مؤتمر السقيفة بالانقلاب ، قالت إنّهم : سيردون عن الإسلام إنْ عاجلًا أو آجلًا ، وذلك بمجرد أنْ يسمعوا بنعي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاللهُ سبحانه وتعالى أكدَ أنَّ محمداً رسولُ الله ، شأنُهُ شأنُ الرُسل والأنبياء الذين سبقوه ، يؤدي رسالته المكلف بها ، وبعد انقضاء عمره الشريف سيموت ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحدد نوع الموت الذي سيطال رسوله الكريم ، هل سيموت موتًا طبيعيًا ؟ أم يقتل شهيدًا أو يموتُ اغتيالًا ؟ ومهما يكنْ من أمرٍ ، فأنَّهُ سيموت ولا شك في ذلك ، ولكن ما الذي سيترتب من الأمر بعد موته ؟ لقد كانت الإجابة حاضرة في قوله تعالى: {انقلبتمْ عَلى أعقابِكُم} والانقلاب يعني التغيير مع سبق الإصرار والترصد ، بانتظار الوقت المناسب للارتداد عمّا كانوا يدينون به في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، والعودة القهقري إلى الوراء إلى الجاهلية والظلمات من حيث خرجوا منها أول مرة ، وواقع الحال يقول فعلًا أنـَّهم لم يؤمنوا بالله ولا برسوله ، وإنْ دخلوا في الإسلام ، فإنَّهم دخلوه باللسان لا بالقلب والإيمان ، فهم لم يكونوا مسلمين مؤمنين حقًا ، لأنَّهم آمنوا بالظاهر ، فيما أضمرتْ نفوسهم الكفر والشرك ، وفعلًا حدث الانقلابُ الذي أشارت إليه الآية الكريمة ، بعد وفاة رسول الله مباشرة ، وهو ما اصطلح عليه بالارتداد والوثوب على خلافة رسول الله ، والصراع على من يتبوأ الخلافة من بعده ، وكانت نتيجة هذا المخاض العصيب والمؤلم بيعة السقيفة التي قال عنها عمر بن الخطاب إنَّها بيعةُ الفلتان [٦٩] ، ولا أريد الدخول في تفاصيل هذه البيعة ، ولكن أودُ أنْ أشير إلى إنَّ هذه البيعة تمت ورسول الله عليه الصلاة والسلام ، مُسجىً على فراش الموت ، لم يُغسلٍ ، ولم يُؤتَ له بكفنٍ بعد ، ولم يوارى الثرى! أما كان الأجدى والأجدر بهم القيام بتغسيله والصلاة عليه ، وموارة جثمانه

الطاهر الثرى ، ومن ثَمَ يجتمعوا في المسجد ، وبحضور المسلمين من أهل المدينة ، ثم يختاروا من يرونه أهلاً لخلافة رسول الله ، ويكون المسلمين شهداء على البيعة ، وفي وضح النهار ولكن ... ، وأول ما تمخضت عنه هذه البيعة التي سُميت برزية الخميس ، هو الانقضاض على بيعةِ الغدير التي نصبَ فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة من بعده ، والغائها وتنصيب من لا يستحقها ، والأمر الثاني هو انتزاع فدك من يد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، بل تم اغتصابُ فدكًا منها رغمًا عنها ، على الرغم من امتلاكها صكًا بختم رسول الله مع الأدلة والبراهين كافة التي تؤكد أنَّ فدكًا حقٌ شرعيٌ لفاطمة الزهراء خالصة لها ، ومن بعدها فهي للحَسن والحُسين لا يشركهم فيها أحد .

لقد كانت شهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إيذانًا ببداية هبوب عاصفة التغيير ، وما أنْ أُعْلُنَ عن شهادته عليه الصلاة والسلام حتى هبت العاصفة تزأر بقوة ، لتعصف في دولة الإسلام الفتية التي أرسى قواعدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاشتد زئيرُها إيذانًا ببدء التغيير (الردة) ، وكان أولَ بيتٍ عصفت به ، هو بيت الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، علمًا أنَّ السيدة فاطمة الزهراء كانت تُعرف بأمِ أبيها ، وذلك لعنايتها الخاصة به على الرغم من تعدد زوجاته ، إلا أنَّ فاطمة كانت هي المعولُ عليها في تمريض رسول الله في مرضه ، لأنـَّهُ كان لا يستغني عنها ، وعن ولديها لحظة ، فهم روحه الطاهرة التي بين جنبيه ، وكان يحبهم حباً لا حدود له ،فقال لها[٧٠]: (إنَّ اللهَ يغضبُ لغضبكِ ويرضى لرضاكِ) ، ولأنَّ عموم المسلمين يأخذون بالأحاديث الواردة في صحيحي البخاري ومسلم ، فعليه فقد ورد الحديث في صحيح مسلم بروحه ومعناه ، ولكن بألفاظ أخرى فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٧١] : (إنـَّما فاطمة بضعة مني ، يؤذيني من آذاها) ، وجاء في الجامع الصغير للمناوي أنَّ السيدة فاطمة قالت لأبي

بكر وعمر[٧٢] : (نشدتكما الله تعالى أ لم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : من أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؛ قالا : نعم سمعناه من رسول الله ؛ فهل يحتاج الأمر بعد إعتراف الشيخين بحقها من شهادة ودلالة على أنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ماتت مظلومة واجدة عليهما ، غير راضية عنهما ، مقهورة بعد أنْ اغتصبا حقها وسلباها ما تركه لها أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

عاشت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد شهادة أبيها عليه الصلاة والسلام حياة عصيبة صعبة بعد أن أحاطت بها المصائب من كلِّ صوبٍ وحدبٍ وهي تخاطب أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)[٧٣] :

قُلً للمُغيب تحتَ أطباقِ الثّرى إنْ كنتَ تسمع صرختي وندائيا

صُبّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنَّـــها صُبّتْ على الأيامِ صِرنَّ لياليـا

قد كنتُ ذات حمىً بظلِّ محمدٍ لا أخشى من ضيمٍ وكان حِماً ليا

فاليومَ أخضعُ للذليلِ وأتَّقـــي ضيمي وأدفعُ ظالمي بردائيـــا

شهادة السيدة فاطمة الزهراء : استشهدت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد شهادة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ ((٧٥)) خمسة وسبعين يوماً[٧٤] ، إذْ ماتت مقهورة مظلومة بعد أنْ هجموا على دارها وأحرقوا بابه ، وكسروا ضلعها ، وسلبوا فدكَ منها ، وهي لم ترث فدكاً من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل ورثته عن أمها خديجة (عليها السلام) بموجب صك (سند تمليك) كتبَهُ لها رسول الله ، فقد وروى المجلسي في كتاب الخراج سبب منح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدكًا للسيدة فاطمة الزهراء، فقال [٧٥] : (فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة بعد استيلائهِ على فدك ، دخل على فاطمة

الزهراء (عليها السلام) فقال : يا بنية إنَّ الله قد أفاءَ على أبيك بفدكٍ واختصه بها ، فهي له خالصة من دون المسلمين ، أفعلُ بها ما أشاء ، وإنَّهُ قد كان لأمكِ خديجة على أبيك مهرًا ، وإنَّ أباكَ قد جعلها لك بذلك ، أنحلها لك ولولدك من بعدك ، قال فدعا بأديمٍ ودعا علي بن أبي طالب ، فقال: أكتب لفاطمة بفدك نحلةً من رسول الله ، فشهد على ذلك علي بن أبي طالب، ومولى لرسول الله ، وأم أيمن) ، وفي رواية أخرى أنَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما عاد من غزوة خبير استدعى فاطمة عليها السلام وقال(٧٦): (كان لأمك خديجة على أبيك مهرًا ، وأنَّ أباك جعل فدك لك بذلك) ، إذا هي وراثة عن طريق الأم وليس عن طريق الأب يا خليفة رسول الله كما تدعي .

بعد أنْ استشهدت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، قام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بتجهيزها وتحنيطها بما بقي من حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتغسيلها بنفسه لأنَّها صِدّيقة ، ولا يغسلها إلا صِدّيقٌ مثلها (٧٧)، وكانت قد أوصتْ أمير المؤمنين أنْ لا يحضر جنازتها من أغضبها وسلب حقها، ولا يصلي عليها ، وأنْ لا يجردها من ملابسها فهي طاهرة مطهرة، وأنْ يدفنها ليلًا بعد أنْ ينام الناس، ونفذ أمير المؤمنين عليٌّ وصيتها كما أحبت ، فقال الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) (٧٨) : دفنت فاطمة في بيتها ، فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد) ، بكاها الإمام علي (عليه السلام) بحرقة وألم ، وأظهر حزنًا شديدًا كادَ يكونُ جزعًا على فراقها ، لولا أنَّ الله الهمه صبرًا ، فجلس عند قبرها الشريف فقال (٧٩) :

أرى علَلَ الدُّنيا عليَّ كثيــرةٌ وصاحبُها حتى المماتِ عليلُ

لكلِّ اجتماعٍ من خليلينِ فرقةٌ وكُلُّ الذي دونَ المماتِ قليــلُ

وإنَّ افتقادي فاطماً بعدَ أحمدٍ دليلٌ على انْ لا يدومَ خليـــلُ

وقال (عليه السلام) : (٨٠) :

نفسي على زفراتِها محبوسةٌ يا ليتها خرجتْ مع الزفراتِ

لا خيرَ بعدكِ في الحياة وإنَّما أبكي مخافة أنْ تطول حياتي

وقال القاضي أبو بكر بن أبي فريعة (٨١) :

ولأيِّ أمرٍ أُلْحِدَتْ باللليلِ فاطمةُ الشـــــريفة

ولما حمتْ شيخكم عن وَطْيءِ حجرتَها المُنيفة

أوهٍ لبنتِ مُحمـــدٍ ماتتْ بغصتها أســـــيفة

الخاتمة: بعد رحلةٍ مع السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الولادة الى الشهادة ، فقد شهدت حياتها الكريمة أنواعًا من الأفراحِ فضلًا عن أنواعٍ من الأتراحِ ، فقد كانت السيدة فاطمةُ الزهراء بنتاً بارةً بوالديها ، وزوجًا مثاليةً مخلصةً ، وأماً فاضلة لبينها ، إذا تولت تربية أولادها وبناتها على الخير وحبُّ الفضيلة ، وذلك عندما كان الإمام علي (عليه السلام) منشغلًا بالجهاد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد كانت نموذجًا للمرأة المسلمة المؤمنة المطيعة لأبيها وبعلها ، فهي لم تشكُ يوما لزوجها من أيِّ شيءٍ ، وحتى عندما كسروا ضلعها أخفته عن الإمام علي (عليه السلام) لأنَّها ما أرادت أنْ تؤذيه بهذا الخبر ، ولم يعرف به إلا بعد شهادتها حينما وضعها على المغتسل ، لذلك كانت زوجاً مثالية وأمّاً رؤوفة عطوفة لبنيها ، ورحيمة لعائلتها وجيرانها ، كانت على هيبةٍ ووقارٍ وعبادةٍ غايةٍ في الالتزام ، حتى قال عنها التابعي الحسن البصري أنَّها أعبدُ أهل زمانها ، استشهدت مظلومة بعد أنْ سلبوا إرثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المتمثل بفدك ، استشهدت وهي ناقمة على الشيخين وقالت لهما سأشكوكما الى الله ورسوله ، هذا قدر استطاعتي ، فإنْ وفقني الله فبفضله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب فذلك من تلقاء نفسي الخاطئة ،

وآخر دعوانا أنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى الله على رسوله الأمين محمد وعلى آل بيتة الكرام الطاهرين .

الهوامش :

١- السيدة فاطمة من الميلاد وحتى الاستشهاد : ١٢

٢- نور الأبصار : ١ / ١٧٦ ، ذخائر العُقبى : ٥٣

٣- بحار الأنوار : ٤٣ / ٢

٤- ذخائر العقبى : ٢٦

٥- ذخائر العُقبى : ٢٦

٦- ذخائر العقبى : ٢٦

٧- صحيح مسلم : ٢٣٣٥ ، ٢٣٣٠

٨- ينابيع المودة : ٢ / ٣٢٢ ، معاني الأخبار : ٦٥ ، مناقب آل أبي طالب : ٣٣٠/٣

٩- اتحاف السائل : ٢٤

١٠- بحار الأنوار : ٤٣ / ١٧

١١- بحار الأنوار : ٤٣ / ١٧

١٢- ديوانه : ١ / ٧٦

١٣- علل الشرائع : ١ / ١٨١ ، ينابيع المودة : ٢ / ٣٢٢ ، دلائل الإمامة : ٥٢

١٤- مجمع البحرين للطريحي : ٥ / ٣١٧

١٥- بحار الأنوار : ٤٣ / ١٦

١٦- بحار الانوار : ١٦ / ١٨

١٧- بحار الانوار : ١٦ / ١٨

١٨- الخصائص الفاطمية : ١ / ٢٢٧

١٩- سورة الحديد الآية : ١٩

٢٠- شرح حقائق الحق : ٣٠ / ٣٦٠

٢١- اصول الكافي : ١ / ٥٢١

٢٢- الغـدير : ٥ / ٤٥

٢٣- بحار الأنوار : ٤٣ / ٦٥ ــ ٧٨

٢٤- مجمع البيان : ١٠ / ٣٧٠

٢٥- بحار الانوار : ١٦ / ١٨

٢٦- بحار الأنوار : ٤٣ / ١٠ ، الخصال : ٢ / ٤١٤

٢٧- تاريخ الإسلام : ٢ / ٢٩ ، الإصابة : ١٤ / ٨٧ ، أُسد الغابة : ٥ / ٥٢٠

٢٨- السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الشهادة : ٢٩

٢٩- ذخائر العُقبى : ٢٧

٣٠- ينابيع المودة : ٢٠٥

٣١- أصول الكافي : ١ / ٥٢٤

٣٢- ينابيع المودة : ٢٠٦

٣٣- ينابيع المودة : ١٠٠

٣٤- المناقب : ٣ / ٣٣

٣٥- ذخائر العقبى : ٥٥

٣٦- مسند أحمد بن حنبل : ٥٠٠٩/٤ بالرقم ٢٦٦٨ ، ذخائر العُقبى : ٤٥

٣٧- السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الشهادة : ٢٣

٣٨- ينابيع المودة : ٢٠٢

٣٩- ينابيع المودة : ٢٠٥

٤٠- ينابيع المودة : ٢٠٣

٤١- كفاية الطالب : ٣١١

٤٢- ذخائر العُقبى : ٢٣

٤٣- تاريخ الأئمة : ١٧ ، تاج المواليد : ٧٦

٤٤- بحار الأنوار : ٢٣ / ١٠٥

٤٥- عيون أخبار الإمام الرضا : ١ / ٣٩ ، بحار الأنوار : ٤٣ / ٩٢

٤٦- السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الشهادة : ٦٢

٤٧- مناقب آل أبي طالب : ٣ / ١١٩

٤٨- السقيفة وفدك : ١١٨

٤٩- لسيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الشهادة : ٤٦

٥٠- ٤السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الشهادة : ٤٦

٥١- أسباب النزول : ٢٥٧ ــ ٢٥٨

٥٢- ينابيع المودة : ١٠٨ ، صفوة التفاسير : ٣ / ٥٤٩ ، وينظر تفسير البيضاوي وروح البيان والمسامرة وأسباب النزول ، للسورة الكريمة .

٥٣- سورة الأحزاب الآية : ٣٣

٥٤- سورة أل عمران الآية : ٦

٥٥- تفسير الرازي : ٨/ ٨٠

٥٦- سورة الشورى الآية : ٢٣

٥٧- ذخائر العقبى : ٢٥

٥٨- ذخائر العقبى : ٢٦

٥٩- بحار الأنوار : ١٦ / ٣ ، الخصال : ٤٥

٦٠- الإصابة : ٤ / ٨٣ ، صحيح البخاري : ٣ / ١٧٥ ، مسند أحمد : ٦ / ١٥٠

٦١- صحيح البخاري : ٣٨٢٠

٦٢- مجمع الزوائد : ٩ / ٢٠٤

٦٣- بحار الأنوار : ٤٣ / ١٧٥ ـ ١٧٨

٦٤- الملل والنحل : ١ / ٥٧

٦٥- لسان الميزان : ١ / ٢٦٨

٦٦- الإمامة والسياسة : ١٥ ؛ أعلام النساء : ٤ / ١١٤

٦٧- ١معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام : ١٤٦ ؛ ديوان فاطمة الزهراء : ٨٥

٦٨- سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤

٦٩- الصواعق المحرقة : ١٨

٧٠- الإصابة : ٤ / ٣٦٦ ؛ أسد الغابة : ٥ / ٣٢٢

٧١- صحيح مسلم : ٩٢٢

٧٢- الإمامة والسياسة : ١٧

٧٣- ديوان فاطمة الزهراء : ٨٥ - ٨٦

٧٤- اصول الكافــي : ١ / ٥٢١

٧٥- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد : ١٥٦

٧٦- مجمع الزوائد : ٧ / ٤٩ ؛ ميزان الاعتدال : ٢ / ٢٢٨

٧٧- اصول الكافـــي : ١ / ٥٢١

٧٨- اصول الكافـــي : ١ / ٥٢٤

٧٩- ديوانـــه : ٩٩

٨٠- ديوانـــه : ٤٠

٨١- السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد وحتى الاستشهاد : ٦٨

المصادر والمراجع :

- اتحاف السائل لما لفاطمة من مناقب وفضائل – محمد بن عبدالله الأكراوي ، تحقيق محمد كاظم الموسوي .
- أسباب النزول – تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) ، باشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م ، بيروت – لبنان .

- أسد الغابة – ابن الأثير الجزري ؛ المطبعة الوهيبية ؛ ١٢٨٠هـ ؛ مصر .
- الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني ؛ ١٣٥٨ هـ ؛ القاهرة.
- أصول الكافي – تأليف المحدث الخبير ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت٣٢٨هـ) ، دار الأسوة ، ط ٦ ، ١٤٢٨ هـ ، قم وطهران – ايران .
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام – ط ٢ ، ١٩٥٩م ، دمشق .
- الإمامة والسياسة – لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ٢٠٠٩م ؛ لبنان .
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء في بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بيروت .
- تاريخ الأئمة – للبغدادي (ت٣٢٢هـ) ، نشر مكتب آية الله العظمى المرعشي ، ١٤٠٦هـ .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق د.عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ـ ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، بيروت – لبنان .
- تاريخ المواليد في مواليد الأئمة (عليهم السلام) ووفياتهم – تأليف العلامة الطبرسي عليه الرحمة (ت٥٤٨هـ) .
- تفسير الرازي ؛ المشتهر بالتفسير الكبير ؛ ومفاتيح الغيب – للإمام الجهبذ الرازي ؛ طبعة دار الفكر . (نت) .
- الخصائص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري (ت١٢٥٥هـ) ، ط ١ ، ١٣٨٠هـ .

- الخصال – للشيخ الصدوق (٣٨١هـ) ؛ تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري ؛ ١٤٠٣هـ .
- دلائل الإمامة – لمحمد بن جرير لطبري ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ، قم - ايران .
- ديوان الإمام علي – جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، بغداد .
- ديوان فاطمة الزهراء – اعداد حيدر كامل و محمد شراد حساني ، دار ومكتبة الهلال و دار البحار ، ٢٠٠٩م ، بيروت .
- ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القربى – للعلامة محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .
- السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد وحتى الاستشهاد - - للعلامة السيد جواد الصافي الموسوي ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، بيروت .
- السقيفة وفدك – لأبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري البصري البغدادي (ت٣٢٣هـ) ، رواية عزالدين عبدالحميد بن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران .
- شرح احقاق الحقّ – للسيد المرعشي (ت١٤١١هـ) ، تحقيق السيد شهاب الدين المرعشي النجفي .
- صحيح البخاري – لمحمد بن اسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار ابن كثير ، اليمامة ط ٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، بيروت .
- صحيح مسلم – للإمام أبي حسين مسلم (ت٢٦١هـ) ؛ دار صادر ؛ ط١ ؛ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ؛ بيروت ..

- الصواعق المحرقة للمحدث الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ) ؛ دار الكتب العلمية ؛ ط٣ : ٢٠٠٩م ؛ بيروت ؛ لبنان .
- علل الشرائع - لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، النجف.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب – للشيخ عبدالحسين احمد الأميني النجفي (١٣٩٢هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، بيروت – لبنان .
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب – محمد بن يوسف بن محمد الشافعي (ت٦٥٨هـ) ؛ تحقيق وتصحيح وتعليق الشيخ محمد هادي الأميني ؛ ط ٣ ؛ ١٤٠٤هـ ؛ طهران .
- لسان الميزان - للإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ؛ اعتنى به الشيخ العلامة عبدالفتاح أبو غدة ؛ اعتنى به واخرجه وطبعه سلمان عبد الفتاح أبو غدة ؛ مكتب المطبوعات الإسلامية ؛ ٢٠٠٦م .
- مجمع البحرين – للشيخ الطريحي (ت١٠٨٥هـ) ، تحقيق اسيد أحمد الحسيني ، ١٤٠٨هـ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم - للطبرسي (توفي في القرن ٦هـ) ، وضع حواشيه وشرح آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للامام الحافظ العالم نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الشافعي نور الدين الهيثمي المصري (ت٨٠٧هـ) ؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا ؛ دار الكتب العلمية .
- مسند الإمام أحمد – بيروت ، د . ت .

- معاني الأخبار – للشيخ الصدّوق (ت٣٨١هـ) ، تحقيق علي أكبر الغفاري ، ١٣٧٩هـ .
- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام – د. ليلى محمد ناظم الحيالي ؛ مكتبة لبنان ناشرون ؛ ط١ ١٩٩٩م ؛ بيروت .
- الملل والنحل – لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) ؛ نشرته مؤسسة الحلبي وشركاؤه ؛ القاهرة .
- المناقب – للحافظ الموفق بن أحمد بن محمد البكري الحنفي ، المعروف بخطيب خوارزم (ت٥٦٨هـ) ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران (د . ت)
- مناقب آل أبي طالب – لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب ، (ت٥٨٨هـ) ، طبع مؤسسة انتشارات العامة بالمطبعة العلمية بقم ، ١٣٧٩هـ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال – تصنيف الحافظ ابي عبدالله شمس الدين محمد ابن احمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ؛ دار المعرفة بيروت لبنان .
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار – مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ٢٠٢٠م ، مصر .
- ينابيع المودة لذوي القُربى – للقندوزي ؛ تحقيق سيد علي جمال الحسيني (ت١٢٩٤هـ) ؛ ١٤١٦هـ .

الفصل الخامس

السيدةُ فاطمة الزهراء عليها السلام

ومعضلة فدك

السيدةُ فاطمةُ الزهراءِ عليها أفضل الصلاة والسلام ، هي علمٌ من أعلامِ الدين الإسلامي الحنيف ، وهي بضعةُ الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهي ليست بحاجة الى تعريف ، لأنَّها علمٌ معرفٌ ، والمعرفُ لا يعرفُ ، فإنَّكَ بمجرد أنْ تقول فاطمةٌ أو الزهراءُ ، لا يختلف معك أحد على أنَّ المقصودة هي فاطمةُ الزهراء بنت رسول الله لا غيرها، إذًا هي قصيرة النسب ، تعرفُ نفسَها بنفسِها دون الحاجة الى غيرها ، فهي سيدة الإسلام الأولى ، وهي ثالث أصحاب الكساء ، بل هي سيدة نساء العالمين من الأولين والاخرين طُرًا ، فضلاً عن كونها سيدةُ نساء أهل الجنة ، ويكفيها فخرًا أنـَّها البتول ، وأنَّها أم أبيها ، وبنت رسول الله ، وزوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأم السبطين الحسن والحُسين ، وسيدة نساء الكون مطلقًا ، وكفى بهذا تعريفًا لها ، فقد ذكرها القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، ولكنّي سأقفُ على ثلاثةِ مواضعٍ منها فقط ، وهي كما يأتي :

١) ذكرها القرآن الكريم في سورة الأحزاب : في آية التطهير في قوله تعالى[١] : {إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ الرجسَ عنكم أهل البيت ويطهركم تطهيرًا} ، فقد أكد النبيُ محمدٌ عليه أفضل الصلاة والسلام أنَّ أهلَ بيتهِ هم : عليٌ وفاطمةُ والحَسن والحُسين ، وذلك في حديث الكساء[٢] : (كأنّي قد دعيتُ ، فأجبتُ ، إنّي تركتُ فيكم الثقلينِ ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتابُ اللهِ ، وعترتي أهلَ بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنَّهما لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض) .

٢) وذكرها مرة أخرى في سورة آل عمران : في آية مباهلة نصارى نجران ، فرسول الله عندما خرج لمباهلة النصارى ، لم يُخرجْ معه من النساءِ إلا فاطمة الزهراء ، ولم يُخْرِجْ معها أي امرأة قط ، وذلك بعد أنْ نزلَ عليهِ قولهُ تعالى [٣] : { فمنْ حاجكَ فيهِ من بعدِ ما جاءكَ من العلمِ فقلْ تعالَوْا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم ثُمَّ نبتهلْ فنجعلْ لعنةَ اِلله على الكاذبين } ، فقد خرج النبيُ مُحمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لمباهلة النصارى ؛ وهو يحتضنُ الحُسين على صدرِهِ ؛ وآخذًا بيد الحَسن ، وفاطمةٌ تمشي خلفهُ ، وعليٌ يمشي خلفها ، ورسولُ الله يقول لهم : إذا دعوتُ فأمنوا ، فقال أسقفُ نجران لما رأى جمعهم : يا معشر النصارى : أنَّي أرى وجوهاً ، لو سألوا اللهَ أنْ يُزيلَ جبلًا من مكانهِ لأزالهُ بهم ، فلا تباهلوهم فتهلكوا [٤] ، ولو دققنا النظر في هذه الآية الكريمة المباركة لوجدناها أشارت الى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مرتين ، كانت الإشارة الأولى في قوله : ((أبناءَنا وابناءِكم)) ، فهي بنتُ النبي ، فيما كانت الإشارة الثانية اليها في قوله تعالى : ((نساءَنا ونساءَكم)) ، فهي المرأة الوحيدة التي خرجت مع النبي في تلك المباهلة .

٣) وكذلك ذكرها في سورة الحشر : في آية المودة في قوله تعالى[٥]: {قلْ لا أسألكم عليه أجراً إلا المودةَ في القربي}، فقال المسلمون يا رسول الله من قرابتك الذين وجبتْ علينا مودتهم؟ قال[٦] : (عليٌ وفاطمةٌ وابناهُما)، ونحنُ نعلمُ أنَّ لكلِّ عملٍ أجرٍ، والأجر الذي طلبه رسول الله من المسلمين بعد أنْ أخرجهم من الظلمات الى النور ، وهداهم الى الصراط المستقيم ، لم يكن أجرًا ماديًا ، مثلما هم يطلبون ، بل كان أجرًا معنويًا ، يتمثل في محبةِ الِ بيتهِ ، المتمثلين بعليٍ وفاطمةٍ والحسَن والحُسين عليهم السلام ، فهل نفذ

المسلمون رغبة رسول الله في محبة آل بيته ؟ بالتأكيد لا ، إلا قليلاً منهم .

وعلى الرغم من هذا السجل الذهبي الرائع ، والمكانة العلية المتميزة التي كانت تتمتع بها السيدة فاطمة الزهراء ، وتعيشها في ظل وجود أبيها ، إلا أنّها تحملت من الظلم والتعسف والشدائد والمصائب بعد شهادة أبيها ما لم يستطعْ تحملهُ انسان قط ، فقد تعرضتْ للقهر والعدوان والظلم ، كما تعرضت للأذى بالأقوال والأفعال ، وتعدُ هذه المرحلة الممتدة بين شهادة أبيها وشهادتها من أحلك الأيام سوادًا ، وأسوئها في كلِّ مراحل حياتها ، إذْ كانت مرحلةً قاسيةً جدًا تمثلت بفقدانها لوالدها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وسلب حقوقها وأموالها ؛ فضلًا عن اقتحام دارها ، وحرق باب بيتها ، والاعتداء عليها ضرباً ، فقد ضربها عمر على بطنها يوم السقيفة حتى القتْ جنينها من بطنها ، وكان عمر يصيح احرقوا دارها بمن فيها ، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحَسن والحُسين عليهم السلام [٧] ، وذكر صاحبُ لسان الميزان أنّ عمرَ رفسَ فاطمة حتى اسقطتْ بالمُحسن [٨] وعلى الرغم من قول المسلمين لعمر بن الخطاب ، أنّ خلف الباب فاطمة ؛ فقال : وإنْ ... [٩] ؛ وقد جسدت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ذلك في شكواها التي بثتها الى أبيها رسول الله قائلة[١٠] :

صُبتْ عليَ مصائبٌ لوْ أنـّهـا صُبتْ على الأيّامِ صِرنَ لياليـا

فقد تعرضت السيدة فاطمة الزهراء للظلمِ والجورِ والقهرِ منذُ اللحظات الأولى لشهادة والدها سيد الكونين أبي القاسم محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ فقد هبتْ من السقيفة عاصفةٌ سوداءٌ مظلمةٌ مملوءة حقدًا وبغضًا وكراهية للبيت العلوي الفاطمي ، لتعصف بشدة ، وتزأر بقوة على آلِ رسول الله ، فتسلب ما لهم من حقوقٍ شرعيةٍ ، وأموالٍ ورثوها عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بل الأدهى والأمر من كلِّ

ذلك هو انتزاع ما في أيديهم ، وتجريدهم مما يملكون بحجج واهية مرفوضة شرعًا واجتماعيًا ، فبعد العزِّ والدلال ، أصبح دور أل رسول الله هامشيًا بعد أنْ شادوا بنيان الإسلام ؛ وشادوا صرحه المبارك ، حتى استوى قوياً ؛ وهم الذين نزل القرآنُ الكريم في بيوتهم ؛ وهم عدلُ القرآن الكريم في حديث الثقلين ، فقد تكالبَ القومُ عليهم ، وقبل ذلك تكالبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه في حياته الشريفة سرًا وعلانية ، وقد اخبر الله سبحانهُ وتعالى النبي بذلك في قوله تعالى مخاطبًا رؤساء قريش المتربصين بالرسول وآل بيته [١١] : { وما مُحمدٌ إلا رَسُولٌ قدْ خلتْ مِن قبلهِ الرُسُلُ أ فإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انقلبتمْ عَلى أعقابِكُم ...} ، هذه الآية الكريمة خاطبت رؤساء قريش وزعمائها بشكل مباشر بما يضمرون من الشر والبغض ، ووصفت مؤتمر السقيفة بالانقلاب ، قالت لهم : إنَّكم سترتدون عن الإسلام إنْ عاجلًا أو آجلًا ؛ وذلك بمجرد أنْ تسمعوا بنعي رسول الله ؛ فاللهُ سبحانه وتعالى يؤكد أنَّ محمداً رسولُ الله ، شأنُهُ شأنُ الرُسل والأنبياء الذين سبقوه ، يؤدي رسالته المكلف بها ، وبعد انقضاء عمره الشريف سيموت ؛ ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحدد نوع الموت الذي سيطال رسوله الكريم ، هل سيموت موتاً طبيعياً ؟ أم يُقتل شهيدًا أو يموتُ اغتيالًا ؟ ومهما يكنْ من أمرٍ ، فأنَّهُ سيموت ولا شك في ذلك ، ولكن ما الذي سيترتب من الأمر بعد موته ؟ لقد كانت الإجابة حاضرة في قوله تعالى : { انقلبتمْ عَلى أعقابِكُم } والانقلاب يعني التغيير مع سبق الإصرار والترصد ، بانتظار الوقت المناسب للارتداد عمّا كانوا يدينون به في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، والعودة القهقري إلى الوراء إلى الجاهلية والظلمات من حيث خرجوا منها أول مرة ، وواقع الحال يقولً أنـَّهم لم يؤمنوا بالله ولا برسوله ، وإنْ دخلوا في الإسلام فإنَّهم دخلوه بالقول لا بالإيمان ؛ فهم لم يكونوا مسلمين مؤمنين حقاً ، لأنَّهم آمنوا بالظاهر ، فيما أضمرتْ نفوسهم الكفر والشرك ، وفعلًا حدث الانقلابُ الذي أشارت إليه الآية الكريمة ، بعد وفاة رسول الله مباشرة ، وهو ما اصطلح عليه

بالارتداد والوثوب على خلافة رسول الله ، والصراع على من يتبوأ الخلافة من بعده ، وكانت نتيجة هذا المخاض العصيب والمؤلم بيعة السقيفة ، التي وصفها عمر بن الخطاب ببيعةُ الفلتان [١٢] ، ولا أريد الدخول في تفاصيل هذه البيعة ، ولكن أودُ أنْ أشير إلى إنَّ هذه البيعة تمت ورسول الله عليه الصلاة والسلام ، مُسجىً على فراش الموت ؛ لم يُغسلٍ، ولم يُؤتَ له بكفنٍ بعد ، ولم يوارى الثرى ! أما كان الأجدى والأجدر بهم القيام بتغسيله والصلاة عليه ، وموارة جثمانه الطاهر الثرى ، ومن ثم يجتمعوا في المسجد ، وبحضور المسلمين من أهل المدينة ، ثم يختاروا من يرونه أهلاً لخلافة رسول الله ، ويكون المسلمين شهداء على البيعة ، وفي وضح النهار ولكن ... ، وأول ما تمخضت عنه هذه البيعة التي سُميت برزية الخميس ، هو الانقضاض على بيعةِ الغدير التي نصبَ فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة من بعده ، والغائها وتنصيب من لا يستحقها ، والأمر الثاني هو انتزاع فدك من يد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ؛ بل تم اغتصابُ فدكاً منها رغماً عنها ؛ على الرغم من امتلاكها صكاً بختم رسول الله مع الأدلة والبراهين كافة التي تؤكد أنَّ فدكاً حقٌ شرعيٌ لفاطمة الزهراء خالصة لها ؛ ومن بعدها فهي للحَسن والحُسين لا يشركهم فيها أحد .

لقد كانت شهادة رسول الله إيذاناً ببداية هبوب عاصفة التغيير ؛ وما أنْ أُعْلُنَ عن شهادته عليه الصلاة والسلام حتى هبت العاصفة تزأر بقوة ؛ لتعصف في دولة الإسلام الفتية التي أرسى قواعدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاشتد زئيرُها إيذاناً ببدء التغيير (الردة) ، وكان أولَ بيتٍ عصفت به ، هو بيت الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، علماً أنَّ السيدة فاطمة الزهراء كانت تُعرف بأمِ أبيها ، وذلك لعنايتها الخاصة به على الرغم من تعدد زوجاته ، إلا أنَّ فاطمة كانت هي المعولُ عليها في تمريض رسول الله في مرضه ، لأنـَّهُ كان لا يستغني عنها ، وعن ولديها لحظة ، فهم روحه الطاهرة التي

بين جنبيه ، وكان يحبهم حبًا لا حدود له ، ومن أجل ذلك طلب من الله عزَّ وجل أنْ تكون آية التطهير فيهم ، وآية مودة لهم ، فضلًا عن حديث الثقلين وما جاء فيه ، لأنَّهُ يعلم علم اليقين ما سيؤول إليه مصيرهم بعد شهادته ، فقال في حق علي وفاطمة والحسن والحسين أحاديث كثيرة ، ليسقط حجج الخصوم ويفندها ويدحضها ، ومن جملة ما قالهُ مخاطبًا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام [١٣]: (إنَّ اللهَ يغضبُ لغضبكِ ويرضى لرضاكِ)، ولأنَّ عموم المسلمين يأخذون بالأحاديث الواردة في صحيحي البخاري ومسلم ، فعليه فقد ورد الحديث في صحيح مسلم بروحه ومعناه ، ولكن بألفاظ أخرى فقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) [١٤] : (إنَّما فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها) ، وجاء في الجامع الصغير للمناوي أنَّ السيدة فاطمة قالت لأبي بكر وعمر [١٥] : (نشدتكما الله تعالى أ لم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله) ، فهل يحتاج الأمر بعد إعتراف الشيخين بحقها من شهادة ودلالة على أنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ماتت مظلومة واجدة عليهما ، غير راضية عنهما ، مقهورة بعد أنْ اغتصبا حقها وسلباها ما تركه لها رسول الله .

بعد هذه المقدمة أقول : بعد شهادة الهادي البشير محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبموجب الشريعة الإسلامية السمحاء هو أنْ ترثَ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ما تركه أبيها رسول الله وراءه من ميراث ، وليس لنسائه اللواتي كُنَّ على ذمته من الميراث إلا الثمن ؛ وهن شريكات فيه ، وما تبقى من المال بعد طرح الثمن خالصًا لفاطمة الزهراء حصرًا ، لأنَّهُ لا أخ لها ، ولا أخت على قيد الحياة ، وقت شهادة رسول الله، ومع ذلك فقد حُرِمَتْ السيدة فاطمة الزهراء من ميراث أبيها ، والإسلام الحنيف عرف الوراثة ، وقال عنها في أبسط تعريفاته ((أنْ يرث الابن الحي ما ترك والده الميت من مالٍ ، وما كان في قبضته من شيء))

والله سبحانه وتعالى جعل الوراثة حقًا شرعيًا للأبناء من الآباء ؛ وقد شرع الله ذلك في القرآن الكريم ، وفصل ذلك بعدة آيات ليكون واضحًا عند المسلمين ليطبقوه بصورة صحيحة ، ولم يجعل الله الوراثة حصرًا على فئة من الناس دون غيرهم ، فجميع بنو البشرِ مشمولون بالوراثة بعد وفاة آبائهم ، والأنبياء هم جزءٌ من البشر ، لهم أموالٌ ، ولهم بنين وبنات يرثونهم من بعد موتهم ، شأنهم شأن عامة الناس .

ويبدو أنَّ قانون الوراثة الذي شرعه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وفصله ، لم يلقَ قبولًا عند الشيخين ، فجاء الشيخ الأول بحديثٍ افترياهُ على رسول الله ،مُدعين فيه ، أنَّ رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال [١٦] : (نحنُ معاشر الأنبياء لا نُورث ذهبًا ولا فضةً ولا دارًا ولا عقارًا ، وإنَّما نُورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة ، وما كان من طعمةٍ فلولي الأمر بعدنا أنْ يحكم فيه ما يحكمه) ، هذا الحديث محضُ كذبٍ وافتراءٍ على رسول الله ، لا أساس له من الصحة ، فهو لم ينطق به مطلقًا ، ولا يمكن أنْ يصدر مثل هذا القول عن رسول الله ، ولي وقفة مع هذا الحديث المُفترى تتمثل فيما يأتي :

١- لماذا لم يروِ هذا الحديث غير الشيخ الأول ؟ ، وهل كان هذا الحديث سرًا بين النبي والشيخ الأول ؛ وأخفاه عن أهل بيته ، ولا يطلع عليه المسلمين إلا بعد شهادة النبي عليه الصلاة والسلام .

٢- ولماذا أخفى النبيُ هذا الحديث عن أهل بيته ، ولم يخبرهم به ، وهو أبر الناس بأهل بيته .

٣- الشطر الثاني من الحديث المُفترى ؛ يكذب الحديث ويبطله تماماً وذلك في قوله : ((وإنَّما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة)) ، الكتاب والحكمة والعلم ، نعم تورث إلا النبوة إنَّها لا تورث ، لأنَّها

هبة من الله سبحانه وتعالى لمن يختاره من عباده ليكون نبيًا أو رسولًا ، وأبو بكر يقول بوراثة النبوة ، وهو غير صحيح البته .

لو افترضنا جدلًا أنَّ النبي ترك وراءه بعد وفاته أطفالًا صغارًا أيتامًا ، وبنات قاصرات ، كيف سيعيشون من بعده ؟ وأين يذهب عياله وزوجاته من بعده ؟ أ يرمون على قارعة الطريق منتظرين ما يتصدق به المسلمين عليهم ؟ فيما يتمتع الآخرون بما ترك لهم معيلهم ، بعد مصادرته من قبل زعيم المسلمين ، إنَّها مفارقة عجيبة ، بل هي أول بدعة حدثت الإسلام بعد وفاة رسول الله ، والإسلام منها بريء ، أ لم يسأل نفسه زعيم المسلمين من أين سيعيش عيال النبي ؟ ومن أين سيأكلون ؟ وكيف .....؟ هذا أمرٌ لا يقبله العقل ويرفضه المنطق ، وكان رسول الله في حياته قد حذر من الكذب والافتراء عليه فقال [١٧] : (أيها الناس ، قد كثُر عليَ الكذابةُ ، فمن كذبَ عليَ عامداً متعمداً فاليتبوأ مقعدهُ في النار).

علماً أنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم ترثَ فدكاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل ورثته عن أمها خديجة عليها السلام ، وبذلك لا تنطبق عليها رواية أبي بكر ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث ....)) إنْ صحتْ ، فقد وروى المجلسي في كتاب الخراج سببًا آخر لمنح رسول الله عليه الصلاة والسلام فدكًا للسيدة فاطمة الزهراء ، فقال[١٨]: (فلما دخل رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) المدينة بعد استيلائهِ على فدك ، دخل على فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقال : يا بنية إنَّ الله قد أفاءَ على أبيك بفدكٍ واختصه الله بها ، فهي له خالصة من دون المسلمين ، أفعلُ بها ما أشاء ، وإنـَّه قد كان لأمكِ خديجة على أبيك مهرًا ، وإنَّ أباكَ قد جعلها لك بذلك ، أنحلها لك ولولدك من بعدك ، قال فدعا بأديمٍ ودعا علي بن أبي طالب ، فقال : أكتب لفاطمة بفدك نحلةً من رسول الله ، فشهد على ذلك علي بن أبي طالب ، ومولى لرسول الله ، وأم أيمن) ، وفي رواية أخرى أنَّ رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما عاد

من غزوة خبير استدعى فاطمة عليها السلام وقال [١٩] : (كان لأمك خديجة على أبيك مهرًا ، وأنَّ أباك جعل فدكًا لك بذلك) ؛ إذا هي وراثة عن طريق الأم ، وليس عن طريق الأب يا خليفة رسول الله .

ومع ذلك لم تترك السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الأمر سائبًا على مجراه ، وكما يريدون ، بل فضحتهم وفندت ادعاءاتهم بحجج دامغة ، لو كانوا يفقهون ، ولكن أنى لهم ذلك ... فقالت [٢٠] : (سبحان الله ، ما كان رسولُ اللهِ عن كتابِ اللهِ صادفًا ، ولا لإحكامه مخالفًا ، بل كان يتبعُ أثره ويقفو سوره ، أ فتُجمعون إلى الغدر اعتلالًا عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيهٌ بما بغيَ له من الغوائل في حياته ، هذا كتابُ اللهِ حكمًا عدلًا وناطقًا فصلًا يقول [٢١] : { يرثُني ويرثُ من آلِ يعقوب } و [٢٢] { وورثَ سليمانُ داوودَ } فبين الله عزَّ وجل فيما وزعَ من الأقساط ، وشرعَ من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علة المبطلين وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، كلا [٢٣] { ... بلْ سولتْ لكمْ أنفسكم أمرًا ، فصبرٌ جميلٌ ، واللهُ المستعانُ على ما تصفون} .

وكانت السيدة أم سلمة أم المؤمنين (رضيَ الله عنها) قد سمعت بحرمان السيدة فاطمة من ارثها في فدك فقالت[٢٤] : (أتزعمون أنَّ رسول الله حرمَ عليها ميراثهُ ولم يُعلمها ؟ وقد قال الله له[٢٥] : {وأنذر عشيرتك الأقربين}، أ فأنذرها وجاءت تطلبه؛ وهي خيرة النسوان ، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم بنت عمران ، وحليلة ليث الأقران ، تمت بأبيها رسالات ربه ، فوالله لقد كان يشفقُ عليها من الحرِّ والقرِّ ، فيوسدها يمينه ، ويدثرها بشماله ، رويدًا فرسول الله بمرأىً لأعينكم وعلى الله تردون ، فواهٍ لكم وسوف تعلمون) ، وقد ترتب على هذه الشهادة والدفاع حرمان السيدة أم سلمة من عطائها .

أعود إلى الحديث المُفترى ، وأقول : لو صح هذا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، أ ما كان الأجدر به أنْ يقوله في

خطبةٍ من على منبر في عموم المسلمين ، ليعرفوا أنَّ النبي لا يُورث ، لكي يسمعه المسلمين وآل البيت الكرام ، فلا يطالبوا بشيءٍ بعد وفاته ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لو افترضنا جدلًا أنَّ رسول الله قال : ((نحنُ معاشر الأنبياء لا نُورِث)) فليس معنى هذا أنَّ الأنبياء لا يرثهم أبناءهم ؛ فقد ذكر القران الكريم وراثة أولاد يعقوب ، ووراثة سليمان لداود ، ووراثة يحيى لزكريا ، بل المقصود في ذلك أنَّ النبوة لا تُورث ؛ لأنَّها هبةٌ من الله ؛ يهبها لمن يشاء من عباده المُخْلَصين ؛ وليس بالضرورة أنْ يكون أبا النبي نبياً ؛ ولا ولده نبياً ؛ فهل كان أبو إبراهيم خليل الله نبيًا ؟ أم هل كان ابن موسى الكليم نبيًا ؟ أم هل كان أحد أبناء نوح وهود وصالح وشعيب ولوط أنبياء ؟ هذا ما ذهب إليه النص إنْ صحتْ روايته ، وهي لم تصح طبعًا ، وأما ما يخص ما يتركه النبي الميت من مالٍ نقديٍ أو عينيٍ ، فهو وراثة لمن ترك النبي من بعده من بنين وبنات وأزواج ، ولكنهم طرحوا كتاب الله ونبذوهُ وراء ظهورهم ، وحكموا بما جاء به حديثٍ مُفترى ، لم يروه غير أبي بكر خصم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، والقوانين السماوية وحتى الوضعية لا تعتد بشهادة الخصم لأنَّها تندرج تحت طائلة احتمال الكذب ، فضلًا عن أنَّ كل شيءٍ يتعارض مع القران الكريم ؛ يضربُ به عرض الحائط ؛ لأنَّ كلام الله فوق كلِّ كلام ؛ وبذلك أبطل الشيخُ الأول الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم وعطلها ، فبئس الرأي رأيه ، لما فيه من خروجٍ على ما شرعه الله ، فضلًا عن خروجه على قواعد الوراثة الشرعية ، وبذلك وقع الظلمُ والحيفُ والاجحاف على سيدة النساء مع سبق الإصرار .

فلسفة مصادرة فدك وحرمان أهل البيت منها

يتساءل كثيرٌ من المسلمين وغيرهم عن فلسفة حرمان السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) من وراثة أبيها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، وهو حق شرعي لها كفله القرآن الكريم ، وضمنته الشريعة السمحاء ، وقد أفاض العلماء كثيرًا في هذه القضية ، وصالوا وجالوا وفندوا ، ولم يدعوا لذي لُبٍ أدنى شك في أنَّ الحقَّ مع السيدة فاطمة الزهراء في وراثة رسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن الذي شرع المنع وأصرَّ على تطبيقه ، وحرمان السيدة فاطمة وأبناءها من حقٍّ منحه الله ورسوله لهم ، له بعدٌ اقتصادي يتمثل في حرمانهم من طيبات الله ، وإنْ كانوا هم أصلاً زاهدين فيها ، يكابدون نهارهم صومًا ، ويحيون ليلهم عبادة ، وهم مشغولون عن مغريات الحياة وملذاتها ، ألم يقل سيدهم وعميدهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حينما آلت إليه الخلافة ((إنَّ خلافتكم عندي لا تساوي عفطة عنز))... ولكن هم من جانب آخر يحتاجون إلى الجانب المادي الاقتصادي ؛ فهم كرماءٌ أجوادٌ يطرق المحتاجون أبوابهم ، ولابد لهم من العطاء ...!! والعطاء يدعو الى المودة والمحبة والالتفاف حول المُعطى ، ومنع العطاء يعني الانقطاع ، والابتعاد والتفرق والتشتت ، وهذا هو هدف الحرمان ، فقد أرادوا عزل آل البيت عن المسلمين ، وتفريق الناس عنهم ، لأنَّهم لا يملكون أموالاً فلا يعطون ، والناس محتاجون ، لذا سيذهبون الى غيرهم من أصحاب الأموال ؛ فيجدوا عندهم ضالتهم ، وبذلك يتقلص أنصارهم ، وينحسر دورهم تدريجياً ، وإذا ألقينا نظرة بسيطة على فدك لمعرفة مقدار فيئها السنوي وما تدره من أرباحٍ وأموالٍ ، عندئذ سنعجب من حجم ذلك الفيء ، فهو مبلغٌ كبيرٌ يتراوح بين (٢٤٠٠٠) أربعة وعشرين ألف دينار و (٧٠٠٠٠) سبعين ألف دينار ، وسبب هذا التراوح هو بسبب اختلاف السنين في غلاتها [٢٦].

ولو قدر لهذا المبلغ أنْ يكون في يدِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولديه والحَسن والحُسين (عليهم السلام)، وفرقوه على ما يحيط بهم من الأيتام والفقراء والمحتاجين والمعوزين والمساكين وعابري السبيل، لالتف المسلمون حولهم وتركوا الشيخين وتخلو عنهما ، ولأزداد عدد أنصار أهل البيت أضعافًا مضاعفة ، ولكنَّ المال هو عصب الحياة ، والناس بحاجة له في حياتهم ، لذا سكت كثيرٌ من المسلمين على الباطل والظلم الذي لحق بالمسلمين خوفًا من الفاقة والحرمان ، فقد كانت الأفواهُ مُكممة ؛ فلا فمٌ يفتح ، ولا لسانٌ ينطق ، فضلاً عن التضليل والتعتيم الإعلامي الكبيرين جدًا التي مارسها الحكم الأموي والعباسي للتقليل من أهمية قضية فدك ، وادعائهم أنَّ رسول الله لم يهبها لفاطمة الزهراء (عليها السلام) .

هناك سؤالٌ مهمٌ يلحُ سائله على سماع جوابه من المشرع ، والسؤال هو : هل يجوز انتزاع ما وهبه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) للمسلمين واسترجاعه منهم بعد أنْ منحهم إياه ، بكافة ألوانهم وقراباتهم ؟ فإذا كان الجواب بأنَّهُ لا يجوز ، فكيف أُنتزعَ الشيخين فدكًا من السيدة فاطمة الزهراء ، وهم يدعون أنَّهُم خلفاء رسول الله ؟

فالانتزاع يمثل أخذ المال عنوةً وبالقوة غصبًا على صاحبه ورغمًا عليه ، بل هو سلبٌ لحقٍّ شرعي من أصحابه ؛ فهل من المنطقي والمعقول، انتزاعُ شيءٌ من يدِ السيدة فاطمة الزهراء بضعة رسول الله غصباً عليها ، ورغماً عنها ؟ ولِمَ لم تراعَ حرمتها وقرابتها من رسول الله، وهي بضعته الطاهرة وبقيته الباقية ، ألم يسمعوا قوله : فاطمة بضعة مني من آذاها آذاني ، وقد آذوا رسول الله من خلال ايذائهم فاطمة الزهراء ، ثم هل يعقل ، ويمكن أنْ يقبل العقل إنَّ الطـُهر الطاهرة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، تقبل أنْ تأخذ مالًا ليس لها فيه حق ، وتقوم بتربية أولادها على ريعهِ ، هذا لا يمكن قبوله أيضاً ، فهي أسمى وأعفُ وأرفعُ

من كلِّ أموال الدنيا ، وهناك سؤال آخر مهم جدًا يتمثل في : لماذا تصرُ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على المطالبة بفدك مع علمها المسبق أنَّهم لنْ يعطوها فدكًا مهما كلفهم الأمر ؟ بل هم مصرون على حرمانها من حقها الشرعي في وراثة فدك ، الجوابُ واضحٌ ، مثل الشمس التي لا يمكن حجبها بغربال ؛ فالسيدة تعلم علم اليقين ، أنَّ من افترى على رسول الله كذبًا ، وتجاوز على حقِّ آلِ بيته الكرام ، لا يتوانى من على التجاوز على حقوق غيرهم من المسلمين ، لذلك بهذا التصرف أرادة السيدة فاطمة الزهراء أنْ لا يسكت المسلمون على ظلمٍ يلحق بهم ، فعليهم رفض الظلم والاعتراض عليه ، وأن لم يستطيعوا أن يحصلوا على حقهم، لأنَّ السكوت على الحق والظلم مذلة .

فدك بين يدي القضاء

فدك : هي إحدى قرُى خيبر ، تبعد عن المدينة المنورة مسيرة يومين ، وفدك هي مما أفاءَ اللهُ بهِ على رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) سنة سبعٍ للهجرة سلمًا وصلحًا [٢٧] ؛ ولما فتح المسلمون خيبر ، كان الفتح نوعين ، الأول جاء بالسيف والرجال والخيل، والثاني جاء سلمًا بلا قتال ، فما جاء بالسيف والرجال والخيل تكون غنائمه قسمة عادلة بين الفاتحين ، لما بذلوه جهدٍ ودمٍ ، وما كان صلحًا وسلمًا ، فهو لله ولرسوله الكريم ، وقد حدد الله سبحانه وتعالى مستحقي غنائم الفتح سلمًا وصلحًا في قوله [٢٨] : { فآتِ ذا القُربى حقهُ والمسكينَ وابنَ السبيلِ ذلكَ خيرٌ للذينَ يريدونَ وجهَ اللهِ وأولِئكَ هُمُ المفلحونَ} ، فقد حددت الآية الكريمة المستحقين لهذا النوع من الغنيمة ؛ بثلاث فئات هي : ذو القُربى ، والمساكين وأبناء السبيل وجعلتهم درجات بعضهم فوق بعض ، إذاً من هم ذو القُربى الذين عنتهم الآية الكريمة وجعلتهم في المرتبة الأولى ؟ الجواب : ذوي القُربى هم قُربى رسول الله : هم كما حددهم رسول الله : عليٌ وفاطمةُ والحسن والحُسين عليهم السلام ، وما يستحقه ذوي القُربى

من فتح خيبر صلحًا ، هو فدك ، وفعلاً .حينما عاد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من غزوة خيبر ، استدعى فاطمة الزهراء ، وأعطاها فدكًا ، وأنت ترى عزيزي القارئ أنَّ رسول الله لم يعطِ فدكًا لعليٍ بن أبي طالب أو الحَسن والحُسين ، بل أعطاه لفاطمة الزهراء حصرًا ، لأنها ابنته الوحيدة ، وأقربُ أهل البيت إليه نسبًا ، وقد أكد هذه الحقيقة الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، في مسألة صلة الرحم .

هناك سؤال آخر يتبادر إلى الذهن ، لماذا خصَّ رسول الله محمد (عليه الصلاة والسلام) السيدة فاطمة الزهراء بفدك دون سائر أهل بيته وأزواجه ؟

الجواب : إنَّ فدكًا خالصة لرسول الله من دون المسلمين ، وذلك استناداً إلى قوله تعالى [٢٩] : { وَمَا أفاءَ اللهُ على رسولِهِ منهُمْ فما أوْجفتُمْ عليهِ مِنْ خيْلٍ وَلا رِكابٍ ولكنَّ اللهَ يسلط رُسُلهُ على مَنْ يَشاءُ واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٍ ۞ مَا أفاءَ اللهُ على رسولِهِ مِن أهلِ القرى فللهِ وللرسول ولذي القُربى واليتامى والمساكينِ وابن السبيلِ ... } وبذلك يكون النبيُ حرُ التصرف بفدك ، يعطيها لمن يشاء ، ويهبها لمن يريد من الفئات الذين ذكرتهم الآية الكريمة حصرًا ، أو يحتفظ بها لنفسه ، وبموجب هذا التقسيم الإلهي ، منحها رسول الله محمد هبةً خالصة للسيدة فاطمة الزهراء ، لأنَّها على رأس الفئات المستحقة لهذه الغنيمة ، وكانت هذه الهبة بأمر من الله سبحانه وتعالى ؛ وليس بتصرف شخصي من رسول الله ، كما جاء ذلك في الآية الكريمة .

فقد كانت فدك ملكًا خالصًا للسيدة فاطمة الزهراء بموجب وثيقة تمليك ، أملاها رسول الله محمد (عليه الصلاة والسلام) وكتبها الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) وشهد عليها عليٌ ، ومولى رسول الله ، وأم أيمن زوج رسول الله ، ولما كان الأمر هكذا ، فهل كان انتزاع فدك من السيدة فاطمة كان حقًا أم باطلًا ؟

بعد جمع المعلومات عن قضية فدك ، وما قيل فيه من أقوال في ملف واحد ، وعرضه على محكمة العدل الالهية ، وكان قرار المحكمة هو كما يأتي :

فدكٌ حقٌّ شرعيٌ للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ولا يحق لكائن من يكون أنْ ينازعها ملكيته ، وذلك بموجب دلالة الأسباب الثبوتية الآتية :

١- فدكٌ هبةٌ وعطاءٌ من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) للسيدة فاطمة الزهراء ، ولا يحقُ لكائن من يكون أنْ يردَ عطاء رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) .

٢- فدك ملكٌ شخصي للسيدة فاطمة بموجب وثيقة تمليك كانت من إملاء رسول الله ، وخط الإمام علي بن أبي طالب ، وبشهادة مولى رسول الله ، وأم المؤمنين السيدة أم أيمن (رضي الله عنها).

٣- نصت الوثيقة : إنَّ فدكًا ملكًا شخصيًا للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حصرًا ، وللحسن والحسين وراثة من بعدها حصرياً .

٤- إنَّ فدكًا كانت بدلًا عن المهر المؤجل للسيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين (عليها السلام) دفعه رسول الله عند الميسرة لوريثتها الشرعية الوحيدة ، ابنتها السيدة فاطمة الزهراء ، وذلك لوفاة أمها السيدة خديجة (عليها السلام) عند ميسرة الرسول .

٥- فدكٌ ورثته السيدة فاطمة الزهراء عن أمها خديجة ، ولم ترثه عن أبيها رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ، وبذلك هو ليس مما تركه رسول الله لكي يحجب عن الورثة كما يدعون .

٦- قيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بارجاع فدك إلى ورثة السيدة فاطمة الزهراء ، ولو لم يعرف أنَّهُ حقٌ مشروع لها ما أعاده على ورثتها (٣٠) ، وهنا لابد من العودة الى المحاججة التي دارت بين السيدة فاطمة وأبي بكر ، وإفحامها له ، وإقراره بشرعية حقها في فدك ؛ وإعطائها وثيقة بذلك ؛ وفي أثناء خروجها من مجلس أبي بكر ، اعترضها الشيخ الثاني ، وأخذ الوثيقة منها ومزقها ورماها على الأرض قائلاً : لقد خرف ابن ابي قحافة وظلم (٣١) ، وأنا أضيف ، وأقول أنَّ الوثيقة التي مُزِقتْ لم تكن الوثيقة الذي أعطاها أبو بكر للسيدة فاطمة الزهراء ، بل مُزقت الوثيقة التي كتبها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وأعطاها لها .

٧- وبموجب ما تقدم من الأدلة والبراهين ، فإنَّ ظلمًا وحيفًا قد وقع على السيدة فاطمة الزهراء مع سبق الإصرار والعمد .

٨- يرفع ملف قضية فدك إلى من لا يَظلمُ أحدًا من عباده ، وهو الحاكم الفصل بالحقّ والعدل ، عنده الثواب والعقاب ، وهو ينصف المظلوم ويعوضه ، ويقتص من الظالم المفتري .

وخلاصة البحث أقول : هذا غيضٌ من فيض ما تعرضتْ له السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ظلمٍ وجورٍ وحيفٍ بعد وفاة أبيها وصدقت حين قالت (٣٢) :

قل للمغيَّبِ تحتَ أطباقِ الثرى إنْ كنتَ تسمعُ صرختي ونِدائيا

صُبَّتْ عليَ مصائبٌ لوْ أنَّهـا صُبتْ على الأيّامِ صِرنَ لياليـا

قدْ كُنتُ ذاتَ حِمىً بظلِّ مُحمدٍ لا أخشَ من ضَيْمٍ وكانَ جماليـا

فاليومَ أخضعُ للذليلِ وأتّقـــي ضيمي وأدفعُ ظالمي بِردائِيـا

الهوامش :

١- سورة الأحزاب الآية : ٣٣

٢- سنن النسائي الحديث المرقم : ٨١٨٤

٣- أل عمران الآية : ٦

٤- تفسير الرازي : ٨ / ٨٠

٥- سورة الحشر ؛ الآية ٢٣

٦- فضائل الصحابة : ٢ / ٦٦٩ الحديث المرقم ١١٤١

٧- الملل والنحل : ١ / ٥٧

٨- لسان الميزان : ١ / ٢٦٨

٩- الإمامة والسياسة : ١٥ ؛ أعلام النساء : ٤ / ١١٤

١٠- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام : ١٤٦ ؛ ديوان فاطمة الزهراء : ٨٤

١١- سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤

١٢- الصواعق المحرقة : ١٨

١٣- الإصابة : ٤ / ٣٦٦ ؛ أسد الغابة : ٥ / ٣٢٢

١٤- صحيح مسلم : ٩٢٢

١٥- الإمامة والسياسة : ١٧

١٦- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد : ٢٣٢

١٧- صحيح مسلم : ١٢

١٨- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد : ١٥٦

١٩- مجمع الزوائد : ٧ / ٤٩ ؛ ميزان الاعتدال : ٢ / ٢٢٨

٢٠- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد : ٢٣٥

٢١- سورة مريم ؛ الآية : ٦

٢٢- سورة النمل ؛ الآية : ١٦

٢٣- نهاية التحقيق : ٢٠١

٢٤- سورة الشعراء ؛ الآية : ٢١٤

٢٥- سورة يوسف ؛ الآية : ١٨

٢٦- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد : ١٦١

٢٧- معجم البلدان ؛ مادة فدك

٢٨- سورة الروم ؛ الآية ٣٨

٢٩- سورة الحشر ؛ الآيتان : ٦ – ٧

٣٠- فدك في التاريخ : ٢٦

٣١- نهاية التحقيق : ١٩٥

٣٢- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام : ١٤٦ ؛ ديوان فاطمة الزهراء : ٨٤ – ٨٦.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أسد الغابة – ابن الأثير الجزري ، المطبعة الوهيبية ؛ ١٢٨٠هـ ، مصر .

- الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني ، حققه وضبطه علي محمد
- الإمامة والسياسة – لابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصف ، منشورات دار الكتب العلمية ؛ ط١ ؛ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت .
- تفسير الرازي – لفخر الدين الرازي ، دار الفكر ، ٢٠٠٧م .
- جوامع الجامع - في تفسير القرآن المجيد – للفضل بن الحسن الطبرسي ، مطبعة مصباحي ، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م ؛ تبريز .
- ديوان فاطمة الزهراء – إعداد حيدر كامل – محمد شراد حساني ، دار ومكتبة الهلال ، دار البحار ، بيروت ، (د.ت) .
- سنن النسائي – للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ) ، مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث ، خرج أحاديثه وعلق عليه : عماد الطيار وياسر حسن وعزالدين غنيمي ، مؤسسة الرسالة ناشرون .
- صحيح مسلم – للإمام أبي حسين مسلم (ت٢٦١هـ) ، دار صادر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، بيروت .
- الصواعق المحرقة للمحدث الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط٣ : ٢٠٠٩م ، بيروت - لبنان .
- فدك في التاريخ ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السيد محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، (د . ت) .

- فضائل الصحابة – للإمام ابي عبدالله احمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، حققه وخرج احاديثه وصي الله بن محمد بن عباس ، من منشورات جامعة ام القرى .

- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد – السيد محمد كاظم القزويني ، مطبعة النبراس ، العراق - النجف الأشرف ، (د . ت) .

- لسان الميزان - للإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، اعتنى به الشيخ العلامة عبدالفتاح أبو غدة ، اعتنى به واخرجه وطبعه سلمان عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ٢٠٠٦م .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للإمام الحافظ العالم نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الشافعي نور الدين الهيثمي المصري (ت٨٠٧هـ) ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ؛ دار الكتب العلمية .

- معجم البلدان – لياقوت الحموي ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، بيروت .

- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام – د. ليلى محمد ناظم الحيالي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ ١٩٩٩م ، بيروت .

- الملل والنحل – لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) ، نشرته مؤسسة الحلبي وشركاؤه ، القاهرة .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال – تصنيف الحافظ ابي عبدالله شمس الدين محمد ابن احمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة بيروت لبنان .

- نهاية التحقيق فيما جرى في أمر فدك للصّديقة والصّديق بالنص والتوثيق – تقديم وجمع وتحقيق آية الله السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان ، (د.ت) .

الفصل السادس

أثرُ القرآن الكريم في النص الخطابي للإمام الحسن (عليه السلام)

كانتْ شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، بسيف أشقى الأشقياء من الأولين والآخرين في الحادي والعشرين من شهر رمضان من سنة (٤٠هـ) أربعين للهجرة ، إذ تعرض للاغتيال ، وهو قائمٌ في مسجد الكوفة يُصلي نافلة الفجر في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان ، وفاضتْ روحه الطاهرة في اليوم الحادي والعشرين بعد يومين ونصف من جرحه ، ونُقِلَ جثمانهُ الطاهر الى الغري ، ودفن هناك حيثُ قبره الشريف اليوم ، وبعد أنْ أتمَ الإمامان الحَسن والحُسين عليهما السلام مراسم دفن الجثمان الطاهر لأبيهما أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ، وعودتهما الى الكوفة ، وفي اليوم الثاني لشهادة الامام علي عليه السلام [١] خرج أبو مُحمَّدٍ الحَسن المُجتبى عليه السلام الى مسجد الكوفة ، واعتلى المنبر ، وخطب المسلمين خطبة عصماء ، الى الآنْ نسمعُ صداها وترددها في الكون من فخامتها وبلاغتها وقيمتها الفنية ، فقد قال فيها بعد أنْ حمدَ الله سبحانه وتعالى ، وأثنى عليه ، وصلى على سيد الكونين جدهُ رسولُ الله مُحمَّدٍ ، وتشهد الشهادتين فقال [٢] : (أيّها الناسُ : لقد قُبضَ في هذهِ الليلةِ ، رجلٌ لم يسبقهُ الأولُونَ بعملٍ ، ولا يدركهُ الآخُرون بعملٍ ، [٣] [والله كانَ أفضل الأوصياء الذين كانوا قبله وبعده] ، لقد كان يجاهدُ مع رسولِ الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، فيقيهِ بنفسهِ ، وكان رسولُ الله يوجهُهُ برايتهِ ، فيكتنفهُ جبرئيل عن يمينهِ ، وميكائيل عن يسارهِ ، ولا يرجعُ حتى يفتح اللهُ على يديهِ ، ولقد تُوَفِيَ في الليلةِ التي عُرِجَ فيها بعيسى بن مريم ، والتي قُبضَ فيها يُوشع بن نون وصيُ موسى [٤] ، وعند الله نحتسبُ عزانا فيه ، ولقد أصيبَ به الشرق والغرب ، واللهِ ما خلفَ صفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعمائة درهمٍ ، فضلت من عطائِهِ ، أراد أنْ يبتاعَ بها خادماً لأهلهِ ، ثم خنقتهُ العبرةُ وبكى ، فبكى

الناسُ من حولهِ ، ثم قال : أيها الناسُ : أنا ابنُ النذير ، أنا ابنُ الداعي الى الله بإذنه ، أنا ابنُ السراج المنير ، أنا من أهلِ بيتٍ أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا ، أنا من أهلِ بيتٍ فرضَ اللهُ مودتهم في القرآنِ فقال تعالى (٥) : { قل لا أسئلُكم عليه أجراً إلا المودةَ في القُربى ؛ ومن يقترفْ حسنةً نزدْ له فيها حُسنًا } ، فالحسنةُ مودتُنا أهلَ البيت .

أيها الناسُ : حدثني جدي رسولُ اللهِ أنَّ هذا الأمرَ يملكهُ اثنا عشر إمامًا من أهلِ بيتهِ وصفوتهِ ، ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ) .

التحليل الفني للخطبة

قبل الدخول في تحليل نص خطبة الإمام الحَسن عليه السلام ، نتساءل عن العلاقة التي تربط الإمام الحَسن المجتبى بالقرآن الكريم ، فتكون الإجابة : إنَّ الإمام الحَسن وُلِدَ في شهر رمضان الكريم ، وشهر رمضان هو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم ، في بيتٍ كان الوحيُ يهبطُ فيه حاملًا آيات القرآن الكريم فضلًا عن أنَّ الحَسن هو من أهلِ البيتِ الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا ، وهُم أحد الثقلين ، اللذين وصى بهما رسول الله ، وهُم عدل القرآن الكريم ، والخلاصة القول : إنَّ الإمام الحَسن عليه السلام كان منذُ اليوم الأول لولادته يسمعُ صوتَ القرآن الكريم يصدحُ في بيته ، لذلك كان الإمام الحَسن متحدًا نفسيًا وروحيًا مع القرآن الكريم ، وعدل القرآن الكريم في حديث الثقلين ، وهو مساواته ومعادلته ، ومن هذا المنطلق كان رسول الله والإمام علي وفاطمة والحسن والحسين كلَّ واحدٍ منهم هو قرآنٌ ، وبما أنَّ القرآن الكريم الذي نزل وحيًا على رسول الله ، وكُتب على الرقوق والقراطيس ، فهو قرآنٌ صامتٌ ، والقرآنُ الصامتُ بحاجةٍ ماسةٍ الى القرآن الناطق ، ليوضح للمسلمين ما استغلقَ فهمُهُ عليهم ، وليبسط لهم تعاليمه ، إذاً العلاقةُ متينة ووثيقة بين القرآن الصامت والقرآن الناطق ، فمن يقرأ خطب الإمام الحَسن عليه السلام وأقواله ، سيجدها تتناص روحًا وفكرًا ومعنىً مع القرآن الكريم ، ومن هنا

نفهم أنَّ تربية الإمام الحَسن كانت على يدِّ رسول الله ، وأبيه أمير المؤمنين علي ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، لذلك وجدنا ثقافته قرآنية خالصة .

بعد أنْ أثنى الإمام الحَسن عليه السلام على آلاء الخالق سبحانه وتعالى وحمده ، وصلى على جدِّهِ أكرم المرسلين مُحمَّدًا صلى الله عليه وأله الطيبين الطاهرين الكرام ، وتشهد بالشهادتين ، أنْ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله ، دخل في صلبِ الموضوع مباشرةً ، لأنَّ المناسبة لا تسمح لهُ بالإطالة والإطناب ؛ مُفتَتِحًا كلامَهُ بالقول : (لقد قُبضَ في هذهِ الليلةِ رجلٌ لم يسبقْهُ الأولون بعملٍ) ، وفاعلُ القبض هو اللهُ سبحانه وتعالى ، والقابضُ هو من أسماءِ الله الحُسنى ، فقد قال رسول الله مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم (٦) : (إنَّ الله تعالى : هو الخالقُ القابضُ الباسطُ الرازقُ المسعرُ) ، ونلحظ هنا إنَّ الإمام الحَسن عليه السلام قال (لقد قُبضَ) ولم يقلْ لقد مات ، والقبض هو الاستلام ، أي أنَّ الملائكة المقربُون من عرش الرحمن الرحيم ، هُم منْ قبضوا (استلموا) روح أمير المؤمنين علياً ، وعادوها بها الى بارئها ؛ لتسكن في الجنانِ العُلا مع أخيهِ ، وابن عمه رسول الله مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحنُ المسلمون نؤمنُ ونرددُ قائلين : إنا لله وإنا اليه راجعُون ، وبالمحصلة النهائية ، كُلّنا نعودُ الى الله ، فينظرُ في أمرنا ، وقول الإمام الحَسن في هذه الليلة ، تحديدٌ دقيقٌ لليلة التي فاضتْ فيها الروح الطاهرة لأمير المؤمنين ، بإشارةٍ واضحةٍ الى إنَّها إحدى الليالي المباركةٌ ، ذلك لأنَّها من ليالي القدر ، وليلة القدر هي أشرفُ ليلةٍ ، فيها نزل القرآن الكريم ، وليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان ، هي ليلةٌ عظيمةٌ عند الله بكلِّ المقاييس الدينية والدنيوية ، ولها قدسيةٌ خاصة ، فهيَ ليلةٌ مباركةٌ ، ولها شأنٌ عظيم ، إذ عرج فيها السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء ، وفيها صعدت روح أمير المؤمنين ، هي الأخرى بدورها الى السماء ، وفي العُرُوج قال تعالى (٧) : {تعرجُ الملائكةُ والروحُ إليه} ،

فضلاً عن وفاة يوشع بن نون وصي موسى في مثل هذه الليلة من شهر رمضان ، وخلاصة ما أراده الإمام الحَسن عليه السلام ، هو أنَّ ليلة شهادة الإمام علي كريمة عند الله ، فهي خيرٌ من ألف شهر ، كما قال الله سبحانه وتعالى [٨] : { ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ} ، وأما قوله : (لم يسبقه أحد) ؛ فهي إشارةٌ واضحةُ الدلالة الى قوله تعالى[٩] : {والسابقون السابقون ۞ أولئك هُم المقربون} ، ولو عُدنا الى القرآن الكريم ، وقرأنا الآيات الثلاث الكريمات التي سبقت هاتين الآيتين وهي[١٠] : { وكنتُم أزواجًا ثلاثة ۞ فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ ۞ وأصحابُ المشئمةِ ما أصحابُ المشئمةِ ۞ والسابقُون السابقُون ۞ أولئكَ هم المقربُون } يتضحُ لنا من قوله تعالى ؛ أنَّ الله سبحانه وتعالى ، قسم الناس على صنفين هما : الصنف الأول : وهُم أصحابُ الميمنةِ ، والصنف الثاني : وهُم أصحابُ المشئمةِ ، وثمَ عاد ليقسم أصحاب الميمنة على قسمين أيضًاهما : السابقون السابقون ، وهم قمة الهرم ، وأهلُ الايمانِ والطاعةِ من المؤمنين ، وهؤلاء هم أصحابُ الميمنة ، لأنَّ اليمينُ خيرٌ من الشمال ، وأصحاب المشئمة هُمُ العُصاة لأوامر الله عزَّ وجلَّ ، وهم المشركون والمنافقون ، وكنى عنهم بأصحابِ المشئمةِ ، ولم يقل أصحاب الشمال ؛ لأنَّ المشئمة مأخوذة من الشؤم ؛ وأما القسم الثاني من أهل الميمنة ؛ وهم السابقُون السابقُون ، أولئك هم المقربُون ، وهم قمة هرم أهل الميمنة ، فهم منهم وعلى رأسِهم ، ولكنَّهُم أعلى منهم درجةً ، وأرفعُ مقاماً ، فمن هم السابقُون السابقُون ؟ هنا بيت القصيد في خطبة الامام الحَسن في قوله : (رجلٌ لم يسبقهُ أحدٌ) ، اختلف المفسرون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة ؛ فالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يقول [١١] : (إنَّها فيَّ نزلتْ) ، وقال عبدالله بن عباس يقول : هم السابقُون للهجرة ، وقيل الى الصلوات الخمس ، وقيل الى الجهادِ عن الضحاك ، وقيل الى التوبةِ ، وأعمال البرّ عن سعيد بن جُبير ، وقيل الى ما دعا الله اليه عن ابن كيسان ، ونحنُ نعتمد بما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فيما قال الإمام أبو جعفرٍ مُحمَّدٍ الباقر عليه

السلام : (السابقونَ أربعةٌ : ابن آدم المقتول ، وسابقٌ في أمةِ موسى ، وهو مؤمنُ آل فرعون ، وسابقٌ في أمةِ عيسى ، وهو حبيبُ النجار ، والسابقُ في أمةِ مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وهو عليُ بن أبي طالب عليه السلام) [١٢] وهو أفضلهم ؛ وأعلاهم درجةً ومقامًا ، وتفسيرُ أهل البيت عليهم السلام ، هو المعول عليه ؛ لأنَّهم عدلُ القرآن الكريم وترجمانه ، أما التفاسير الأخرى ففيها نظر ، وعندما نمعن النظر في التفاسير التي سبقت تفسير الإمام مُحمّد الباقر عليه السلام ، نجدها لا تنهض بقوة أمام تفسير أبي جعفرٍ الباقر الذي وضع النقاط على الحروف لكي يأخذ المسلمون المعلومة ، وهم مطمئنون الى وثاقة مصدرها ، أما المصادر الأخرى فقد استخدمت فعل التمريض (قيلَ) الذي يحمل بين طياته أكثر من ٨٠% من الشكِ والتردد في قبول المعلومة ، وما قاله أبو جعفرٍ ، هو عينُ اليقين الذي لا يأتيه الباطل ، والسابقُون وكما قلنا ، هُم قمة هرم أهل الإيمان والطاعة ، ومعروفٌ لدى الجميع أنَّ القمة لا تتسع لأكثرٍ من واحدٍ ، والواحدُ هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وروى عبدالله بن عباس أيضاً عن النبي مُحمَّد عليه الصلاة والسلام قوله [١٣] : (السُّبَّقُ ثلاثةٌ : السابقُ الى موسى ، يُوشعُ بن نون ، والسابقُ الى عيسى ، صاحبُ ياسين ، والسابقُ الى مُحمَّدٍ ، عليُ بن أبي طالب) ، ونلحظ هنا أنَّ ابن عباس لم يذكر السابق ابن آدم ، وذكر صاحب ياسين بدلًا من حبيب النجار ، وذلكَ انَّ أمير المؤمنين علي لم يسبقْهُ الى الايمانِ أحدٌ ، فضلًا عن ذلك ، فقد قال الله تعالى [١٤] : { والسّابقُون الاولُونَ من المهاجرينَ والانصارِ والذين اتبعُوهُم بإحسانٍ } ، فهو سابقُ جميعَ السابقينَ من أهل مكة والمدينة ، فكما أنَّ الله عزَّ وجلَّ فضلَ السابقينَ على المتخلفينَ والمتأخرينَ ، كذلكَ فضلَ سابقَ السابقينَ على السابقينَ ، وأما قول الإمام الحَسن عليه السلام : (ولا يدركه الآخرُون) ، أراد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تفوق على كلِّ الناس طُراً في الايمان والطاعة لله سبحانه ولرسوله الكريم ، بأعماله كافة ، على كلِّ من سبقه من الخلق ،

وعلى كلِّ من يأتي من بعده ، ونلحظ أيضاً أنَّ الإمام الحَسن عليه السلام ، قال في صدر الكلام (لم يسبقه..) و((لم)) هي من أدواتِ النفي جازمةٌ ؛ وقال في عجزها (ولا يدركه..) و((لا)) ناهية أغلقتْ البابَ من بعده ؛ فلا يأتي أحدٌ بمرتبته البتة ، فضلًا عن فـ ((ما)) دالة على نفي الماضي ، و ((لا)) دالة على نفي الحاضر والمستقبل ، وقال الامام الحَسن عليه السلام (كانَ يجاهدُ مع رسول الله) والرجلُ الذي فاضتْ روحه الطاهرة في هذه الليلة ، هو ليسَ رجلاً عادياً ، بل هو جنديٌ مخلصٌ عندَ رسولِ الله ، وهو بطلٌ ضرغامٌ ، فقد قال الإمام الحَسن كان يجاهدُ ، ولم يقل كان يحاربُ ، أو كان يقاتلُ ، لأنَّ الفرقَ كبيرٌ بين الألفاظ الثلاثة من الناحية الفكرية والإيمانية والمعنوية ، لأنَّ القتالَ أو الحربَ هما لمصلحةٍ شخصيةٍ ؛ فيها منافعٌ ومكاسبٌ يرجوها المُقاتل والمُحارب ، والجهادُ هو خالصٌ لله ، وفي سبيله ، وأبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان جنديًا مخلصًا مؤمنًا ؛ يجاهدُ بين يدي رسول الله ومعه ، ومعه هنا تعني أنَّهُ جهادٌ مشتركٌ يقوم به الاثنان في سبيل الله ، فقد كان الإمام علي درعًا حصينًا لرسول الله ، يحميه من كلِّ المخاطر ، وأضافَ الامام الحَسن قائلاً : (فيقيهِ بنفسهِ) ، الوقاية تعني دفعُ الشيءِ بشيءٍ غيره [١٥] ؛ فقد كان الامام علي يدفعُ الأذى عن رسول الله بنفسهِ ، ويصونهُ ويحميه ، وهذه ليست جديدةٌ على أمير المؤمنين ؛ فقد كان يقيه في المواطن كافة في السلم والحرب ، ولعلَّ مبيتَهُ على فراش النبي ليلة الهجرة ، أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، إذْ كان الإمام علي يقي رسول الله بنفسه الطاهرة ؛ ويؤثرهُ عليها ، وهذه المأثرة هي الأخرى ليست جديدة على أمير المؤمنين ، فقد كان أبو طالب عم النبي يقومُ بها ، فأبو طالب كان يخاف على النبي من الاغتيال ، ولاسيما إذا عرِفَ المشركون مكان مضجعه ، فكان يقيمه ليلاً من مكانه ، ويأمرْ ابنَهُ عليًا أنْ ينامَ مكان ابن عمه ، فيما ينام الرسول مكان ابن عمه علي [١٦] ؛ والوقايةُ هي أعلى درجاتِ الحماية ، وهي تعني الصيانة من الأذى ، ودفعهُ عن المُصان ، فقد وصلت بالإمام علي بن أبي طالب أنْ يبذل نفسه

فداءً للنبي في مقابل سلامة النبي ، وهذه هي أعلى مراتب الإيثار بالحياة من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام ، رسول الله مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ليبقى داعي الله والإسلام سالمًا ، ليواصل نشر الرسالة المُكلف بها ، وهي الدعوة للإسلام ، وإخراج الناس من الظلمات الى النور واستجاب لدعوته ، ووقاهُ بنفسه ، وباتَ على فراشه ليلة هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، فأوحى الله سبحانه وتعالى الى جبرائيل وميكائيل : إنّي آخيتُ بينكما ، وجعلتُ عمرَ أحدِكما أطولُ من عمرِ صاحبه ، فأيُّكما يؤثر أخاهُ عمره ، فكلاهُما كرها الموت ، فأوحى اليهما أنّي آخيتُ بين عليٍ وليي ، وبين مُحمَّدٍ نبيي ، فآثر عليٌ حياتَهُ لنبيي ، فرقدَ على فراش النبي ، يقيه بمهجتهِ ، اهبطا الى الأرض واحفظاهُ من عدوه ، فهبطا فجلس جبرائيل عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، وجعل جبرائيل يقول : بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبي طالب ! والله عزَّ وجلَّ يباهي بك الملائكة [١٧] ، فأنزل الله تعالى قوله [١٨] : { ومنَ الناسِ مَنْ يشْرِي حياته ؛ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ } ، ويشري هنا تدل على البيع ، فقال الإمام علي في هذه المناسبة شعراً يفتخرُ به [١٩] :

وقيتُ بنفسي خيرَ من وطئَ الحَصى ومنْ طافَ بالبيتِ العتيقِ وبالحجرِ

مُحمّدٌ لما خافَ أنْ يَمْكروا بـــــهِ فوقاهُ ربي ذو الجلالِ من المكــرِ

وبتُ أراعيهم متى ينشرونني ـــــــي وقدْ وطنتُ على القتلِ والأســـرِ

وباتَ رسولُ اللهِ في الغارِ آمنـــــًا هناكَ وفي حفظِ الالهِ وفي ســـترِ

أقامَ ثلاثاً ثم زُمَتْ قلائـــــــــصٌ قلائصُ يفرينَ الحصى أينما يفرِي

أردتُ به نصرَ الالهِ تبتـــــــــلًا وأضمرتُهُ حتى أوسَدَ في قبـــرِي

ثم قال الإمام الحَسن : (كان رسولُ اللهِ يوجههُ برايتِهِ ؛ فيكتنفَهُ جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره) ، نلحظ هنا إنَّ الإمام علي بن

أبي طالب عليه السلام ؛ كان يحملُ راية الإسلام التي هي راية رسول الله، يحملها ويتوجه بها للجهاد ، ولم يقاتل حسبما يريد هو ، بل كان يقاتلُ كما يريدُ رسول الله ، وذلك من خلال قوله (يوجهه) أي أنَّ النبيَ عليه الصلاة والسلام ، هو الذي كان يرشد الإمام علي الى جهةِ القتال المطلوبة ، وعليك أن تلحظ أيضاً إنَّ الامام الحَسن ذكر (فيكتنفهُ) وهي بمعنى يسنده ويرعاه ويحفظه ، والاكتناف هي الجوانب ، ومن خلال هذا نفهم أنَّ أمير المؤمنين مُسددٌ محفوظٌ من الله تبارك وتعالى ، وكذلك نلحظ أيضاً أنَّ النبيَ مُحمّدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائد ، والإمام علي هو الجندي المخلص ، أي أنَّ العلاقة كانت بين الطرفين علاقة (آمر ومأمور) على وفق النظرية العسكرية في الحرب ، ولكن الإمام الحَسن لم يتطرق الى هذا المعنى بصورة مباشرة ، بل قال : كان رسول الله يوجهه ، والتوجيه هو غير الأمر ، فالتوجيهُ ارشادٌ ونصحٌ ، إذ كان رسول الله يرشد الإمام علي الى ما يريده اللهُ ورسولُهُ ، ثم أنَّ الله سبحانه وتعالى ، ورسوله الكريم ، لم يتركا الإمام علي عليه السلام يقاتلُ المشركين والمنافقين بلا غطاءٍ ، وبلا مساندةٍ ، إذ كان جبريل يحرسه ويحميه ويسانده من جهة اليمين ، من فوقه ومن تحته ، أما الحراسة والحماية من جهة اليسار فقد تكفلَ بها ميكائيل ، ونلحظ هنا أنَّ الإمام الحَسن قال (وميكائيل عن يسارهِ) ولم يقل عن شماله ؛ لأنَّ اليسار للخير أيضاً ؛ والشمال للشر ؛ ويواصل الإمام علي جهاده ، فلا يرجِعُ ، حتى يفتح الله على يديه ، مُحققًا النصرَ المؤزر الذي يُفرَحُ به رسولُ الله ، فقد قال الإمام الحَسن : (ولا يرجِعُ حتى يفتحَ الله على يديه) ، عند التنعم بالنظر الى هذه الجملة المباركة ، نجد أنَّ الامام الحسن عليه السلام قال : ولا يرجع ، ولم يقل فلا يعود ، والفرق كبير بين اللفظتين ، فالرجوع تعني العودة الى ما كان من البدء [٢٠] ، وأما (يعود) تعني أنَّهُ قد يعود مهزومًا وخاسرًا المعركة ، وعائدًا بلا شيءٍ ، ولم يحققْ ما مطلوبٌ منه في الحربِ ، وحاشا لأمير المؤمنين أنْ يعودَ هكذا ؛ في حين تعني كلمة (يرجع) يعود ومعه غنيمة يُسرُ بها رسول الله ، وأعلى

درجات المسرةِ عند رسول الله ، هي الفتح والظهور على العدو ، وهذا ما كانَ يرجعُ به أمير المؤمنين الى رسول الله ، وقال الإمام أبو مُحمدٍ الحَسن المجتبى عليه السلام : (لقد توفي في الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم، وهي الليلة التي قُبضَ فيها يُوشع ابن نون وصي موسى) ، أي أنَّ وفاة أمير المؤمنين كانت في أشرفِ ليلةٍ ، هي ليلةِ القدر ، وهي الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان الكريم ، وتزامن في هذه الليلة رُفِعَ رسول الله المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء ، بعدما همَّ اليهودُ بقتله ، بعد أنْ حاصروه في مكانٍ ضيقٍ لا يستطيع التخلص منه ، فرفعه اللهُ الى السماء ، وهذه كرامة خصَّ الله بها النبي عيسى على غيره من الأنبياء ، وأما الحدث الأخر والمهم والمتزامن في ليلة شهادة امير المؤمنين ، ألا وهو وفاة يُوشع بن نون وصي النبي مُوسى بن عمران عليه السلام ، والقرينة الدالة هي أنَّ كلاً من يوشع وعلي ، هو أنَّهما وصيان لأنبياءٍ من أنبياء أولي العزمِ ، فيوشعُ وصيُ موسى عليه السلام ، وعليٌ وصيُ مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، واقتران شهادة أمير المؤمنين برفع عيسى ، ووفاة يوشع ، هي كرامة من الله خصّ بها أمير المؤمنين عليٌ عليه السلام ، ثم قال الإمام الَحسن عليه السلام : (وعند الله نحتسب عزانا فيه ، ولقد أصيب به الشرق والغرب) ، وعند الله نحتسب ، ايّ نفوضُ أمرنا الى الله ، فهو مولانا وإليه المصير ، ولا اعتراض على أمره وقضائه ، نصبرُ على ما حلَّ بنا فيجزينا الله أجور الصابرين ، وفي هذا المقام يُحضرني قولُ سيد الشهداء ؛ وأبو الأحرار ، الإمام الحُسين عليه السلام : (نصبرُ على بلائهِ ؛ فيوفينا أجورَ الصابرين) وهذا المعنى هو الذي قصده الإمام الحَسن ؛ وأشار إليه ، أما ما أصيب به الشرق والغرب، فقد أراد الإمام الحَسن عليه السلام ، أنَّ الأرض بشرقها وغربها فقدت رجلاً ، لا يوجد على ظهرها ، وصيُ نبيٍ غيره ، ولا بعده ، ثم قال الإمام الحَسن عليه السلام : (والله ما خلف صفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعمائة درهمٍ فضلتْ من عطائه ، أراد أنْ يبتاعَ بها خادماً لأهله) ، الإمام الحَسن عليه

السلام يقسمُ بالله ؛ وهو الصادق الأمين أنَّ امير المؤمنين علي ، لم يخلف بعد شهادته غير هذا المبلغ البسيط من الدراهم ، فقول الإمام الحَسن (خلف) ولم يقل (ترك) ؛ الإنسان الميت يخلف ولا يترك ؛ لانَّ الانسان عند موته سيؤول ماله الى غيره بالوراثة ؛ وما خلفه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو أمير أكبر دولة في العالم حينذاك ؛ بسطت جناحيها على مساحةٍ امتدت من الهندِ والسندِ شرقاً ؛ الى المحيط الأطلسي غربًا ؛ ولم يخلف لعائلته أكثر من سبعمائة درهم ، كان قد ادخرها من راتبه (عطائه من بيت مال المسلمين) ، وكان الهدف من ادخارها ، هو شراءُ خادمٍ يعينُ أهل بيته ويساعدهم في أعمال البيت ، واستشهد ولم يحقق هدفه بشراء الخادم ، وأما الصفراء والبيضاء ؛ فهيَ كنايةٌ رائعةٌ عن الدينار والدرهم ، إذ كان الدينارُ يصنعُ من الذهبِ ، وكنى عنه بالصفراء ، لأنَّ الذهب أصفر اللون ؛ فيما ترمز البيضاء الى الفضة ، ومنها يصنعُ الدرهم ، لأنَّ الفضة بيضاء اللون ، وفي هذه الفقرة استحضر الإمام الحَسن ما تركه جده رسول الله بعد وفاته وهو [٢١] : (ما ترك رسول الله صفراء ولا بيضاء ؛ ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا وليدة ، ولا ذهبًا ولا فضة) وهذه تدلُ على تأسي الامام علي برسول الله بما ترك ؛ ولا يختلف اثنان أنَّ مُحمّدًا وعليًا عليهما الصلاة والسلام ، هما نفسٌ واحدةٌ من خلال قوله تعالى في آية المباهلة {وانفسنا وأنفسكم} ، وبعد أنْ وصل الإمام الحسن عليه السلام الى هذه النقطة (خنقتهُ العبرةُ فبكى ، وبكى الناس من حوله) ، فحقَّ لهُ البكاء ، فمن لا يبكيك يا أمير المؤمنين ، كان يخطب الناس وقلبه يعتصرهُ الألم والأسى ، فلم يتمالك نفسه ، فبكى حتى انحدرتْ دموعه الطاهرة مسرعة على خديه حتى بلت لحيته الشريفة ، لأنَّه فقد أعظم رجلٍ بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، وشاركه المسلمون الذين كانوا معهم في المسجد البكاء ، ثم استعبر وواصل خطبته الشريفة فقال : (أيها الناس أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي الى الله بإذنه ، انا ابن السراج المنير) ؛ خاطب الإمام الحَسن المسلمين المتواجدين في المسجد ، وغير المتواجدين بصورة

عامة على طريقة الحاضر يبلغ الغائب ، بأنَّهُ هو ابن رسول الله ولا شك في ذلك ، إنَّهُ ابن النبي الذي ارسله الله سبحانه لينذرهم ، بأنَّ الشركَ ظلمٌ عظيمٌ ، وعاقبته وخيمةٌ ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى بعد أن أنذرهم عن طريق جده النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) سينزل عذابه الأليم على كلِّ من تجبرَ وطغى وعصى ، وسيدخله نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ، وأنَّهُ (أي الامام الحَسن) هو ابن النبي الذي دعاكم الى الإسلام ليخرجكم من الظلمات الى النور بإذن الله ، وأنَّهُ ابن النبي مُحمّد السراج الذي يضيءُ الدرب للناس كافة في كل المراحل والعصور ، فمن سلك طريق الحقَّ ، واتبع الرسول، فقد هُدي الى صراطٍ مستقيمٍ يوصله في النهاية الى مرضاة الله ورسوله ومكافأته الجنة خالداً فيها ، وأما من كفر وعصى وتولى وأبى أنْ يتبع النبي ، فقد هلك وهوى في نار جهنم خالدًا فيها ، ثم واصل خطبته قائلاً : (أنا من أهلِ بيتٍ ، أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا ، أنا من أهلِ بيتٍ ، فرض الله مودتهم في القرآن) أراد الإمام الحسن عليه السلام ، أنْ يُذَكِرَ المسلمين ، أنَّهُ من أهل البيتِ الذين طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس ، وهم أصحاب الكساء الخمسة الذين نزل فيهم قوله تعالى[٢٢] : {إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكُم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرًا } ، وأراد بأهلِ البيتِ ؛ (مُحمّدٌ وعليٌ وفاطمة والحَسن والحُسين)، ولا سادس لهم من البشر ، والحَسن هو الرابعُ بينهم ، ولم يكتف الله سبحانه وتعالى بآية التطهير ، بل فرضَ محبتهم على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ ، بآيةٍ أخرى على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال [٢٣]: {قُلْ لا أسئلكم عليه أجرًا إلا المودةَ في القُربى ۞ ومن يقترفْ حسنةً نُزدْ له فيها حُسنًا} ؛ الأعمال التي يقوم بها الناس ينتظرون من وراءها أجرًا ، وحقٌّ لك أنْ تطلب على عملك أجرًا ؛ فالعبادة وطاعة الله تطلبُ فيها أجرًا؛ هو أنْ يرضى الله عنك ، ويدخلك الجنة ، والنبيُ مُحمّدٌ عليه الصلاة والسلام ، لا يريد من المسلمين أجرًا ماديًا ؛ ولا أجرًا معنويًا لقاء إخراجهم من الظلمات الى النور ، وهدايتهم الى دين الحقِّ ((الإسلام)) ليرضى الله

عنهم ، ومن ثم يدخلهم الجنة ، والأجرُ الذي يريدُهُ رسول الله من المسلمين، هو مودةُ أهلَ بيته الكرام ، علماً أنَّ المودةَ ، تمثل أعلى درجات المحبة ، والرسولُ مع علمه المُسَبَقُ ، وهو على علمٍ ويقينٍ تامَيْنِ، أنَّهم سيعملون خلاف ذلك ، ومع ذلك يناشدُهم محبة أهل بيته ، لأنَّهُ يريد أنْ يسقط حججهم ويدحضها ، لأنَّهم سيقتلون ذريته الطاهرة لاحقًا بعد وفاته ؛ وفعلًا صدق ما أخبر به رسول الله ؛ فقد أحرقوا دار السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وقالوا : يا أبا حفص إنَّ فيها فاطمة ؛ فقال : وإنْ... ، [٢٤] ؛ وكسرُوا ضلعها ، وأسقطوا جنينها ، وقبل ذلك سلبُوا إرثها من رسول الله ، ومن ثم قتلُوها ، فماتت شهيدة من جراءِ ما جرى عليها منهم ، وقتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو قائمٌ يصلي في المحراب ، وسمّوا الحَسن ، وقتلوا الحَسين ومثلوا بجسده الطاهر ، إذ سحقته الخيل بحوافرها ، بعد أنْ حرموه وعياله شرب الماء ، وسلبوا ملابسه ، وتركوه عريانًا في العراء بلا غُسلٍ ولا كفنٍ ولم يدفنوه ، تباً لهم بما عملوا ، ولعنةُ الله على الظالمين الذين ظلموا أل مُحمّدٍ ، وسلبوا إرثهم من رسول الله ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى على أنَّ محبة أهل بيت النبي تعد حسنة يكافئُ بها الله من يحبُّ أهل بيتَ نبيه المنصوص عليهم في آية التطهير وآية المودة ، ونلحظ هنا أنّ الإمام الحسن قد كرر لفظة (أنا) ست مرات لتأكيد مكانة أهل البيت الرفيعة والسامية عند الله ورسوله ، والتكرار اللفظي في عرف أهل البلاغة ، هو من التوكيدات القوية ، إذا تكرر مرتين ، فكيف يكون إذا تكرر ست مرات ، وختم الإمام الحَسن عليه السلام خطبته بتفسير قوله تعالى {ومن يقترفْ حسنةً نُزدْ لهُ فيها حُسنًا} فقال عليه السلام : الحسنةُ هي مودتنا أهلَ البيتِ ، فالذي يُحبُّ أهل بيت النبي له من الله الحُسنى ، وهي الأجرَ والثوابَ ، والثوابُ هو دخول الجنة، وأخيراً ختم خطبته الشريفة بقوله : (حدثني جدي رسول الله أنَّ هذا الأمر يملكهُ اثنا عشر إمامًا من أهل بيتهِ وصفوتهِ ، ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ)، في هذا المقطع من الخطبة الشريفة يؤكد الإمام الحَسن عليه السلام ، أنَّ

الله سبحانه وتعالى قد حدد خلفاء الرسول مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكرهم بأسمائهم وعددهم ، وهم اثنا عشر إمامًا معصومًا ، متسلسلين الأول يرث الثاني علمًا وعملًا إلى آخرهم ، وهو الحجةُ بن الحسن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، وأنَّ هؤلاء الأئمة ستقتلونهم بالسيف أو السمّ ؛ بمجرد أنْ ينتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى ، ستقتلونهم وتسلبونهم مناصبهم وإرثهم ، وتدفعونهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى النبي بما سيجري بعد وفاته في قوله تعالى[٢٥] : { وما مُحمّدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبلهِ الرُّسل أفإنْ ماتَ أو قُتلَ انقلبتُم على أعقابِكُم ومن ينقلبُ على عقبيهِ فلنْ يضرَّ اللهَ شيئًا وسيجزي الشاكرين } ، الآية الكريمة تخاطب رؤساء قريش فيمن يدعون أنَّهم أصحابُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والآية تشير الى أنَّ هذا النفرُ الضال من الصحابة ، بمجرد وفاة رسول الله سيرتدُون عن الإسلام ، ارتدادًا قبيحًا ، ويرجعون الى جاهليتهم الجهلاء عن الطريق التراجع القهقهري ، وهو أسوءُ أنواع التراجع ، ففيه يرجعُ الإنسان الى الخلف ووجهه الى الامام ، وفعلًا بعد وفاة الرسول حصلت رزيةِ الخميس، أو ما يعرف ببيعة السقيفة ، وما ترتب عليها من مصائبَ ، ولا أريد التوسع في هذه الفقرة الأليمة ، فالخطبةُ على الرغم من قصرها ، إلا أنَّها أدتْ المطلوبُ منها بصورةٍ كاملةٍ وتامةٍ ، هذا ما استطعت أنْ أفهمه من خطبة أبي مُحمد الحَسن المجتبى عليه السلام ، وقبل أنْ أغلق ملف هذه الخطبة الشريفة أودُ أنْ أقول : أنَّ هذه الخطبة الشريفة ذكرتها مصادر كثيرة ؛ وفيها اختلافٌ رواية ، مع اختلاف بعض ألفاظ في الخطبة ؛ إلا انَّها لم تغير من معناها ؛ ولكنَّي اعتمدتُ رواية البحار لأنَّها أكملها ، وأما المصادر الأخرى التي روت الخطبة ، أو أشارت إليها فهي : الارشاد[٢٦]، واعلام الورى [٢٧] ، ومناقب آل ابي طالب [٢٨] ، الكامل في التاريخ [٢٩] ، والمستدرك للحاكم [٣٠] ، وينابيع المودة [٣١] ، وكشف الغُمَّة [٣٢] ، ومنهاج البراعة [٣٣] ، مسند أحمد ابن حنبل [٣٤] .

الخطبة بصورة عامة ، هي من قِصار الخطب ، لأنَّ طولها لا يتجاوز النصف صفحة ، إلا أنَّها مع قصرها أدتْ المطلوب منها بشكلٍ دقيقٍ ومباشر ويسير ، فقد كانت العرب تميلُ الى هذا النوع من الخطب ، لأسبابٍ كثيرة ؛ منها أنَّها في الحفظ أسرع ، وفي المحافل أجول ، ومنها أنَّ المقام لا يسمح بالإطالة والإطناب ، والمقام هنا هو نعي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ فالقلوب كلمى ، والعيون حرى ، تفيضُ دمعاً ودماً ، والعرب تفضل هذا اللون من الخطب ، فقد قالوا قديماً ((خيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ)) ، وقد سئل أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) شيخ مدرسة البصرة ، وأحد القراء السبعة [٣٥] : (هل كانت العربُ تطيل؟ فقال : نعم ليُسمع منها ؛ قيل : هل كانت تُوجز ؟ فقال : نعم ليُحفظ عنها)، وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي [٣٦] : (يطول الكلام ، ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ) ، فالإمام الحسن المجتبى عليه السلام في هذه القصيرة والموجزة ، أخبر المسلمين بشهادة أبيه عليه السلام بكلمات معدودات ، فَهِمَ المسلمون المرادُ منها ؛ فبكى كل من كان في مسجد الكوفة، فمن يقرأ الخطبة جيداً ، يشعر منذ الوهلة الأولى أنَّ الإمام الحسن عليه السلام ، كان ينهلُ من ذات المعين الذي كان الإمام علي عليه السلام ينهلُ منه ؛ فكلِّ أفكار الخطبة ومعانيها قرآنية بامتياز ، وهي تتناص مع القرآن الكريم في مواطن عدة ، منها ما كان يتناص لفظاً ، ومنها ما كان يتناص معنى ، إذا خطب الإمام الحسن تمثلُ امتداداً طبيعياً لخطب الإمام علي في نهج البلاغة ، بل هي تمثلُ نهجَ بلاغةٍ أخر ، وهنا تحضرني الآية الكريمة [٣٧]: { إنَّ اللهَ اصطفى آدم ونوحاً ؛ وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين؛ ذريةً بعضُها من بعضٍ}، فالإمام علي بن أبن أبي طالب من المصطفين الأبرار، وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسن المجتبى ، هو الآخر من المصطفين الأبرار ، فهو مُصطفىً ابن مُصطفىً ، وبما أنَّ الحَسن هو ابن علي ؛ لذلك فهُما ذريةٌ بعضُها من بعضٍ؛ وقد استعان الإمام الحسن في معاني هذه الخطبة بسبعِ سورٍ كريمات ، فضلاً عن سبعة

عشر آية كريمة ، مع خمسة أحاديث شريفة ، وسبعة أقوال عامة مشهورة، كرر الإمام الحسن عليه السلام لام الابتداء والتوكيد مصحوبة بحرف التحقيق قد ((لقد))؛ ثلاث مرات، في قوله : لقد قُبِضَ ؛ ولقد كان يجاهد؛ ولقد توفي ، كما استخدم الامام الحسن عليه السلام كان الفعل الماضي الناقص مع الفعل المضارع مرتين؛ ((كان يجاهد ؛ كان يوجهه)) ؛ كان مع الفعل المضارع تعني الماضي المستمر وهي تدل على التتابع والتوالي[٣٨] ، الخطبة بصورة عامة عبرت عن مكانة أمير المؤمنين وترسيخها في قلوب المسلمين ، مع اظهار جلل المصاب الذي أصاب بيت الإمام علي عليه السلام ، وخلاصة القول أنَّ الإمام علي وُلِدَ في ليلة القدر وفي ليلة القدر فاضت روحه الطاهرة ، فضلاً عن أنَّهُ وُلِدَ في بيت الله الحرام واستشهد في بيت من بيوت الله (مسجد الكوفة) ، وأخيراً أقول : هذا ما استطعت استيعابه وفهمه من خطبة نعي أمير المؤمنين للإمام الحسن عليهما السلام ، فإنْ وفقني الله ، وأصبتُ فيها ، فذلك بفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب ، فمن تلقاء نفسي الخاطئة واجتهادي ، وفي الختام أقول : اللهم آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيينا مُحمَّدٍ وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الكرام .

الهوامش :

١- مسند أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٧

٢- بحار الأنوار : ٤٣ / ٣٦٢

٣- ما بين عضادتين [ ] إضافة من ينابيع المودة : ١ / ١٤٤

٤- يوشع بن نون : هو وصي النبي موسى عليه السلام وفتاه ؛ وهو : يوشع بن نون بن إفراييم ين يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ؛ وقبره في بغداد

بجانب الكرخ في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، ينظر قصص القرآن الكريم : ٣١٣- ٣١٧ ، ولي تحفظ على مكان القبر ، لأنَّ يوشع كان في أرض كنعان ، فابن الأثير يؤكد أنَّهُ مات في أرض كنعان ، ينظر الكامل في التاريخ : ٣ / ٢٦٥

٥- سورة الشورى ؛ الآية ٢٣

٦- سنن ابن داود ؛ رقم الحديث : ٣٤٥١ ؛ سنن الترمذي ، رقم الحديث : ١٣١٤ ، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث : ٢٢٠٠

٧- سورة المعارج ؛ الآية : ٤

٨- سورة القدر الآية : ٣

٩- سورة الواقعة الآيتان : ١٠ - ١١

١٠- سورة الواقعة ؛ الآيات : ٧ – ١١

١١- عيون أخبار الرضا : ٥٤٩

١٢- مجمع البيان : ٩ / ٢٧٦ – ٢٧٧

١٣- مجمع الزوائد للهيثمي : ٩ / ١٠٢

١٤- سورة التوبة ؛ الآية : ١٠٠

١٥- معجم مقاييس اللغة : ٦ / ١٣١

١٦- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦٤

١٧- ينابيع المودة : ١ / ١٠٦ – ١٠٧

١٨- سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧

١٩- ديوان الإمام علي : ٥٧

٢٠- تاج العروس : ٢١ / ٦٥ - ٦٦

٢١- الفائق في غريب الحديث : ٢ / ٢٥٢

٢٢- سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣

٢٣- سورة الشورى ؛ الآية : ٢٣

٢٤- الإمامة والسياسة : ١٦

٢٥- سورة آل عمران ؛ الآية : ١٤٤

٢٦- الإرشاد : ١٨٨

٢٧- اعلام الورى : ٢٠٨

٢٨- مناقب آل ابي طالب : ٤ / ٣١

٢٩- الكامل في التاريخ : ٣ / ٤٠١ – ٤٠٢

٣٠- والمستدرك للحاكم : ٣ / ١٧٢

٣١- ينابيع المودة : ١٤٤

٣٢- كشف الغُمَّة : ١٥٨/٢ – ١٥٩

٣٣- منهاج البراعة : ٢ / ٣١ .

٣٤- مسند أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٧ - ٢٨

٣٥- العُمدة : ١ / ١٨٦

٣٦- المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

٣٧- سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٣

٣٨- معاني النحو : ١ / ٢٢٣

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الارشاد - للشيخ المفيد ؛ ط٢ ؛ ١٩٩٣م ؛ بيروت .
- أُسد الغابة في معرفة الصحابة – لعز الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور ، محمود عبدالوهاب فايد ، دار الشعب .
- الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني ، دار العلوم الحديثة ، ط ١ ، ١٣٢٨هـ ، مصر .
- أعلام الورى بأعلام الهدى – للطبرسي ، ١٩٧٩م ، بيروت .
- الإمامة والسياسة - لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، ٢٠٠٩م ، لبنان .
- أنساب الأشراف – للبلاذري، تحقيق المحمودي ، بيروت ، (د .ت).
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء في بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بيروت .
- تاج العروس – للزبيدي ؛ تحقيق مجموعة من الأساتذة ، الكويت .
- ديوان الإمام علي جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م ، بغداد .
- السيرة النبوية – لابن هشام ؛ تحقيق مصفى السقا ، وإبراهيم الابياري ، وعبدالحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م ، بيروت - لبنان .
- سنن ابي داود – للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي ، طبعة

جديدة مقابلة على عدة نسخ خطية رقمت أبوابها على المعجم المفهرس وتحفة الأشراف ، مع احالات للأحاديث على معالم السنن وعون المعبود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

- سنن ابن ماجة – الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، طبعة جديدة ومرقمة الكتب والأبواب والأحاديث ، حسب أرقام المعجم المفهرس في ألفاظ الحديث النبي الشريف ، ضبط نصها أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- الطبقات الكبرى – محمد بن سعد البصري ، دار صادر ، بيروت .
- العُمدة ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، الأردن .
- عيون أخبار الرضا - للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت٣١٨هـ) ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ؛ ١٤١٧هـ .
- الفائق في غريب الحديث – للزمخشري ، ١٩٩٦م .
- قصص القرآن الكريم – الدكتور أحمد الكبيسي ، نشرته وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ٢٠٠٠م.
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، دار صادر ، بيروت.
- كشف الغُمّة في معرفة الأئمة - لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ) ، مكتبة بني هاشم ، ١٣٨١هـ ، تبريز .

- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم - للطبرسي (توفي في القرن ٦هـ) ، وضع حواشيه وشرح آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للحافظ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري (ت٨٠٧هـ) ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ٢٠١٥م ، القاهرة .
- معاني النحو - د. فاضل السامرائي ، ١٩٨٩م ، بغداد .
- معجم مقاييس اللغة – لابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ١٩٧٩م ، بيروت .
- مناقب آل أبي طالب – لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب ، (ت٥٨٨هـ) ، طبع مؤسسة انتشارات العامة بالمطبعة العلمية بقم ، ١٣٧٩هـ .
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة – للخوئي ، تحقيق إبراهيم الميانجي ، ط٤ ، ١٣٦٠هـ ش .
- المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري، بيروت ، (د.ت).
- وقعة صفّين - نصر بن مزاحم المنقري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ ، القاهرة.
- ينابيع المودة لذوي القُربى - للقندوزي ، تحقيق سيد علي جمال الحسيني (ت١٢٩٤هـ) ، ١٤١٦هـ ش .

الفصل السابع

صلحُ الإمام الحسن (عليه السلام) : أسبابه ومبرراته ونتائجه

الإمامُ الحَسنُ المجتبى عليه السلام ، غنيٌ عن التعريف ، فهو قصيرُ النسب ، يُعرفُ نفسهُ بنفسهِ ، فبمجرد أنْ تقول الإمام الحَسن ، يذهبُ الفكرُ بكَ الى إنَّ المقصودَ به هو الإمام السبط الحَسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، جده رسول الله مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنبياء والمرسلين ، وأمه السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء الكون والجنة ، وهو وأخوه الإمام الحُسين سيدا شباب أهل الجنة ، بويع بالإمامة بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، بوصية منه قال فيها [١] : (يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، أنْ أوصي إليك ، وأدفع اليك كتبي وسلاحي) ، وأشهدَ على وصيته الحُسين ومحمداً وجميع ولده وأهل بيته ، ثُمَّ دفع إليه الكتاب والسلاح ، فيما روى الأصبغ بن نباته أنَّ علياً لما ضربهُ الملعون ابن ملجم دعا بالإمامين الحسن والحُسين ، فقال [٢] : (إنّي مقبوض في ليلتي هذه ، فاسمعا قولي وأنت يا حسن وصيي) ، أما مبايعته بالخلافة ، قال ابن أبي الحديد [٣] : (عهد بالخلافة الى الإمام الحسن عليه السلام عند موته) ،وقيل بعد رجوع الإمام الحسن عليه السلام وأهل بيته وأصحابه من تشييع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودفنه ، إذْ خرج عبدالله بن عباس الى الناس مخاطباً إياهم قائلاً [٤] : (معاشر الناس هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه ، فقالوا : ما أحبه إلينا ، وأوجبَ حقهُ علينا ، وبادروا الى البيعة له بالخلافة) ، وذلك في شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة ، استلم الخلافة والدولة الإسلامية تموجُ بالفتن والاضطرابات ، وأبرزها الفتنة الكبرى التي يقودها معاوية بن أبي سفيان ، بالانشقاق والانفصال عن الدولة الشرعية ، كان معاوية يطلبُ ما ليس له بأهلٍ ، فجيَّشَ الجيوش وسار لحرب الإمام الحَسن المجتبى الخليفة الشرعي

المنتخب من المسلمين جامعاً جيشاً تجاوز تعداده الأربعين ألف مقاتل ، فيما جمع الإمام الحسن جيشاً لا يتجاوز تعداده الستة عشر الف مقاتلٍ ، معظمهم لم يدخل الإيمان الى قلوبهم وكانوا متعددي الأهواء ، بدلالة أنَّ معاوية قال لرسولٍ أرسلهُ الى الإمام علي عليه السلام قائلاً له [٥] : (أبلغ علياً أنَّي أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة من الجمل) ، وقد بلغ من أمرهم في طاعته ، أنَّ معاوية صلى بهم عند مسيرهم الى صفين الجمعة يوم الإربعاء [٦] ، وهذا دليل على جهلهم بأمور الدين ومنها الصلوات المفروضة ، فقد جاء معاوية بجيش منظم قادته وأتباعه ، يطيعونه طاعةً عمياء ، فقد أغراهم بالمال والمناصب ، فأمات قلوبهم وضمائرهم ، فيما كان تعداد جيش الإمام الحسن عليه السلام لا يتجاوز الستة عشر ألف مقاتل ، كانَ جمعهم واحد ولكنَّ قلوبهم شتى ، وقادته أهوائهم مع معاوية وقلوبهم مع الحسن عليه السلام ، وأتباعه لا هم لهم إلا الأموال والغنائم ، وقد أنهكتهم حروب الجمل وصفين والنهروان ، فشتان ما بين العسكرين ، الأول منظم ومستقر والآخر مضطرب تسودهُ الفوضى، وبحثي هذا يتكون من ثلاثة مجاور هي :

المحور الأول : أسباب الحرب

بعد مقتل عثمان بن عفان تدافع المسلمون الى المسجد النبوي الشريف لمبايعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفةً للمسلمين ، وهذا الأمر بطبيعة الحال لا يروقُ لأصحاب المصالح الباحثين عن المال والمناصب أمثال طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام ، والأمويين كافة بزعامة معاوية بن أبي سفيان ، لذلك قالوا إنَّ الإمام علي بن أبي طالب هو من قتل عثمان ، وإنْ لم يكن هو ، فقد حرض على قتله مطالبين بالقصاص من أبرز أصحاب الإمام علي ثأراً لدمِ عثمان حسب إدعائهم ، والسبب واضح ومفضوح هو لإضعاف موقف الإمام علي عليه السلام من خلال تجريده من أقوى أنصاره ومؤيديه ، لذلك ازدادت حدة الخلاف

بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من جانب والأمويين بزعامة معاوية من الجانب الآخر ، مما أدى الى نشوب معارك صفين وما ترتب عليها .

فقد كان لمعارك صفين والاضطرابات والفوضى التي سادت الدولة الإسلامية سببان مباشران هما :

١- بُدعة عثمان بن عفان في إلغاء عُمرة التمتع من الحجِّ الأكبر .

٢- شقُّ صفوف المسلمين وجعلهم طائفتين ، طائفة مع عثمان وأنصاره ، والطائفة الثانية مع الإمام علي واتباعه ومؤيديه .

لو عُدنا قليلاً الى الوراء لوقفنا على بداية الانشقاق الذي حدث في صفوف المسلمين ، والذي بسبب عثمان بن عفان ، وذلك حينما أحدث البدعةً الكبرى في الإسلام بإلغاء عُمرة التمتع من الحجِّ الأكبر ، فتصدى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لهذا الشرخ الكبير والخطير الذي حدث بين المسلمين ، والبدعة الكبرى في ركنٍ مُهمٍ من أركان الإسلام ، إلا هو الحجُّ الأكبر ، ففي سنة ((٢٦)) هجرية أعلن عثمان بن عفان الغاء عمرة التمتع من الحج الأكبر ، فقد روى مالك بن أنس في الموطأ ما نصه[٧] : (إنَّ المقداد بن الأسود دخل على علي عليه السلام بالسُقيا ، وهو ينجعُ بكرات له دقيقاً وخبطاً فقال : هذا عثمان بن عفان ينهى عن أنْ يقرن بين الحج والعمرة ، فخرج عليٌ عليه السلام وعلى يديه أثر الدقيق والخبط ، فما أنسى أثر الدقيق والخبط على ذراعيه ، حتى دخل على عثمان فقال : أنت تنهى أنْ يُقرنَ بين الحجِّ والعمرة ؟ فقال عثمان : ذلك رأيي ، فخرج عليٌ مُغضباً وهو يقول : لبيك اللهم لبيك حجةً وعمرةً معاً)، فنهض الإمام علي للمهمة في سنة ((٢٦)) هجرية ، لافتاً نظر الحجيج الى أنَّ حجهم لم يكتمل ، لأنَّ فيه نقصٌ مهمٌ يتمثل في عدم ادائهم عمرة التمتع،

التي تسبق الحجّ ، ولتجتمع معه مكونة الحجّ الأكبر، أعلن ذلك في موسم الحجّ في مكة المكرمة .

تصدى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لبدعة عثمان بن عفان الكبرى التي تمثلت بالغاء عمرة التمتع من الحجّ ، فشكل مثلثاً رأسه الى الأمام وقاعدته في الخلف ، كان الإمام علي عليه السلام يمثل رأس المثلث، وولداه الإمامان الحسن والحسين يمثلان جناحاه ، فالحسن والحسين عليهما السلام ومن شبابهما المبكر ، إذْ كان عمر الإمام الحسن ((٢٣)) سنة ، وعمر أخيه الإمام الحسين ((٢٢)) سنة ، فتصديا مع أبيهما لبدعة عثمان بن عفان ، فكانا بحقٍّ جناحا الإسلام في التصدي لعثمان وبدعته وانحرافه عن السُنة النبوية الشريفة ، فلولا وقفتهم المشهودة لتحول الإسلام الى إسلامٍ أموي نبيهُ أبا سفيان ووصيه ابنه معاوية .

بطبيعة الحال هذا الأمر لم يحظ برضا عثمان وأعوانه ، ومن سار على نهجهم ، إذْ كان عثمان مصراً على بدعته ، فيما كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رافضاً لبدعة عثمان جملة وتفصيلاً ، ومن هنا توسع الشرخ واتسع بين الهاشميين والامويين ، فانقسم المسلمون الى فريقين، فريق يقوده عثمان بن عفان ، مخالفاً للسُنة النبوية ، يريد تبديل ما أرسى قواعده رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الحجّ الأكبر، المكون من ركنين عمرة التمتع + الحجّ ، وفريق يقوده الإمام علي عليه السلام، يريد الحفاظ على السُنة النبوية الشريفة ، وأركان الاسلام بصورة عامة، ومنها الحج الأكبر بركنيه ، وتثبيت أركانه بجذورٍ قوية ، ومن هذا المنطلق ذهب الإمام علي عليه السلام الى الحجِّ في تلك السنة ، وفي وقت نفسه ذهب عثمان الى الحجِّ أيضاً ، ليمنع الحجيج من اداء عمرة التمتع ، فقد روى الإمام السندي أنَّهُ قال الإمام علي لأصحابه وأتباعه : إذا رأيتموه (عثمان) ارتحل فارتحلوا معه ملبين بالعمرة ، ليعلم أنّكم قدمتم السُنة على قوله (بدعته) ، وأنه لا طاعة له في مقابل السنة [٨] .

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سار على خُطى أبيه علي أمير المؤمنين عليه السلام في الحفاظ على مشروع إحياء السُنة النبوية الشريفة، التي أُرِيدَ لها الإنحراف عن نهج رسول الله محمد (صَلى الله عليه وآله وسلم) ، ومنها إلغاء عمرة التمتع ، وهي جزءٌ مهم من الحجّ الأكبر أرساها رسول الله ، وبطبيعة الحال كان هذا النهج سبباً من الأسباب التي حارب فيها الإمام علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان الذي كان متمسكاً ببدعة عثمان بن عفان والسير على خُطاها .

أما الإنشقاق الذي حدث في صفوف المسلمين ، فقد حدث في خلافة عثمان بن عفان أيضاً ، بعد إعلان بدعته على المسلمين ، وتوسع الانشقاق أكثر ، وبعُدْت الشُقة بين الطرفين بعد مقتل عثمان وتحزب المسلمين الى حزبين ، حزبٌ ديني يتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ويرأسه الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، ويؤازرهُ ولداه الإمامين الحَسن والحُسين عليهم السلام سيدا شباب أهل الجنة ، والحزبُ الثاني دنيوي يرأسه معاوية بن أبي سفيان ، وهدفهُ الانحراف عن السُنة ، والسير على خطى عثمان بن عفان ، مع إجراء تغييرات كبيرة في السُنة النبوية الشريفة ، ولست هنا بصدد ذكر التغيرات التي حدثت ، ولكني فقط أشير الى بدعة عثمان بن عفان ، لذلك كان الصراعُ قائماً حول قيادة الإسلام ومن يقود المسلمين ، فعليُ بن أبي طالب وابناه الحَسن والحُسين عليهم السلام ومعهم عدد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم : أمثال عمار بن ياسر ومالك الأشتر وعدي بن حاتم الطائي وحجر بن عدي الكندي ، وهم يريدون السير بالمسلمين على خطى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، مع تطبيق السُنة النبوية كما وردت عن رسول الله ، والحزب الثاني ويقوده معاوية بن أبي سفيان ويعاونه عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، وجميعهم من الطلقاء الذين لا يحق لهم زعامة المسلمين وقيادتهم[٩]، حتى أنَّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رفض خلافتهم ، قائلاً[١٠]: (إنَّ أمرَ الخلافةِ لا يصلحُ للطلقاءِ ولا للأبناءِ الطلقاءِ) ، ومعاويةُ

بن أبي سفيان طليقٌ وابنُ طليقٍ ، وأعوانُهُ عمرو بن العاص ومروان بن الحكم طليقان أيضاً .

المحور الثاني : مبررات الصلح

الصلاحُ هو نقيضُ الفسادِ ، والصلحُ بمعناه اللغوي يعني السلم [١١]، ليعيش الناس بأمنٍ وأمانٍ بعيداً عن الحروب والاضطرابات والفتن ، والإنشاق الذي حصل بسبب بدعة عثمان بن عفان ، ولا سيما الرافضين لها كانوا يعيشون حالة قلق وخوف ورعب من البطش ، ولما نشبتْ معارك صفين كان أكثر الناس من الطرفين كارهاً لها خائفاً منها ، خوفاً من القتل والتشريد ، فكان الصلحُ بلسماً شافياً ، ليبدد مخاوفهم ، لذا كان الناس يتطلعون الى الصلح وانتظار بُشراهُ ، وكان كريم أهل البيت الإمام الحسن عليه السلام يقرأُ ذلك في وجوه الناس .

بعد شهادة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ، ومبايعة الإمام الحسن المجتبى بالخلافة ، حدث في جبهة الإمام الحسن بعض الفتور والهدوء بسبب الحدث الجلل الذي أودى بحياة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، فاستغل معاوية هذا الفتور والهدوء ، فزحف بجيش جرار كامل العدد والعدة قوامه أكثر من أربعين ألف مقاتل تجاه العراق حتى وصل الى منطقة مسكن [١٢] ، ولما علم الإمام الحسن عليه السلام بذلك تحرك هو الآخر لاستقباله استعداداً لمعركة فاصلة بدأت عاصفتها تزأر بقوة ، وطبول حربها تقرعُ بشدة ، فأمر منادياً بالكوفة بالصلاة الجامعة ، واجتمع الناس فخرج الإمام الحسن عليه السلام وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال [١٣] : ((فحمدَ الله وأثنى عليه ؛ ثم قال : أما بعد ؛ فإنَّ اللهَ كتبَ الجهادَ على خلقهِ ؛ وسمّاهُ كُرهاً [١٤] ؛ ثم قال : لأهلِ الجهادِ من المؤمنين [١٥] : {اصبروا أنَّ اللهَ مع الصابرين} ؛ فلستم أيُّها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ؛ إنَّهُ بلغني أنَّ معاوية بلغه ، أنا كنّا

أزمعنا على المسير إليه ؛ فتحرك لذلك ؛ اخرجوا رحمَكُم الله الى معسكركم بالنُخيلة ؛ حتى ننظرْ وتنظروا (١٦) ؛ ونرى وتروا) . (١٧)

بعد انتهاء الامام الحَسن عليه السلام من إلقاء خطبته الشريفة ؛ قرأ في وجوه الناس التخاذل والتباطؤ عن الاستجابة لندائه وخطابه ؛ فسكتوا جميعاً ؛ ولم ينطقوا كلمة واحدة بالموافقة ؛ وهذا التثاقل والتخاذل قرأهُ أيضاً الصحابي الجليل عَدي بن حاتِم الطائي الذي كان مذهولاً مما يرى ؛ من هذا الموقف الضعيف والمتخاذل ؛ فقام ووقف في وسطهم فقال : أنا عَدي بن حاتِم - سبحانَ اللهِ - ما أقبحُ هذا المقام (١٨) : (ألا تجيبونَ إمامَكم ؟ وابن بنتِ نبيَكم ؟ أينَ خطباءُ مُضر ؛ أين المسلمونَ ؟ أينَ الخواضونَ من أهل المِصْرَ الذينَ ألسنتُهم كالمخاريقِ في الدّعة ؟ فإذا جدَّ الجدُّ فروّاغون كالثعالب ؛ أما تخافونَ مقتَ اللهِ ؛ ولا عيبَها وعارَها) ؛ ثُمَ استدار ووجه وجهه الى الإمام الحَسن عليه السلام فقال (١٩) : (أصابَ اللهُ بكَ المراشدَ ؛ وجنبكَ المكارهَ ؛ ووفقكَ لما يُحْمَدُ وُردهُ وصدرهُ ؛ قد سمعنا مقالتكَ ؛ وانتهينا إلى أمركَ ؛ وسمعنا لكَ ؛ وأطعناكَ فيما قلتَ ورأيتَ ؛ وقال : هذا وجهي الى معسكرنا ؛ فمن أحب أنْ يوافي فليوافِ) ؛ ثم خرج من المسجد (٢٠) : (ودابته بالباب فركبها ومضى الى معسكر النُخيلة ؛ وأمر غلامَهُ أنْ يلحقه بما يصلحه ؛ وكان المثل الأول للمجاهد المطيع لإمامه ؛ وهو إذ ذاك أولُ الناسِ عسكراً) ؛ فالتحق به الف مقاتلٍ من قبيلةِ طيّءٍ لا يعصون له أمراً (٢١) .

تجمع أنصار الإمام الحسن عليه السلام في معسكر النُخيلة قرب الكوفة مدة عشرة أيام ، فلم يلتحق به سوى أربعة آلاف مقاتل ، فرجع الى الكوفة ليستنفر الناس من جديد ، فخطب فيهم قائلاً (٢٢) : (قد غررتمُوني(٢٣) كما غررتم أبي من قبلي ؛ مع أيِّ إمامٍ تقاتلون بعدي ؛ مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ، ولا برسوله قط ؛ ولا أظهر الإسلام هو؛

ولا بنو أمية إلا فرقاً بالسيف ؟ ولو لم يبقَ لبني أمية إلا عجوزاً درداء [٢٤] لبغت دين الله عوجاً ؛ وهكذا قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) .

وكان تعداد جيش الإمام علي عليه السلام قبل استشهاده ((٤٠)) أربعين ألف مقاتل ، انفرط عقده ، وتمرد أكثره ، وتثاقل حملة السلاح في الكوفة عن الإنصياع لأمر الإمام الحسن عليه السلام ، فكانت مقدمة جيش الإمام الحسن التي بعث بها الى لقاء معاوية في مسكن ((١٢)) اثني عشر ألفاً ، يضاف لهم أربعة آلاف أخرى ، فيكون المجموع الكلي ((١٦)) ستة عشر الف مقاتل [٢٥] ، أرسل الإمام الحسن عليه السلام جيشاً قوامه أربعة آلاف [٢٦] مقاتل بقيادة رجلٍ من كندة وأمره أنْ يعسكر في الأنبار ، فخدعهُ معاوية وأغراهُ ، وكتب له : إنَّكَ إنْ أقبلتَ إليَ أولك بعض كور الشام والجزيرة ، غير منفس عليك ، وأرسل إليه بخمسمائة درهم ، فقبض الكندي المال ، وانقلب على الحسن عليه السلام ، وصار الى معاوية في مائتي رجل من حاشيته وأهل بيته ، فبلغ الخبر الإمام الحسن عليه السلام ، فخطب في الناس فقال : هذا الكندي توجه الى معاوية وغدر بي وبكم ، وقد أخبرتكم مرة بعد مرة ، لا وفاء لكم ، أنتم عبيد الدنيا ، وأنا موجه رجلاً مكانه ، وأنّي أعلمُ أنَّهُ سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبكم ، ولا يرقب الله فيَّ ولا فيكم ، فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف مقاتل ، وتقدم بمشهد من الناس ، وأخبره الإمام الحسن عليه السلام أنَّهُ سيغدر كما غدر الكندي ، فحلف بأغلظ الإيمان التي لا تقوم لها الجبال أنَّهُ لا يفعل ، فقال الإمام الحسن سيغدر ، فلما توجه الى الأنبار ، أرسل إليه معاوية بخمسمائة درهم ومناه أي ولاية أحب إليه من كور الشام والجزيرة ، فانقلب على الحسن عليه السلام ، وأخذ طريقه الى معاوية ولم يحفظ ما أُخِذَ عليه من العهود [٢٧] .

خرج الإمام الحسن عليه السلام من الكوفة الى المعسكر مستخلفاً على الكوفة المغيرة بن نوفل بن عبدالمطلب ، وسار الإمام الحسن بعسكر

عظيم ، وبعدة حسنة وبلغ تعداده ((٤٠)) أربعين ألف مقاتل [٢٨] ، وكان معاوية قد نزل مسكن ، فوصل الإمام الحسن الى المدائن ، وجعل قيس بن عبادة الأنصاري على مقدمة جيشه بـ ((١٢)) اثني عشر الف مقاتل ، وجعل عبيدالله بن العباس على مقدمة طلائع جيش قيس بن عبادة الأنصاري [٢٩].

ولما دنت ساعة الصفر لنشوب نار الحرب ، كان قادة جيش الإمام الحسن عليه السلام من أمثال : عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وحجر بن عمرو ، وعمارة بن الوليد بن عقبة ، و وعبدالله بن وهب الراسبي ، وعمرو بن حريث ، وأبو موسى الأشعري ، والأشعث بن قيس .. وغيرهم يبعثون برسائل التأييد والولاء لمعاوية وأنَّهم رهن إشارته ، ولديهم الإستعداد بأسر الإمام الحسن عليه السلام وتسليمه له ... علما أنَّ هؤلاء هم أول من بايع الإمام الحسن بالخلافة وعاهدوه أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم [٣٠] .

ولما اتضح الأمر أمام الإمام الحسن عليه السلام بصورة جلية ، وأنَّ قادة جيشه هواهم مع معاوية ومستعدين تسليم الكوفة لمعاوية ، وتيقنَ أنَّهُ سيدخل حرباً خاسرةً يؤول نصرها الظاهري لمعاوية بن أبي سفيان ، من خلال قلة أصحابه المخلصين ، وكثرة الخونة والغادرين ، وبنظرة ثاقبة للأمر رأى الأمام الحسن عليه السلام أنَّ الحفاظ على بيضة الإسلام خيرٌ من حربٍ لا جدوى منها مع حفظ الصفوة الباقية من المسلمين على الرغم من عدم قناعتهم ، لكي تبقى راية الإسلام خفاقة ، وكي ينتشر الدين ولا يخبو سراجه ، فشاور الإمام الحسن عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام في الأمر [٣١] ، فوافقه الرأي ، فاختار الإمام الحسن الخيار الأصعب بدفع الأفسد بالفاسد ، والأشر بالشر ، ويبدأ بجهاد أكبر بنهجٍ جديد في المرحلة القادمة [٣٢] ، لذا لجأ لقبول الصلح بمرارة ، وكان الإمام الحسن عليه السلام استطاع بقوة أيمانه أنْ يحول الموقف ، بأنَّ معاوية هو

الذي طلب الصلح مستخدماً حنكته السياسية فلم يطلبه بنفسه ، أو يتعجل بطلبه ، بل جعل المبادرة تأتي من معاوية بإلحاح كبير ، وأنَّهُ طلب الصلح بمبادرة استباقية كما كان يفكر ، فقد سلم معاوية بن ابي سفيان كتاباً وضع أسفله ختمه وأرسله بيد ابن عم له قائلاً للحسن : اكتب ما شئت من شروط الصلح (٣٣) .

بعد ذلك جرت مفاوضات الصلح ، فأرسل معاوية الى الحسن عليه السلام عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فقال ابن عامر : إتقِ الله في دماء أمة محمد أن تسفكها لدُّنيا تصيبها وسلطاناً تناله بعد أن يكون متاعك قليلاً ، إنَّ معاوية قد لجَّ !!! فناشدتك الله أن لا تلجَّ فيهلك الناس بينكما ، وهو يوليك الأمر من بعده ويعطيك كذا ، وكلمه عبدالرحمن بن سمرة بمثل كلام عبدالله ، فقبل الإمام الحسن ذلك منهما ، وبعث معهما عمرة بن سلمة الهمداني ثم الأرجحي ، ومحمد بن الأشعث الكندي ليكتبا على معاوية الشروط ويعطياه الرضا (٣٤) .

فكتب معاوية بن أبي سفيان الى الحسن عليه السلام(٣٥): (إنَّي صالحتك على أنَّ الأمر لك من بعدي ، ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله) ، فلما قرأ الإمام الحسن عليه السلام الكتاب ، قال : يُطمعني في أمرٍ لو أردته لم أسلمه له ، وعقد الصلح في مسكن في شهر ربيع الأول من سنة ((٤٠)) اربعين للهجرة (٣٦) .

وبعد ذلك تم الصلح بين الطرفين بشروطٍ وضعها الإمام الحسن عليه السلام وكانت كما يأتي :

١- اشترط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية العمل بكتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الصالحين ، وأن لا يعهد لأحدٍ من بعده عهداً (٣٧) .

٢- أنْ يكون الأمر من بعده للحسن بن علي ومن بعده للحسين بن علي عليهم السلام [٣٨] .

٣- أنْ لا يُسمي الإمام الحسن عليه السلام معاوية بأمير المؤمنين[٣٩] .

٤- أنْ يترك معاوية سبَّ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وشتمه [٤٠] .

٥- أنْ يُؤَمِنْ معاوية الناس جميعاً ولاسيما أتباع أهل البيت [٤١] .

٦- أن يستوفي كلَّ من قُتِلَ مع أمير المؤمنين في الجمل وصفين جميع حقوقهم المالية بما يعادل ألف ألف درهم [٤٢] .

٧- أنْ لا يبغي معاوية الغوائل لأهل البيت سراً وجهراً [٤٣] .

وباختصار شديد يمكن أن نقول أنَّ أسباب الصلح كثيرة يمكن أن نجملها بما يأتي :

١) كانت علة صلح الإمام الحسن مع معاوية هي الحفاظ على مشروع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو مشروع رسالي يستهدف تحرير دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ثقافة أهل الكتاب ، التي نشرها كعب الأحبار ، وتميم الداري مما يخالف تنزيه الله ، وتنزيه الأنبياء ، بأمرٍ قريشٍ المسلمة ، ومن تحريمهم متعة الحج ، وإرجاع مقام ابراهيم الى ما كان عليه في الجاهلية ، وإمضاء التطليقات الثلاث بتطليقة واحدة ، وابتداع صلاة التراويح ، وغيرها من البدع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك لتكريس إمامتها الدينية التي دان بها مسلمة الفتوح وأهل الشام وغيرهم [٤٤] .

٢) تشتت كلمة جيش الإمام الحسن عليه السلام ، وعدم توحد كلمتهم ولاسيما القادة والرؤساء منهم ، لقد كانوا أصحاب أهواءٍ وأطماع، ولا رأي لهم ، وقد مرَّ بنا خيانة الكندي ومن بعده المرادي ملتحقين بصوف معاوية بن أبي سفيان بعد أنْ أغراهم بالمال والمناصب وكذا الحال مع عبيدالله بن عباس الذي التحق بمعاوية لاحقاً .

٣) قلة عدد جيش الإمام الحسن عليه السلام وتفككه ، فضلاً عن ازدياد جيش معاوية وقوته ، الذي كان في أحسن حالٍ وعدة وسلاح ، إذْ لم يتجاوز جيش الإمام الحسن عليه السلام الإثني عشر الف مقاتل إزاء جيشِ معاوية الذي تجاوز تعداده الأربعين الف مقاتل .

٤) جيش الإمام الحسن عليه السلام وعلى الرغم من قلته كان منهكاً ، قد انهكته حروب الجمل وصفين والنهروان فضلاً عن تمرد من كان يحمل السلاح في جيش الإمام علي عليه السلام .

٥) قادة جيش الإمام الحسن عليه السلام لم يكونوا من المخلصين ، وكانت تقودهم اهوائهم وأطماعهم للحصول على الأموال والمناصب ، لذلك كانوا يراسلون معاوية معلنين استعدادهم تسليم الكوفة لمعاوية .

٦) الحفاظ على حياة الإمام الحسن عليه السلام وآل بيته ، وعدم أخذه أسيراً الى معاوية بن أبي سفيان ، ليمنَّ عليه بإطلاق سراحه ليقول له : اطلقنا جدك يوم فتح مكة ، وأنا أطلق سراحك اليوم ، لتكون هذه بتلك ، وعند ذلك تصبح سبة على آل البيت ، ويتندر بها النواصب ، بأنَّ معاوية انتصر على الحسن عليه السلام ،

وأسره وأطلق سراحه كرامةً لجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولهذه الأسباب وغيرها كان الإمام الحسن عليه السلام مضطراً لقبول الصلح مع معاوية على الرغم من أنَّهُ على الحقّ ، وحينما دخل عليه بعض أصحابه ، ولاموه على الصلح أجابهم بإجابات تتطابق مع ما كان يقوله ذلك الشخص المعترض وهم :

١- قال الإمام الحسن عليه السلام لمالك بن ضُمرة بعد أنْ عاتبه على الصلح [٤٥] : (إنّي خشيتُ أنْ يجتث المسلمون عن وجه الأرض ، فأردتُ أن يكون للدين ناعٍ) .

٢- ويجيبُ عليه السلام عن تساؤل سفيان بن ياليل لما قال له : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فيقول عليه السلام له [٤٦] : ما أذللتهم ، ولكن كرهتُ أنْ أفنيهم وأستأصل شأفتهم .

٣- قال لأبي سعيد لما سأله عن علة الصلح [٤٧] : ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلا قُتل .

٤- وقال لحجر بن عدي الكندي عند معاتبته بعبارة - سودت وجه المؤمنين - [٤٨] : ما كل أحدٌ يحب ما تحب ، ولا رأيه رأيك ، وإنَّما ما فعلت إبقاءٌ عليكم .

٥- دخل حجر بن عدي الكندي على الإمام الحسن عليه السلام فقال له : يا ابن رسول الله لو وددتُ أنّي متُ قبل ما رأيت ، أخرجتنا من العدل الى الجور ، فتركنا الحقَّ اذي كنا عليه ، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهربُ منه ، وأعطينا النية من أنفسنا ، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق ببنا .

فاشتد على الإمام الحسن عليه السلام ما سمع من حجر بن عدي الكندي فقال له [٤٩] : إنّي رأيتُ هوى عظم الناس في الصلح ، وكرهوا الحرب ، فلم أحب أنْ أحملَهم على ما يكرهون ، فصالحتُ بقيّاً على شيعتنا خاصة من القتل ، فرأيتُ دفع هذه الحروب الى يوم ما ، فإنَّ الله كلَّ يومٍ هو في شأن .

٦- روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع [٥٠] عن أبي سعيد عقيصا قال : قلتُ للإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام : يا ابن رسول الله : لِمَ داهنت معاوية وصالحته؟ فأجاب الإمام الحسن عليه السلام : علة مصالحتي لمعاوية ، علة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني ضُمرة، وبني أشجع ، ولأهل مكة ، حين انصرف من الحديبية ، أولئك كفارٌ بالتنزيلِ ، ومعاويةُ وأصحابهُ كفارٌ بالتأويلِ .

وبذلك وضع الإمام الحسن عليه السلام مقياساً دقيقاً لدراسة الصلح وواقعهُ وأهدافه وانجازاته .

وأختتمُ هذا المحور بما قاله الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام في صلح الإمام الحسن عليه السلام [٥١] : والله للذي صنعهُ الحسن بن علي عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت الشمسُ والقمر .

المحور الثالث : نتائج الصلح

بعد أن هدأ زئير الحرب ، وتوقفت طبولها عن القرع ، وأغمدت السيوف في أغمادها ، كان الناس في الكوفة منقسمين الى فريقين : الأول فرحٌ راضٍ بما آلت إليه نتيجة المفاوضات ، وتمخضها عن الإتفاق على الصلح ، والفريق الثاني غاضبٌ وغير راضٍ عن الصلح بعد أنْ آلتْ الخلافة الى معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام ، ولكلِّ فريقٍ مبررات فرحه وغضبه ، إلا أنَّ غصة مرارة الندم على خذلان الإمام الحسن عليه السلام،

وعدم طاعته في حربه على معاوية ، هم الأكثر حزناً وألماً ، فقد تبخرت أحلامهم الوردية التي كانوا يحلمون بها ، فلا عطاءات ولا مناصب ، بل كانوا يعيشون في خوفٍ ورعبٍ من القادم المجهول ، بعد أنْ عضوا أنامل الندم من التفريط بنصرٍ مؤزر كان يحومُ فوق رؤوسهم ، وقريباً منهم ، فبدأ الناس يتضايقون من أعمال عُمال معاوية ، وأصابهم السوءُ والحرمان، عند ذلك شعروا بفقدان النعمة لإلهية التي لم يصونوها ولم يحافظوا عليها ، وبدأ معاوية يذيقهم الذّلَ والهوان ، وعندما انتبهوا الى أنفسهم وندموا على ما فرطوا به ، كان الإمام الحسن عليه السلام قد قرر جمع أهله لمغادرة الكوفة والعودة الى المدينة المنورة ، وقبل الرحيل عن الكوفة وبعد أن رأى ما حلَّ بأهلها من سوء حال قال لهم [٥٢] : (والله ما سلمتُ الأمر إلا أنني لم أجد أنصاراً ، ولو وجدتُ أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكن عرفتُ أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، وأنَّهم لا وفاء لهم ، ولا ذمة في قول ، ولا في فعل ، إنَّهم لمختلفون ويقولون لنا إنَّ قلوبهم معنا وسيوفهم لمشهورة علينا) ، بعد هذه الخطبة التي كانت خاتمة أقواله مع أهل الكوفة غادرها غير مأسوفٍ عليها .

وحينما دخل معاوية بن أبي سفيان الكوفة بعد الصلح خاطب أهلها قائلاً [٥٣] : (يا أهل الكوفة ، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ ، وقد علمتُ أنَّكم تصلون وتزكون وتحجون ؟ ولكني قاتلتكم لأتأمرَ عليكم ، وألي رقابكم ، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون ، إلا إنَّ كلَّ دمٍ أصيب بهذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين !! ولا يصلح الناس إلا ثلاث : إخراج العطاء عند محله ، واقفال الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره ، فإنْ لم تغزوهم غزوكم) وفي هذه الخطبة نال معاوية من الإمام علي عليه السلام ، ثم نال من الحسن عليه السلام ، وقال ابو اسحق السبيعي أنَّ معاوية أضاف قائلاً : ألا وإنَّ كلَّ شيءٍ أعطيتُ الحسن بن علي تحت قدمي هاتين ، لا أفي به !! .

أما المكاسب التي حققها الصلح يمكن أنْ نجملها بما يأتي :

١- المحافظة على مشروع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بإحياء سُنة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الإندثار، ولاسيما الثبات على عمرة التمتع في الحج بعد أنْ ألغاها عثمان بن عفان .

٢- الحفاظ على حياة الإمام الحسن عليه السلام من الغدر ، وإفشال خطة معاوية واتباعه بأخذه أسيراً، ومن ثّمَ المنُّ عليه بالعفو ، ويقول له معاوية : أطلقنا جدك يوم فتح مكة ، وأنا حفظتها له ، لذلك اطلقُ اليومَ سراحك ، واحدة بواحدة ، ليكون هذا العفو إنْ حصل سبةً سيئةً على أهل البيت .

٣- الحفاظ على أهل البيت الكرام عليهم السلام ، وعلى الخُلصِ من أصحابهم وانصارهم وأتباعهم من القتل والتشريد و تأمينهم ، وعدم ملاحقتهم .

٤- تبصير أهل الشام المغفلين بالإعلام الأموي الضال بحقيقة معاوية واتباعه المعادية للدين الإسلامي وأهل البيت .

٥- تخصيص عطاءات مالية لشهداء الجمل وصفين ممن استشهدوا في صفوف جيش الإمام علي عليه السلام .

٦- توحيد كلمة المسلمين ، ورأب الصدع بينهم .

٦- تميزتْ السنوات العشر التي تلت الصُلح بالأمان ، مع حركة نشيطة لشيعة علي عليه السلام في نشر أخبار سيرته المشرقة وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أهل بيته .

٧- قرارُ الصلحِ لم يكنْ رأياً منفرداً للإمام الحَسن المجتبى عليه السلام، بل كان رأياً مشتركاً مع أخيه الإمام الحُسين الشهيد عليه السلام ، إذْ كان الإمام الحَسن يشاور أخيه الحُسين في كلَّ الأمور.

وأختم الفصل بالقول : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا أنْ هدانا الله لخدمة الإسلام بصورة عامةً وأهل البيت الكرام عليهم السلام بصورة خاصة ، و آخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين ورحمة الله وبركاته .

الهوامش :

١- بحار الأنوار : ١٠ / ٨٩

٢- الإرشاد : ١٩٢

٣- شرح نهج البلاغة : ١ / ٥٧

٤- الإرشاد : ١٩٢

٥- الغدير : ١٠ / ١٩٦

٦- الغدير : ١٠ / ١٩٦

٧- الموطأ : ١٧٣

٨- الطلقاء : هم المخالفين للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، عفا عنهم يوم فتح مكة ، وأبرزهم أبو سفيان وولديهِ معاوية ويزيد ، والطليق هو صاحب السمعة السيئة وقد أسلم كرها.

٩- ينظر كتاب الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي : ٩٠ مع تفاصيل كثيرة.

١٠-الإصابة في تمييز الصحابة : ٤ / ٧٠ ، أنساب الأشراف : ١٠/ ٤٣٤ ــ ٤٣٥

١١-لسان العرب مادة : صلح

١٢-مسكن منطقة تقع بالقرب من قضاء الدجيل الحالي ، وكانت تعرف بـ ((سميجة)) وهي تقع نهر الدجيل شمالي بغداد بـ ((٦٠)) ستين كم ، وفيها قبرُ إبراهيم بن مالك الأشتر ، وقبرُ مصعب بن الزبير قتلهما عبدالملك بن مروان سنة ٧٢هـ .

١٣-مقاتل الطالبيين : ٣٨

١٤-إشارة الى قوله تعالى في سورة البقرة ؛ الآية : ٢١٦ { كُتِبَ عليكُم القتالُ ؛ وهوَ كرهٌ لكُم } .

١٥-سورة الأنفال ؛ الآية : ٤٦

١٦- أراد بـ حتى ننظر وتنظروا ؛ قوله تعالى في سورة هود ؛ الآية : ١٢٢ {وانتظروا إنا منتظرون } .

١٧- أراد بـ حتى ننظر وتنظروا قوله تعالى في سورة الأنفال ؛ الآية : ٤٨ { إني أرى ما لا ترون } .

١٨-مقاتل الطالبيين : ٣٩ ؛ وشرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢٢٩ – ٢٣٠

١٩-شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٤

٢٠-المصدر السابق والصفحة نفسها

٢١-تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٧

٢٢-بحار الانوار : ٤٤ / ٤٣ ، وينظر الخرائج والحرائج : ٢٢٨

٢٣-غررتموني : خدعتموني ، وهي تعني إنَّما تضمر في قلبك ما يخالف ما ينطق به لسانك ، وهؤلاء هم المنافقون .

٢٤-درداء : وهي العجوز المتقدمة في السن ؛ والتي سقطت أسنانها كافة ؛ وأصبح لسانها عاجزاً عن نطق الحروف بصورة صحيحة .

٢٥-صلح الإمام الحسن في مواجهة الإنشقاق الأموي : ١٠٣

٢٦-أنوار البحار : ١٠ / ١١٠

٢٧-صلح الإمام الحسن في مواجهة الإنشقاق الأموي : ١٠٤

٢٨-شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦ ، الكامل في التاريخ : ٣ / ٦١

٢٩-الكامل في التاريخ : ٣ / ٦١

٣٠-الامام الحسن المجتبى بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ١٩٣

٣١-الإمام الحسن رائد الواقعية السياسية : ٢٨٠

٣٢-الامام الحسن المجتبى بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ١٩٥

٣٣-الاستيعاب : ١ / ٣٧٠ ، وينظر الامام الحسن المجتبى بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ١٩٨ - ٢٠٠

٣٤-أنساب الأشراف : ٣ / ٤٠

٣٥-أنساب الأشراف : ٣ / ٤٠

٣٦-تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٩٩

٣٧-الفصول المهمة : ١٤٥

٣٨-عمدة الطالب : ٥٢

٣٩-تذكرة الخواص : ٢٠٦

٤٠-أعيان الشيعة : ٤ / ٤٣

٤١-مقاتل الطالبيين : ٢٦

٤٢-الإمامة والسياسة : ٢٠٠

٤٣-بحار الأنوار : ١٠ / ١١٥

٤٤-الإمام الحسن في مواجهة الإنشقاق الأموي : ٥٣٠

٤٥-أئمتنا : ١٤٧

٤٦-أئمتنا : ١٤٣

٤٧-بحار الأنوار : ١٠ / ١٠١

٤٨-أنساب الأشراف : ٣ / ٤٥

٤٩-الأخبار الطوال : ٣٢٦

٥٠-علل الشرائع : ١ / ٢١١

٥١-الكافي للكليني : ٨ / ٢٣٠

٥٢-نقلا من كتاب حياة الإمام الحسن : ٢ / ٢٨٣

٥٣-شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٦

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم
- أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر – علي محمد علي دخيل ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ط ١ ، ٢٠٠٦م .
- الأخبار الطوال – للعلامة أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ) ، قدم له ووثقَ نصوصه ووضع حواشيه الدكتور عصام محمد الحاج علي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠١٢م .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب – لابن عبدالبر ، ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي (ت٤٦٣هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ .
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد – أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المشهور بالشيخ المفيد ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، لتحقيق التراث ، طبعته دار المفيد ، ١٩٩٣م – ١٤١٤هـ .
- الإصابة في تمييز الصحابة – لأبن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، تحقيق عادل أحمد بن عبدالموجود ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- أصول الكافي – للمحدث الخبير ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، مطبعة القرآن الكريم الكبرى ، ط ٦ ، ايران ، ١٤٢٨هـ . ق .
- أعيان الشيعة – محسن الأمين الحسيني العاملي (ت١٩٥٢م) ، دار الأنصاف ، بيروت ، ١٣٦٨هـ .

- الإمام الحسن بين اتهامات التاريخ – أحمد السيد نوري الحكيم ، دار المتقين ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ .

- الإمام السن المجتبى بين الواقع السياسي والبناء العقائدي – أ.د.عامر عمران الخفاجي ، مكتبة العتبة الحسينية / ط ١ ، كربلاء المقدسة ، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.

- الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي – السيد سامي البدري ، الفقه للطباعة والنشر النجف الأشرف ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .

- الإمامة والسياسة – لأبي محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .

- أنساب الأشراف – لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري ، تحقيق سهل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

- بحار الأنوار لجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء في بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بيروت .

- تاريخ اليعقوبي – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٥٤هـ) ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٤هـ .

- تذكرة الخواص – ليوسف بن قزألي الحنفي البغدادي المشهور بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٣هـ .

- تهذيب التهذيب – لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، طبعته دار الفكر ، ١٩٩٥م – ١٤١٥هـ .

- الخرائج والجرائح – لسعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣هـ) ، ١٤٠٩هـ .

- شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي عليه السلام – لابن أبي الحديد عزالدين بن عبدالحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

- علل الشرائع - للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ، (ت٣٨١هـ) ، ايران .

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب – تأليف النسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بـابن عنبة (ت٨٢٨هـ) ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، النجف الأشرف ، (د .ت) .

- الغدير في الكتاب والسُنة والأدب – عبدالحسين أحمد الأميني النجفي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٣٦هـ .

- الفصول المهمة في معرفة الأئمة – للعلامة علي بن محمد بن أحمد المشهور بابن الصباغ المالكي المكي ، (ت٨٥٥هـ) ، حققه سيد جعفر الحسيني ، ايران ، ١٤٣٢هـ .

- الكامل في التاريخ – لابي الحسن علي بن محمد بن الجزري (ت٦٣٠هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د . ت) .

- لسان العرب – لابن منظور (ت٧١١هـ) ، دار صادر للطباعة والنشر ، ط ٤ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م .

- مقاتل الطالبيين – لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (٣٥٦هـ) ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٥٦م .
- الموطأُ – لمالك بن أنس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥م .

الفصل الثامن

عليُ الأكبر بن الإمام الحُسين (عليهما السلام)

قدوة مثالية للشباب المسلم

مقدمة البحث : في هذا الزمان الصعب ، والظروف غير الطبيعية التي تمر بها الأمة الاسلامية ، وتكالب قوى الشّر والظّلام على الاسلام والمسلمين ، في محاولة بائسة ويائسة لجرِّ الشباب المسلم الى الإنحراف ، والابتعاد عن الدين الإسلامي الحنيف ، وذلك من خلال تسهيل انتشار الموبقات ، وتسخير العديد من القنوات الفضائية لهذه المهمة ، ولكنَّ الاسلامَ القويُ بمراجعه الحكيمة والواعية ، فقد تصدى لمثل هذه الدسائس وافشلها وردَّ كيدها الى نحورِ أصحابها ، ولما كنا نعولُ كثيراً على شبابنا المسلم الواعي من خلال شد الأواصر والتعاون والتكاتف من أجل تقوية الأواصر الأُسرية وتنظيم العلاقات بين المسلمين ، لكي يأخذوا دورهم في العملية الجهادية ضد قوى الكفر والظلال ، إذن لابدَّ لهذا الشباب المسلم من قدوة شبابية تكون نموذجاً لهم يقتفون أثرها ، ويسيرون على خطاها ، لتكون نبراساً لهم ، ودليل علمٍ وعملٍ ، ومن خلال البحث والدراسة ، وجدتُ في شخصية علي الأكبر بن الإمام الحُسين (عليهما السلام) هو النموذج المثال المطلوب للسير على نهجه ، فمن هو علي الأكبر ؟ علماً أنَّ الشهيد القدوة علي الأكبر يرقدُ في قبرٍ منفردٍ مع أبيه الإمام الحُسين في مشبك واحد ، إذ يقع قبره الشريف إلى جوار أبيه من ناحية رجلي الإمام الحُسين ، ولم يحظ بهذا الشرف الكبير غير علي الأكبر وعبدالله الرضيع ؛ وهذا الشاب القدوة لقي من التعتيم الإعلامي على سيرته الطاهرة من المؤرخين ، وكُتّاب السير ، وأرباب المقاتل الكثير، إذ لم يعطوه حقه ، ولم يسلطوا عليه الأضواء بما يستحق ، وهذا خلل يؤشر بالدرجة الأولى على قُراءِ المنبر الحُسيني الشريف ، أدعوهم الى الالتفات إليه ، ومعالجته لينالوا رضا الله أولا ، ورضا أبيه الإمام الحُسين ثانيا ، فواقعة الطف

أفرزت أبطالاً عظماءً ، ضحوا بأرواحهم الطاهرة فداءً للإسلام ؛ ولسيد شباب أهل الجنة الإمام الحُسين ، ريحانة رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكن تبقى هناك بطولات فذة ومتميزة ، يشار إليها بالبنان على أنـَّها هي قمة البطولة والتضحية والفداء والصبر على الأهوال والمصائب الشداد والملمات الصعبة ، فكلُّ من كان مع الإمام الحُسين عليه السلام في واقعة الطف ، هو بطلٌ وشجاعٌ ، ومع ذلك كان أبو الفضل العباس ، وأبو الحسن علي الأكبر بن الإمام الحُسين ، هما الأبرز في قائمة أهل البيت الكرام ، والأصحاب الأخيار الكرام رضوان الله عنهم أجمعين ، وقد تطرقت في هذا البحث إلى حقائق عن علي الأكبر قد لا يعرفها كثيرٌ من المسلمين ، والهدف من ذلك هو تعريف الشباب المسلم بهذه الشخصية العظيمة ، ليكون علي الأكبر قدوة مثالية للشباب المسلم الواعي ، وقدوة حية في الحياة والعمل ، فهو نموذج يستحق الإقتداء به ، فقد شهد له بالفتوة سيد شباب أهل الجنة ، وحاز على الدرجات التي سمت به إلى المراتب العـلا مع الأنبياء ، والأئمة المعصومين عليهم السلام ، لذا أرجو أن أكون قد وفقتُ فيما سعيتُ إليه ، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم .

مولده وأسرته : اختلفت الأخبار والآراء في عمر علي الأكبر في يوم الطف ، فاجتهدوا في ذلك كثيراً ، وهي كما يأتي :

١- قال الشيخ الطُريحي في منتخبه : كان عمرهُ سبع عشرة سنة .

٢- في الارشاد وأعلام الورى أنَّ عمره ثمانٍ عشرة سنة .

٣- في مناقب السُرَوي كان عمره تسع عشرة سنة .

٤- قال المُفيد : إنَّهُ كان ابن تسع عشرة سنة (١) .

٥- قال ابن نما الحلي (٢) : إنَّ عمره أكثر من عشر سنوات .

٦- وجاء الخواجة نصير الدين الطوسي برأيٍ غريب قال فيه (٣) : إنَّ له يوم الطف سبع سنين . وبموجب هذه الروايات فهو الأصغر .

٧- وقالوا : إنَّهُ كان ابن خمس وعشرين سنة .

٨- وقال محمد بن ادريس(الشافعي) (٤) : ولد علي بن الحسين في أول إمارة عثمان وروى عن جدِّهِ علي بن أبي طالب ، وهذا يعني أنَّ عمره الشريف كان ثمانٍ والثلاثين سنةً في يوم الطف ، ذلكَ أنَّ عثمان بن عفان استلم مقاليد الخلافة في السنة الثالثة والعشرين للهجرة بعد مقتل عمر بن الخطاب ، وبذلك يكون هو الأكبر.

٩- وهناك رواية أخرى تقول : إنَّ علي الأكبر ولد في المدينة المنورة في يوم الحادي عشر من شهر شعبان المعظم من سنة (٣٣هـ) ثلاث وثلاثين هجرية في خلافة عثمان بن عفان (٥) ، وأنَّ عمره الشريف ثمانٍ والعشرين سنة (٦) ، وأكد هذا الرأي صاحب كتاب مناقب أل ابي طالب فقا ل (٧) : علي بن الحسين الأكبر له من العمر ثمانية وعشرين سنة قتل في الطف .

وأنَّا أرجحُ أنْ عمرهُ الشريف كان يتراوحُ بين الخامسة والثلاثين والثامنة والثلاثين سنة ؛ وبذلك يكون هو الابن الأكبر ، والابن البكر لسيد الشهداء الإمام الحُسين عليه السلام ، فأبوه سيد شباب الجنة ، وريحانة رسول الله ، الإمام الحُسين ، وجده لأبيه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وجدته لأبيه سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين؛ السيدة فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأمه ليلى بنت أبي مرة عروة بن مسعود الثقفي ، وهو عظيم الطائف (٨) وبه نزل قوله تعالى (٩) : { لولا أُنزلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتينِ عظيم } ، والقريتان هما مكة المكرمة والطائف ، ورويَ أنَّ رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) قال (١٠) : (أربعةٌ سادةٌ في

الإسلام : بشرُ بن هلال العبدي ، وعـدي بن حاتم الطائي ، وسُراقة بن مالك المدلجي ، وعروة مسعود الثقفي) وجدته لأمهِ ميمونة بنت أبي سفيان الأموية (١١) ، وابن عم أمه ليلى هو المختار بن أبي عبيد الثقفي (١٢) ، صاحب ثورة التوابين والتي كان شعارها (يال ثارات الحسين) وكانت أمهُ ليلى من ذوات الرأي والأدب والجمال والأخلاق الفاضلة والحميدة ، فقد مدحها الشاعر الحارث بن خالد المخزومي قائلاً (١٣) :

أ طافتْ بنا شمسُ النهارِ ومن رأى

من النّاسِ شـمسـاً في المساءِ تطـوفُ

أبــو أمهـا أوفــى قـريش ذمــةً

وأعمامها إمــا ســـألتَ ثقيـــفُ

وقال شاعر آخر يمدحه (١٤) :

أولُ ساداتي الكـــرام الشـــهدا من أرتجي شفــاعتهُ غـــدا

شبهُ رسول الله في الكمـــالِ والخلقِ والمنطـــقِ والمثـــالِ

ذاكَ علي بن الحُسين بن علي ليث العرين ذو العماد الأطولِ

وقال يمدحه (١٥) :

وأمهُ ليلى نماها الثقفـي ذاكَ عظيمُ قومهِ في الشـــرفِ

لم تر عينٌ نظرتْ مثلهُ قد عرفَ الحقَّ فحامى أهلـــهُ

موقفهُ يم الطفوف شاهدٌ في قولةٍ بها نعاه الوالـــــدُ

تنبئُ عن عظم المصاب وكفى بعدكَ إذا مُتَ على الدنيا العفا

وقيل أنَّ أم علي الأكبر اسمها آمنـة (١٦) ، وقال المفيد (١٧) : (وأمهُ شاه زنان بنت يزدجرد) ، وهذا وهمٌ منه لأنَّ السيدة شاه زنان هي أم الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، قال ذلك على افتراض أنَّ علي شهيد الطف هو علي الأصغر ؛ فيما يكون زين العابدين هو الأكبر ، وهذا ما لا يتفق معه المؤرخون وأرباب السير والمقاتل كافة .

كنيتـه ولقبـه : يتكنى علي الأكبر بكنية جدّهِ أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) أبا الحَسن (١٨) ، وقال الشيخ المفيد (١٩) : (علي الأكبر بن الحُسين كنيته أبو محمد) ؛ فيما يُكنى أخوه علي الأصغر (زين العابدين) بأبي الحُسين (٢٠) فقد أكد كُنية أبا الحسن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عندما جاء لزيارة جدّهِ الإمام الحُسين عليه السلام ، ثم تحولَ إلى زيارة عمه علي الأكبر فخاطبه قائلاً (٢١) : (صلى الله عليك يا أبا الحَسن ثلاث مرات) وقد جاءتهُ هذه الكنية ؛ وكما هو واضح لأنَّهُ الحفيد الأول للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) واسمهُ علياً ، ويمتلك شجاعة جدّه علي الكرار وإقدامه ، فتكنى بأبي الحَسن ، ولما تزوج جاريته وأولدها ولداً، قال أحمد بن نصر البزنطي (٢٢) : (إنَّهُ كان متزوجاً من جاريةٍ له ولد منها ، وقيل للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : الرجل يتزوج المرأة ؛ وأم ولد أبيها ، فقال عليه السلام : لا بأس ، فقال أحمد : بلغنا أنَّ علي بن الحُسين السجاد تزوج بنت الحسن ابن علي عليهما السلام ، وأم ولد أبيها ؛ فقال الإمام الرضا عليه السلام : ليس هكذا ؛ إنَّما تزوج ابنة الحسن عليه السلام ، وأم ولد لعلي بن الحُسين المقتول عندكم) ، ولربما سمى علي الأكبر ذلك المولود حسناً أو محمداً أو الاثنين معاً وأنا أرجح ذلك ، فتكون الكنية قد تطابقت مع الإسم ، ومصداقُ ذلك أنَّ الجارية حينما تتزوج سيدها وتلد له ولداً ، يقال لها أم ولد ، وعلي الأكبر متزوج من أم ولد (٢٣) ، ومما يؤكد صحة زواج علي الأكبر ، وأنَّ له ولدٌ وذريةٌ ، هو مخاطبة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) له في زيارته قائلاً (٢٤) : (صلى الله عليك ؛ وعلى عترتك وأهل بيتك ؛ وآبائك وأبنائك وأمهاتك

الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) ، والعِترة هي الذرية التي يتركها الرجل من الأبناء بعد موته ؛ والعترة جمعٌ تدل على أكثر من اثنين ، والإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لا يقول إلا بما يحيط به علماً ؛ وهو أعرف الناس بأهل بيته وأعمامه من غيره ، وإما ذريته الطاهرة والتي خاطبه بها الإمام جعفر الصادق في زياراته ، هم عِترته الطاهرة وأبناؤهُ ؛ فقد أكد الإمام جعفر الصادق مرة ثانية أنَّ له بنين من خلال قوله : (وآبائك وأبنائك) فآباؤه هم : الإمام الحُسين ، ثم الإمام علي بن أبي طالب ثم رسول الله مُحمّد (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ، حسب سلسلة النسب الشريف ، وإما أبناؤه فهم الخلف الذين تركهم بعد شهادته ، علماً أنَّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عاش في كنف جده الإمام علي الأصغر (زين العابدين) أكثر من تسع سنين ، فهو إذاً أعرفُ الناس بعم أبيه علي الأكبر من غيره ، فضلا عن أنَّ الإمام جعفر الصادق استلم مقاليد الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سنة ١١٤هـ ، فحين ذاك تكون المدة الزمنية الفاصلة بين يوم الطف الخالد وإستلامه مقاليد الإمامة (٥٤) أربع وخمسين سنة ، وهذا يعني أنَّ الخلف أو الولد الذي أنجبه علي الأكبر قد كبر وتزوج ، وأصبحت له ذرية من بنين وبنات ، وهذا هو الذي عناه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذه الزيارة ، وأني أرجح أنَّ هذه الذرية الكريمة ، قد دخلت وتداخلت مع ذرية أخيه الإمام علي زين العابدين (عليه السلام) فيما بعد ، وذلك لتشابه الاسم والنسب الشريف ، مما جعل الرواة يضطربون ؛ فيتوهمون أنَّ الذرية كلها من الإمام زين العابدين ، وإذا علمنا أنَّ الإمام زين العابدين كان يجلُّ أخاه الشهيد ، ويحبه ويحترمه ، وله في نفسه الشريفة مكانة خاصة ، وقد دلَّ على ذلك قيامه بدفنه في قبر منفرد عند رجلي أبيه الإمام الحُسين ، وهو الآن معه في مشبك واحد ، في حين قام بدفن الشهداء كافة في قبر واحد يبعد عن مرقد الإمام الحُسين (عليه السلام) بعدة أمتار ، فإذا كان الحال

هكذا ، فكيف لا يضم ما ترك أخاه الشهيد من أطفال أيتام وهو الإمام المعصوم ... والله أعلم .

يلقب بالأكبر ؛ ويعرف بعلي الأكبر ، ومثل هذا يعني أنَّهُ قصير النسب ، لا يحتاج إلى التعريف بشخصه ، فهو يعرف نفسهُ بنفسهِ من خلال لقبه الأكبر ، فبمجرد سماعك اسم علي الأكبر؛ يذهب بك السمع والفكر والحديث إلى علي بن الإمام الحُسين بطل كربلاء ، لأنَّ لدينا أربعة من الأئمة المعصومين يعرفون باسم علي وهم : الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والإمام علي زين العابدين (علي الأصغر) ، والإمام علي ابن موسى الرضا ، والإمام علي الهادي ، فإذا قلت علياً مجردة من اللقب ذهب السمع والفكر بك إلى أمير المؤمنين ؛ لأنَّهُ الأشهر والأعلى درجة ، وإذا أردت غيره ، فلابدَّ لك من ذكر اللقب مع الاسم ، فهذا علي زين العابدين ، وهذا علي بن موسى الرضا ، وذاك علي الهادي وهو علي الأكبر ، ولُقِبَ بالأكبر لأنَّهُ أكبر من أخيه الإمام علي زين العابدين المعروف بعلي الأصغر (٢٥) فعلي الأكبر ولد في المدينة المنورة في خلافة عثمان بن عفان ، كما يقول المؤرخون ، فيما ولد أخوه علي الأصغر في الكوفة سنة (٣٨هـ) ثمانٍ وثلاثين هجرية في خلافة جدِّهِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فضلاً عن أنَّ اللقب هو خيرُ دليلٍ على أنَّهُ كان أكبر من أخيه الإمام علي زين العابدين ، فهو الأكبر ؛ وزين العابدين هو الأصغر، وقد أكد هذه الحقيقة الإمام زين العابدين نفسه في مجلس عبيدالله بن زياد لعنه الله ، حينما خاطبه قائلا : أ لم يقتل الله علياً ؟ فأجابه الإمام زين العابدين : كان لي أخٌ أكبر مني اسمه علياً قتله الناس ، فالسجاد عليه السلام هو الأصغر فقد قال الطبري نقلا عن حميد بن مسلم (٢٦) : (انتهيتُ الى علي بن الحسين الأصغر وهو منبسطٌ على فراش له وهو مريض) ، وقد أيد هذه الحقيقة كثيرٌ من المؤرخين (٢٧) ، واللافت للنظر أنَّ الإمام المهدي الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف ، وسهل مخرجه ؛ سماه في الزيارة الناحية ((علي الكبير)) وذلك حينما سلم على

جديه الإمامين الحسن والحسين ثم على علي الأكبر فقال (٢٨) : (السلام على القتيل المظلوم ، السلام على أخيه المسموم ، السلام على علي الكبير) ، القتيل المظلوم هو الإمام الحسين ، وأخيه المسموم هو الإمام الحسن ، أما علي الكبير فهو بطل الطف علي الأكبر بن الإمام الحسين عليهم السلام.

شـخصيته: كان علي الأكبر شاباً ، قوياً مفتول العضلات ، حسن الصورة ، صبيح المنظر ، لا نظير له ، وهو في الشجاعةِ مشهور ، وكذلك في سائر صفات الكمال في الجلالة والعظمة والسخاء ، وحسن الأخلاق ، وكانت ركبته قرشية مُضرية ، وقامته هاشمية غنية لذوي الإعتبار ، وبغية ذوي الأبصار ، ويكفي في فضله عليه السلام ؛ شهادة أبيه في حقه ؛ أنَّهُ أشبه الناس بجده رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً ؛ وكان الإمام الحسين عليه السلام أعرف الناس بجده واعرفهم بولده ؛ ولقد صدق الشاعر في قوله :

جمع الصفاتِ الغُرُّ وهي تراثُـــــهُ من كلِّ غطريفٍ وشهمٍ أصيدِ

في بأسِ حمزةَ في شجاعةِ حيـــــدرٍ وإبا الحسين وفي مهابةِ أحمـدِ

وتراهُ في خُلقٍ وطيبِ الخلائـــــقِ وبليغِ نُطقٍ كالنبيِ مُحمّـــــــــدِ (٢٩)

وكان أهلُ المدينة إذا اشتاقوا إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نظروا إلى علي الأكبر ، وكان الحُسين يحبه حُباً شديداً ، بحيث إذا رآهُ فرح به ، ويُسرَّ سروراً عظيماً ، وإذا سأله حاجةً لا يردُها له ، ولو كان ذلك على سبيل الإعجاز ، فقد روى كُثير بن شاذان قائلاً(٣٠): (رأيتُ الحسين عليه السلام ، وقد اشتهى ابنه علي الأكبر في صغر سنهِ عنباً في غير وقته ، فضرب الحسين بيده سارية المسجد ، وأخرج له عنباً وموزاً ، وقال : وما عند الله لأوليائه أكثر) ، وقول الإمام الحسين عليه السلام هذا يؤكد أنَّ علياً الأكبر هو من الأولياء الصالحين ، وقد أكد هذه الحقيقة الإمام

جعفر الصادق عليه السلام في زيارته له في قوله : (السلام عليك يا ولي الله وابن وليه ، السلام عليك يا حبيب الله وابن حبيبه، السلام عليك يا خليل الله وابن خليله عشت سعيداً ومت فقيداً ، وقتلت مظلوماً ، يا شهيد بن الشهيد عليك من الله السلام)، وقول الإمام الصادق لا يقبل النقاش والجدال.

كان أبو الحسن علي الأكبر يشبه جده رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وهو بذلك تفوق على كلِّ من كان يشبه النبي في صفة معينة أو أكثر، فجدتهُ السيدة فاطمة الزهراء البتول (عليها السلام) تشبه أباها من حيث المشية(٣١) ، وعمه الإمام الحسن (عليه السلام) يشبهه في الهيبة ، وأبيه الإمام الحُسين (عليه السلام) يشبهه في الجود والشجاعة (٣٢) ، وجعفر الطيار (عليه السلام) قال له رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) : أشبهت خَلقي وخُلقي (٣٣) ولكنَّ كلمة الإمام الحُسين الذهبية في حقِّ ولده علي الأكبر كانت الكلمة الفصل في هذا الأمر، فقد قال (عليه السلام) في يوم الطف حينما برز علي الأكبر للقتال(٣٤): (اللهم إشهد أنـَّهُ برز إليهم أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه) ، فكلمة الحسين الخالدة أكدت وبشكلٍ مطلقٍ لا يقبل الشك أنَّ علياً الأكبر طابق جده رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل الصفات الخلقية والأخلاقية مثلما شابهه في المنطق أي أنَّ عليا الأكبر يشبه النبي شكلاً وصوتاً (صورة منه) ، فعندما كان يتكلم علي الأكبر ؛ كأنَّك تسمع رسول الله يتكلم ؛ وإذا نظرت إليه ؛ كأنَّك تنظر إلى رسول الله ؛ وإذا أقبل كأنَّ رسول الله قد أقبل؛ ومن طرائف المشهورة في يوم الطف لما حان وقت الصلاة أمر الحسين ولده علي الأكبر أنْ يؤذن للصلاة ؛ وذلك رغبة منه في سماع صوت جده رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في لحظات عمره الأخيرة ؛ فمن هذا الشبه المطلق حاز علي الأكبر على مكانة مرموقة في قلوب بني هاشم بصورة خاصة ، والمسلمين بصورة عامة ، إذ كان الإمام الحُسين يحبهُ حباً كبيراً ؛ ويرتاح عند النظر إليه ، فقد روت السيدة سَكينة بنت

الإمام الحُسين (عليهما السلام) أنَّ أبي إذا همته الهموم ، أرسلنا إليه أخي علياً الأكبر فينظر إليه فيُسر ويذهب ما به من الهم ، فقد كان علي الأكبر الولد المقدم عند أبيه الإمام الحُسين ؛ وعند آل أبي طالب كافة ، وكان الجود والكرم من أبرز صفاته الأخلاقية ، فقد روى خلف الأحمر وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي أنَّ أحد الشعراء مدح علياً الأكبر قائلاً (٣٥) :

لم تر عين نظرت مثلـه من محتف يمشـي ومن ناعلِ
يغلي نهيء اللحم حتى إذا أنضج لم يغل على الآكـلِ
كان إذا شـبتْ لـه نـاره أوقدهـا بالشـرف القابـلِ
كيما يراها بائسٌ مرمـل أو فرد حـي ليس بالآهـلِ
لا يـؤثـر الدُنيا على دينـه ولا يبـيعُ الحـقَّ بالباطـلِ
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى أعني ابن بنت الحسب الفاضـلِ

جاء في معالي السبطين أنَّهُ لم يُرَ أحدٌ في العالم بعد الحسين عليه السلام في الجود والكرم ، وإطعام المساكين ، وإكرام الضيف وإعطاء السائلين مثل علي الأكبر عليه السلام ؛ فقد كان مولعاً وحريصاً في ذلك ، بحيث يشتري الأطعمة والأغذية اللذيذة ، واللحوم الطيبة بالأسعار الغالية ، ويأمر بطبخها ونضجها ، ويطعم بها الفقراء والمساكين والضيوف والواردين، وهو عليهم في غاية الشفقة واللطف والمرحمة ، وكان من عادات العرب أنَّهم يحبون الضيف ويبالغون في إكرامه ، فيوقدوا ناراً فوق بيوتهم في الصيف والشتاء في الليالي المظلمة حتى إذا جاء ضيفٌ طارقٌ يراها من بعيد في الليل المظلم ، فبتلك النار يهتدي الطارق الى المضيف ، ولا يتعسف ، ولا يضل الطريق ، ويسمي العرب تلك النار بنار القِرى ، وكان علي الأكبر واحداً من هؤلاء الكرماء الأجواد (٣٦) .

وفضلاً عما تقدم فعلي الأكبر شخصية قوية ومؤثرة ، ويتمتعُ بهيبةٍ ووقارٍ ، جعلت الناس يجلونه ويحترمونه ، وشهادةُ خصمٍ أفضل شهادة ، فهذا معاوية بن أبي سفيان عدو آل مُحمّد اللدود، سأل يوماً من حضر عنده في مجلسه من أهل الشام وغيرهم فقال: (من أحقُ الناس بهذا الأمر؟ (أراد خلافة المسلمين) .

قالوا : أنت .

فقال معاوية : لا .

أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي .

جده رسول الله ، وفيه شجاعة بني هاشم ، وسخاء بني أمية ، وزهو ثقيف) (٣٧) هذه كلمةُ حقٍّ يريدُ بها معاوية باطلاً ، ذلك لأنَّ معاوية أراد أنْ يقول للناس: إنَّ الحُسين (عليه السلام) غير مؤهل لخلافة المسلمين، والمؤهلُ لها هو ولده علي الأكبر ؛ وقد أحسن السيد عبدالرزاق المقرم وأجاد حين فند ادعاء معاوية هذا قائلاً (٣٨) :

أولا : أراد أنْ يخرج الخلافة من أبيه الإمام الحُسين المنصوص عليه من جده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبيه وصي رسول الله (عليه السلام)، وذلك من خلال إيجاد شخص بديل من هذا البيت يكون مرجعاً للأمة في النوائب ليكون غياثها المرتجى وفصل القضاء وتبياناً للمشكلات .

ثانيا : أراد تخفيف وطأة المنازع في خلافته بحصر شرائط الخلافة في هذه الأمور الثلاثة دون غيرها ؛ لفقده أهم ما يشترط في خليفة المسلمين من العصمة والعلم والنص .

ثالثا : أراد أنْ يجعل لقومه فضيلة ، غير أنَّ البرهنة تعوزه لأنـَّهُ افتقد الجُحة والدليل، فأشرك معه من لا يدافع في فضلهم ؛ وهم الهاشميون وثقيف .

وأخيراً فقد روى علي الأكبر الحديث الشريف عن جده أمير المؤمنين وكذلك عن عمه الإمام الحسن وعن أبيه الإمام الحُسين (عليهما السلام) ؛ فضلا عما رواه عن السيدة عائشة (٣٩) .

أخوة علي الأكبر : كان الإمام الحسين عليه السلام يحب أباه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حُباً كبيراً ؛ لا يوصف ؛ فقد سمى أكثر من ولد باسم علي ؛ فقد سأل اللعين يزيد بن معاوية الإمام زين العابدين (٤٠) : (واعجباً لأبيك سمى علياً وعلياً ! فقال عليه السلام : إنَّ أبي كان يحب أباه أمير المؤمنين عليه السلام فسمى باسمه مراراً) لذلك قال أرباب المقاتل : إنَّ للحسين ثلاثة أولاد يحملون أسم علي ؛ وهم علي الأكبر شهيد الطف ؛ وعلي الأوسط وهو رابع الأئمة المعصومين ؛ وعلي الأصغر شهيد الطف؛ وهو عبدالله الطفل ؛ وكذلك ظهر لي من خلال هذه الدراسة أنَّ اسم عبدالله هو الأخر قد تكرر؛ واطلق على أكثر من ولد للإمام الحسين ؛ لاحظ ذلك في اسماء أخوة علي الأكبر .

لم يكن لعلي الأكبر أخ شقيق من أمه وأبيه ، ولكن له أخوة من أبيه هم :

١- علي الأصغر ، وهو الإمام علي زين العابدين ، وهو رابع الأئمة المعصومين ، قال الزبير بن بكار : كان عمره يوم الطف ثلاث وعشرين سنة (٤١) ، فيما قال الواقدي : ولد علي بن الحسين سنة ثلاث وثلاثين ، فيكون عمره يوم الطف ثماني وعشرين سنة (٤٢) وقصد الواقدي علي بن الحسين الأكبر ، ولكن جمال الدين بن علي

الحسني توهم في الخبر فسحبه على علي زين العابدين ، وذلك وهماً منه (٤٣) .

٢- عمر بن الحسين : كان له من العمر أربع سنين يوم الطف ؛ أخذ أسيراً ، وكان له موقف جريء في مجلس اللعين يزيد بن معاوية ، فقد قال له يزيد : هل تصارع ابني هذا ؟ يعني ابنه خالداً ، وكان من أقرانه .

فقال عمر : بل أعطني سيفاً ، وأعطه سيفاً حتى أقاتله ؛ فتنظر ، أينا أصبر.

فقال يزيد : شنشنة أعرفها من أخزم ، وهل تلد الحية إلا حية (٤٤) ، وجاء في معالي السبطين (٤٥) : أنَّ عمرًا هو ابنٌ للحسن ، وليس للحسين عليهما السلام.

٣- جعفر بن الحسين ، لا بقية له ، وأمه قضاعية ، توفي في حياة الإمام الحسين عليه السلام قبل معركة الطف (٤٦) .

٤- عبدالله الرضيع بن الحسين : استشهد مع أبيه الإمام الحسين يوم الطف مذبوحا بسهم حرملة (٤٧) ، وقال سبط بن الجوزي : قيل قتل ، وقيل أسر ولم يقتل ثم رجع مع العائلة إلى المدينة (٤٨) ، وهذا وهم منه فإنه يخالف إجماع المؤرخين وأرباب المقاتل ، لأنَّ أرباب المقاتل يجمعون على مقتله بسهم اللعين حرملة .

٥- محمد بن الحسين ، وهو أكبر من علي الثالث (عبدالله الرضيع) ، ذكر ذلك محمد بن طلحة الشافعي ولم يزد على ذلك شيئاً (٤٩) .

٦- وقتل غلام صغير للحسين عليه السلام بعد شهادة علي الأكبر ؛ فقد قال السيد محمد مهدي الحائري : لقد بالغت بالفحص والتحري عنه حتى ظهر لي أنّهُ عبدالله بن الحسين ، خرج من الخيمة بعد شهادة

أخيه علي الأكبر خائفًا وجلًا مرعوبًا مذعورًا ، ترتعد فرائصه وقد تغير لونه ، يطلب المهرب ، وينظر يمينًا وشمالًا ، وفي أذنيه قرطان من اللؤلؤ يتذبذبان ؛ فحمل عليه اللعين هانئ بن بُعيث فقتله (٥٠) .

٧- وقال الدربندي في الأسرار(٥١) : (قتل للحسين ابن صغير حين بقي الحسين على الأرض طريحًا جريحًا زمانًا على رمضاء كربلاء كلما انتهى إليه رجل منهم انصرف عنه ولم يتولَ قتله ؛ فحمل صبيًا صغيرًا من أولاده اسمه عبدالله فقبله الإمام الحسين لكنّ رجلًا من بني أسد أخذه وذبحه ، إلا أنّي أرجح أنَّ عبدالله هذا هو ابن للحسن وليس للحسين ؛ وهذا وهم من الدربندي والله أعلم .

٨- وولد للحسين عليه السلام ولدٌ في يوم الطف في وقت صلاة الظهر عند المحاربة ، وأمهُ أم اسحق بنت طلحة بن عبيدالله كانت أولا عند الحسن ثم لما استشهد خلف عليها الامام الحسين فولدت له فاطمة قبل هذا الولد ؛ فأتي به إلى الحسين ، وهو قاعد بباب الخيمة ، فأخذه في حجره ، وأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ولباه بريقه وقبله وسماه ، فرماه عبدالله بن عقبة الغنوي بسهم في نحره فذبحه ، وهو في حجر الحسين (٥٢) قال : سماه ولكنَّهُ للأسف نسيَ ولم يذكر لنا اسمه .

٩- في كتب الفقه قالوا . إنَّ المقتول بالطف مبارزة هل هو علي الأكبر أم علي الأوسط أم علي الأصغر ؟ (٥٣) فهم ليسوا متأكدين من المقتول إنْ كان خبرهم صحيح ، ولي تحفظ عليه ؛ فعلي الأكبر لم يثبت أمامه فارس في المبارزة ، إذ قتل من جيش عمر ابن سعد ((٧٠)) فارساً مبارزة ؛ ثم امتنعوا عن مبارزته حتى رشقوه بالسهام فأصاب أحد السهام فمه الشريف وكان هذا السهم سببًا في تجرأهم عليه وقتله .

١٠- إبراهيم بن الحسين (٥٤) .

١١- المُحسن بن الحُسين ، وله قصة مؤلمة جداً هي : في مدينة حلب ، تلك المدينة العربية السورية الرابضة على قمة جبلية ، يوجد مسجد ، يعرف بمسجد النقطة ، وكنت أسمع به ، حتى قيض الله سبحانه وتعالى لي فرصة زيارة حلب ومن خلالها زرت مسجد النقطة ، وصليت فيه ، إذ توجد في المسجد صخرة تشرفت بسقوط قطرة دم طاهرة عليها من رأس الإمام الحسين (عليه السلام) ، وما زالت تلك القطرة شاخصة إلى اليوم ، وقد رأيتها بأم عيني ، ومسجد النقطة يقع على قمة جبل صغير ، وبالقرب منه جبل صغير آخر يقع عليه قبر الشهيد المُحسن بن الإمام الحسين (عليه السلام) ، فوقفت على ذلك القبر وقرأت سورة الفاتحة ، ولكن المؤسف له ، أنَّ كثيراً من المسلمين ، ولاسيما الشيعة منهم ، لا يعرفون شيئاً عن المُحسن هذا ، وأهل حلب يلجأؤون إليه في السراء الضراء ، ويتبركون بزيارته ، ويطلقون عليه اسم الشيخ مُحسن تعظيماً له ، فمن هو المُحسن ؟ وما هي حكايته ؟

بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) ، كانت إحدى زوجاته حاملاً ، وأخُذتْ أسيرة مع سائر أسارى آل محمد عليهم السلام ، وتحملت وطأة السفر المرهق الطويل ؛ والركل والضرب المبرح في محاولة منها للحفاظ على جنينها ، ليبقى ذرية للإمام الحسين (عليه السلام) ، فضلا عن الاهتمام الكبير من لدن السيدة زينب (عليها السلام) ، بتلك الزوجة ، مع رعاية خاصة ؛ وتفقد دائم من لدن الإمام زين العابدين(عليه السلام) ، في محاولة منه لأن يكون له أخٌ عوضاً عن إخوانه الشهداء ، ولكن تلك الأمنية ذهبت أدراج الرياح ، فلم تتحمل تلك السيدة وطأة الركل والضرب المبرح وضرب سياط الأمويين ، وفي مدينة حلب أسقطت جنينها ، وكان ذلك اليوم عصيباً على آل رسول الله عليهم السلام ؛ وكان شبيها باليوم الذي

عُصرت فيه السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بين الباب والجدار ، فأسقطت جنينها المُحسن ، وكان وجه الشبه كبيراً جداً ، بين الحادثتين ؛ فالسيدة فاطمة كُسر ظلعها الشريف في تلك العصرة ، وفي يوم الطف الخالد كُسرت بل تحطمت ظلوع الإمام الحسين (عليه السلام) ، والسيدة فاطمة أسقطت جنينها ، وأرملة الإمام الحسين ، هي الأخرى أسقطت جنينها ، وبموجب هذا الشبه بين المصيبتين ، سمى الإمام زين العابدين (عليه السلام) أخاه السقط مُحسنا ؛ لتشابه مصابه مع مصاب عمه المُحسن، وقام بدفنه على قمة ذلك الجبل الصغير الذي يقع بالقرب من مسجد النقطة ، وهو اليوم معلمٌ شاخصٌ في حلب ؛ وشاهد حي على جرائم الحكم الأموي الجائر الظالم ، والمزار يؤمه كثير من المسلمين ؛ ومن مختلف أنحاء العالم ، وعلى قبر المُحسن لوحة نحاسية مكتوب عليها: ((قام بإعمار هذا المشهد الشريف المسلمون الشيعة في الدانمرك)) إذ قاموا بنصب مشبك على القبر ، وبناء قبة تليق بمقام الإمام الشهيد ، وهنا أسجل عتبي على خطباء المنبر الحسيني الشريف ، لماذا لم يبادروا ، ويعرفوا بالمُحسن هذا ويربطوا مصابه بمصاب عمه المُحسن بن الزهراء (عليها السلام) ، لكي يعرف العالم عظم المأساة التي تعرض لها آل رسول الله من رجال الحكم الأموي ، وكان هدفي من هذا ؛ هو التعريف بالمُحسن بن الإمام الحسين الشهيد (عليه السلام) ، ولفت نظر خطباء المنبر الحسيني الشريف إليه (٥٥) .

علي الأكبر وأصحاب الكساء : النبي مُحمّد ؛ وأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ؛ وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين السيدة فاطمة الزهراء ، وسيدا شباب أهل الجنة ، ريحانتي رسول الله ، السبطين الحسن والحُسين (صلى الله عليهم وسلم) ، هم أفضل ما خلق الله من الأولين والآخرين ، وهم أصحاب الكساء ، وهم أفضل من مشى على ساق وقدم ، وعلي الأكبر بن الإمام الحُسين قد جمع صفاتهم وخواصهم كافة إلا النبوة والعصمة الكبرى ، ولنقف على شبهه بكل واحد منهم :

١) شبهه بجده رسول الله : هو يشبه جده رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل شيء إلا أنه ليس نبياً ، وقد أكد هذه الحقيقة سيد الشهداء وريحانة رسول الله الإمام الحُسين (عليه السلام) في العاشر من المحرم الحرام حينما برز علي الأكبر إلى القتال قائلاً (٥٦) : أللهم اشهد قد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه .

٢) شبهه بجده أمير المؤمنين: يشبه جده علياً بالإسم والكنية ، فجده الإمام علي بن أبي طالب المكنى بأبي الحسن ، وهو علي الأكبر ويكنى بأبي الحسن، فضلاً عن كونه يشبه جده بالشجاعة والبطولة، فعلي الأول هو علي بن أبي طالب الهاشمي وعلي الثاني هو علي الأكبر بن الحسين بن علي العلوي الهاشمي كما يقول هو نفسه:

أنا علي بن الحُسين بن علـــي

أضربكم بالسيف أحامي عن أبـي

ضرب غلام هاشـمي علــوي

وحملاته الحربية ، وصولاته على الأعداء تشبه حملات جده الإمام علي وصولاته ، وحتى بطولاته الفردية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، برز في يوم الطف بكر بن غانم ، فبرز له علي الأكبر، فقال بكر لعلي ألا يخاف أبوك الحُسين عليك مني ؟ فأجابه علي الأكبر: قد قال ذلك عمرو بن ود لجدي أمير المؤمنين ، فقتل عليٌ عمراً، وإنْ شاء الله سأقتلك كما قتل جدي عمراً .... فنصر الله علياً الأكبر فقتل بكر بن غانم ، وكان من أشجع فرسان أهل الكوفة في يوم الطف ، بل الأمر أبعد من ذلك فقد خصص يزيد بن معاوية لعنه الله ولاية الموصل جائزة لمن يقتل علي الأكبر ؛ فتصدى لهذه المهمة طارق بن كُثير ، وعندما برز لعلي الأكبر ، ضربه علي

الأكبر ضربة واحدةً قدّهُ نصفين ، كما كان علي الأكبر من حيث البنية الجسمانية والتركيب يشبه جده أمير المؤمنين تماماً، فهو يشبهه في الساعد والعضد والضربة ، إذ كانت ساعد الإمام علي وعضده كأنَّهما قطعة واحدة لشدة اندماجهما ؛ وكذا الحال بالنسبة لساعد وعضد علي الأكبر ، وضربة الكرار تكررت في ضربة الأكبر ، وضربة الخندق وخيبر ، تكررت في يوم الطف ، وقد توهم بعض الجيش حينما ظن أنَّ الإمام علي بن أبي طالب ظهر لنصرة ولده الحُسين ، ولما رأى علي الأكبر إنكار القوم له ، ارتجز مفصحاً عن نفسه ومعرفاً بها قائلاً :

أنا علي بن الحســـين بن علي

نحن وبيت اللـــه أولى بالنبـــي

أضربكم بالسيف أحامي عن أبي

أضربكم بالســيف حتى يلتــوي

ضرب غلام هاشـــــمي علــوي

تاللــه لا يحكم فينا ابن الدعـــــي

٣) شبهه لعمه الحسن: كان يشبه عمه الإمام الحسن (عليه السلام) هيبة وجودًا وسؤدَدً.

٤) شبهه لأبيه الإمام الحُسين : كان علي الأكبر يشبه أباه الحسين (عليه السلام) فيما يأتي :

أ- عاش في كنف جده الإمام علي بن أبي طالب سبع سنين، مثلما عاش الإمام الحُسين في كنف جده رسول الله سبع سنين .

ب- يشبه أباه في الصبر والإباء وتحمل الأهوال ، فقد كان أبي النفس مثل أبيه .

ت- يشبه أباه الإمام الحُسين (عليه السلام) في الشجاعة والإقدام ، فهو يقدم على الكتائب ولا يهابها ؛ ولا يخشاها ، كما كان يفعل أبوه الإمام الحسين .

علي الأكبر في حياة أبيه الإمام الحُسين : كان علي الأكبر يمثل الحارس الشخصي لأبيه الإمام الحسين ، فإذا ما خرج الإمام الحُسين نهاراً مشى خلفه ، وإذا ما خرج ليلاً مشى أمامه ، فهو لا يبتعد عنه ؛ فهو معه كظله أينما يذهب ، وكان هو الذي يقدم للإمام الحُسين راحلته إذا أراد الخروج لسفر ؛ وهو الذي يقدم له جواده إذا أراد الركوب ، لذلك وعندما استشهد آل البيت الطاهرين والأصحاب الكرام ؛ وبقي الإمام الحُسين وحيداً ؛ وأراد أنْ يخرج للقتال ، لم يجد من يقدم له جواده ، فنادى بصوت مقروح الفؤاد : من يقدم لي جوادي وأنا ابن رسول الله ، وكان بذلك يخاطب ولده الشهيد علي الأكبر ، فقد عزَّ عليه والله أن لا يراه يقدم له جواده ، فخافت السيدة زينب على الإمام الحُسين إنْ بقي يردد ذلك ، فأقبلت إليه مسرعة قائلة : لمن تنادي لقد جرحت فؤادي ، فمسح الإمام الحسين دموعه بكمه ، ليطمأنها ، وعندما خرج الإمام الحُسين من المدينة المنورة إلى مكة مكرمة؛ ومنها إلى العراق كان علي الأكبر يمتطي صهوة جواده ، ويتنقل حول أبيه الإمام الحُسين ، فمرة خلفه وأخرى أمامه وثالثة بجنبه ، وقبل ذلك شارك علي الأكبر في تشييع جثمان عمه الحسن (عليه السلام) ، وكان مع عمه أبي الفضل العباس قد جردا سيفيهما لمقاتلة بني أمية حينما تصدى مروان بن الحكم للنعش الشريف ، وأبى أنْ يُدفن مع جده رسول الله ، وكادت الدماء أنْ تسيل لولا حكمة الإمام الحسين الذي تحول بنعش أخيه الى مقبرة البقيع بوصية من الإمام الحسن ، ولم ترجع السيوف الى أغمادها إلا بأمر من الإمام الحُسين ، ولما مات معاوية بن أبي سفيان ،

أرسل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وكان واليا على المدينة المنورة الى الإمام الحُسين ليأخذ منه البيعة ليزيد ، وقبل ذلك استشار مروان بن الحكم في أمر الإمام الحُسين فقال له مروان (٥٧) : (أنه لا يقبل ، ولو كنت مكانك لضربت عنقه) ولما جاء الإمام الحُسين الى الوليد ابن عتبة ، جاءه في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه ، وطلب الإمام الحُسين من آل بيته وأنصاره أنْ يقفوا بباب قصر الإمارة ، وأنْ يدخلوا القصر عنوة حينما يسمعوا صوته قد ارتفع ، ولما دخل وأخبره الوليد بموت معاوية ، وعرض عليه بيعة يزيد ، قال الإمام الحُسين (عليه السلام) أيها الأمير أنَّ البيعة لا تكون سراً ، ولكن إذا دعوت الناس غداً ؛ فادعونا معهم ، فقال مروان : لا تقبل أيها الأمير عذره ، ومتى لم يبايع فاضرب عنقه ، فغضب الإمام الحُسين (عليه السلام) ثم قال : ويلٌ لك يا ابن الزرقاء ! أنت تأمر بضرب عنقي ؟ كذبت والله ولؤمت ، ثم التفت الى الوليد فقال : أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ؛ ومعدن الرسالة ؛ ومختلف الملائكة ، وبنا فتح الله ، وبنا ختم الله ، ويزيد رجل فاسق ؛ شارب الخمر ، قاتل النفس المحرمة ، معلن الفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نُصبح وتصبحون ، وننظر وتنظرون ، أينا أحق بالخلافة والبيعة ، ولما ارتفع صوت الإمام الحُسين بالخطاب ، هجم الهاشميون وأنصارهم على القصر ودخلوه عنوة يتقدمهم أبو الفضل العباس ؛ وابنهُ علي الأكبر فصعق من في القصر ، وعندما تحرك موكب العِترة النبوية الطاهرة من مكة الى العراق ، كان علي الأكبر هو المسؤول عن عائلة الإمام الحُسين ، مثلما كان عمه العباس مسؤولا عن عائلة الإمام علي بن أبي طالب ، وكان علي الأكبر يؤدي واجبه الاعتيادي في حماية الموكب ؛ وحراسة الإمام الحُسين (عليه السلام) ، وكان على ظهر فرس قريب من أبيه (٥٨) ، (ولما كان السحر من الليلة التي بات الحُسين فيها بقصر بني مقاتل ، أمر أصحابه بالاستسقاء ثم ارتحل ، فبينا هو يسير إذ خفق برأسه خفقة ، وانتبه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، كرر ذلك ثلاثا ، فأقبل ابنه

علي الأكبر وكان على فرس ، وقال له : جعلت فداك مم استرجعت وحمدت الله ؟

فقال الإمام الحُسين (عليه السلام) : خفقت برأسي خفقة ، فعن لي فارس يقول : القوم يسيرون والمنايا تسري بهم ، فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا .

فقال علي الأكبر (عليه السلام) : يا أبتي أ لسنا على الحق؟

فقال الإمام الحُسين : بلى والذي إليه مرجع العباد .

فقال علي الأكبر : إذاً لا نبالي أنْ نموت محقين .

فقال الإمام الحُسين : جزاك الله من ولد خيرَ ما جزى ولداً عن والده) .

أما السيد ابن طاووس رحمه الله فقد قال (٥٩) : .....ثم سار حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة ، فوضع رأسه فرقد ، ثم استيقظ فقال : قد رأيت هاتفا يقول : أنتم تسيرون والمنايا تسرع بكم الى الجنة .....

علي الأكبر في اليوم الثامن من المحرم الحرام : روى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنَّ الإمام الحُسين (عليه السلام) أرسل علياً الأكبر في اليوم الثامن من المحرم مع ثلاثين فارساً الى الماء ، فخاضوا لجج الجيش للهام ولم يثن عزمهم الحرب الدامية والجلاد المنهك مورين لهب القتال المبير مقتدحين زنادها المضطرم مجللين ليل القسطل الحالك جالين ذلك العثير المتراكم بشهب السيوف بعد جهاد متواصل ملكوا المشرعة وملأوا أسقيتهم وعادوا الى المخيم ، وشبيه النبي يود إيصال الماء قبل وصوله ، فهو يسمح أن تسيل نفسه دون قطرة منه) (٦٠) ، ولو أعدنا النظر فيما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) ، تأكد لنا بما لا يقبل الشك أنَّ علياً الأكبر كان من قادة الإمام الحُسين (عليه السلام) ، وإذا علمنا أنَّ

الجيش الذي أرسله اللعين عبيدالله بن زياد بقيادة عمر بن سعد أوكل منهم خمسة الآف مقاتل على المشرعة ، وزين الشباب يقتحم المشرعة بثلاثين فارساً وينجح في طرد العدو من المشرعة ويكشفهم عنها ويملأ السقاء ، فأكرم به وأنعم من بطل حُسيني علوي فاطمي مُحمّدي هاشمي ، وصدق فيهم قول شاعر أهل البيت حين قال :

قومٌ إذا نودوا لدفعِ ملمـــــةٍ والخيلُ بينَ مُدعسٍ ومكردسِ

لبسوا القلوبَ على الدروعِ وأقبلوا يتهافتونَ عـــلى ذهابِ الأنفسِ

وفي اليوم التاسع من المحرم خطب الإمام الحُسين (عليه السلام) في أصحابه ، فسمعت السيدة زينب وأختها أم كلثوم وباقي نسوة البيت الهاشمي خطبة الإمام الحُسين ، فبكين وندبن ولطمن وارتفعت أصواتهن ، فوجه الإمام الحُسين إليهن أخاه العباس وابنه علياً الأكبر ؛ وقال لهما أسكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن (٦١) ، وقد اتفق المؤرخون على أنَّ الحُسين (عليه السلام) لما اجتمع ليلة عاشوراء بعمر بن سعد لعنه الله ، أمر من كان معه بالتنحي إلا أخاه العباس وابنه علياً الأكبر ، وكان مع ابن سعد ابنه حفص وغلامه (٦٢) ، وهذا يدل على سمو المكانة التي يحتلها العباس وعلي الأكبر عند الإمام الحُسين (عليه السلام) ، فهذه المنزلة الرفيعة ؛ والدرجة العالية الشأن لم تأتِ من فراغ ، بل تقديراً لمواقفهما البطولية وتضحياتهما الجسام في خدمة الإسلام والإمام فضلاً عن مكانتهما الدينية والعلمية والفقهية في الإسلام ، وفي ليلة العاشر من المحرم خاطب الإمام الحُسين (عليه السلام) أهل بيته الكرام وأصحابه الأبرار رضوان الله عنهم أجمعين قائلاً (٦٣) : (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وتفرقوا في سوادكم هذا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، فإنَّ القوم إنَّما يطلبونني ، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري) ، فابتدر أبو الفضل العباس ؛ وأبو الحسن علي الأكبر وبنو عقيل فقالوا له : (معاذ الله والشهر الحرام ، فماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم ، إنا تركنا سيدنا وابن سيدنا

وعمادنا ، تركناه غرضاً للنبل ، ودرئة للرماح ، وجزراً للسباع ، وفررنا عنه رغبة في الحياة ، معاذ الله ، بل نحيا بحياتك ونموت معك) ، والسلام المتواتر عند الأئمة المعصومين خاصة وزوار الإمام الحُسين عامة ((السلام على الحُسين وعلى علي بن الحُسين وعلى أولاد الحُسين وعلى أصحاب الحُسين)) ، فالمقصود بالسلام على علي بن الحُسين ، عليا الأكبر وقد خصوه بالأسم تميزاً له عن شهداء الطف الأبطال .

علي الأكبر في يوم عاشوراء : في صبيحة يوم عاشوراء ، استدعت السيدة ليلى الثقفية زوج الإمام الحسين وأم علي الأكبر ، ولدها وطلبت من أنْ يكون في مقدمة الشباب العلوي للدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام ، وأنْ كان علي الأكبر قد أعد العُدة للحصول على الشهادة بين يدي والده عليه السلام (٦٤) ، بعد استشهاد أصحاب الحُسين عليه السلام ، ولم يبق معه إلا آل البيت من بني هاشم ، لذا أخذ الهاشميون يودع بعضهم بعضاً ، وأراد كل واحد منهم الظفر بلقب الشهيد الأول إلا أنَّ قصب السبق كان من نصيب أبو الحسن علي الأكبر ، حينما تقدم ووقف بين يدي سيده ومولاه الإمام الحُسين طالباً الإذن بالقتال ، دمعت عين الحسين فقال : اللهم أنت الشهيد عليهم ؛ وقد برز اليهم ابن رسولك واشبه الناس وجهاً وسمتاً (٦٥)؛ ثم قام الامام الحسين وألبسه لباس الحرب ؛ فألبسه درعاً ؛ وعممه بعمامة رسول الله وأركبه على فرس له يدعى عقاب (٦٦) ؛ وقيل أن اسم الفرس هو جناح (٦٧) ولما سمعت نساء بيت النبوة صوته يطلب الإذن لقتال العدو، صحن وصرخن وقلن : ارحم غربتنا ، ثم أمره أبوه الحُسين بالدخول الى مخيم النساء لأنَّ أمه وعماته وأخواته يردن توديعه والنظر إليه ، لأنهن يعرفن أنه اللقاء الأخير مع شبيه المصطفى ، فهو إنْ ذهب لن يعود ، وبعد أنْ ودعهن خرج ليودع أهل البيت واحداً واحداً ، الى أنْ وقف بين يدي سيد شباب أهل الجنة ، فلم يستطع وداعه بل احتضنه وضمه الى صدره ، ومن شدة ما أصاب الإمام الحُسين من ألم وحرقة على فراق حبيبه ، سقط الى الأرض مغشياً عليه ، ولما أفاق أرخى عينيه

بالدموع(٦٨)، هاتفاً بعمر بن سعد : قطع الله رحمك ، كما قطعت رحمي ، ثم قال (٦٩) : (اللهم أشهد فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك ، كنا إذا اشتقنا لنبيك نظرنا إليه ؛ اللهم امنعهم بركات الأرض ؛ وفرقهم تفريقاً ؛ ومزقهم تمزيقاً ؛ واجعلهم طرائق قدداً ؛ ولا ترضي الولاة عنهم أبداً ؛ فإنَّهم دعونا لينصرونا ؛ ثم عدوا علينا يقاتلونا) ؛ وبعد أنْ خرج علي الأكبر الى ساحة القتال ، جلس الحُسين محتبيًا بسيفه في باب خيمته ينظر إليه كيف يقاتل ، وهو فرح مستبشر مسرور بشجاعته وبطولته وصولاته وجولاته ، وأمه ليلى في خيمتها تنظر الى وجه الحُسين الذي كان مرآة عاكسة لها ما يجري في أرض المعركة ، وهي مطمئنة الى شجاعة ولدها ، التي سطر فيها أروع صور البطولة ، وهي رافعة يدها بالدعاء له (٧٠) ، ولما برز علي الأكبر وطلب المبارزة ، لم يبرز إليه أحد؛ فدعا عمر بن سعد لعنه الله طارق بن كُثير وقال له [٧١] : (أبرز له ؛ فقال طارق : تأخذ ما تأخذ من ابن زياد ؛ فقال : أخرج الى هذا الغلام وجئني برأسه ؛ فقال : أنت تأخذ ملك الري ، وأنا أخرج إليه ، فإنْ ضمنت لي إلى الأمير إمارة الموصل أخرج إليه ، فضمن وأعطاه خاتمه ميثاقاً له، فخرج وقاتل علياً قتالا شديداً إلى أنْ ضربه علي الأكبر ضربة منكرة فقتله ؛ فخرج أخوه فضربه علي على عينهِ وقتله ؛ ولم يخرج بعد ذلك إليه أحد) ؛ إلى أنْ نادى عمر بن سعد لعنه الله ، ألا من رجل يخرج إليه فبادر بكر بن غانم [٧٢] ، ولما خرج إليه اللعين تغيرت أحوال الإمام الحسين ، وأصفر لونه واضطرب ، فقالت أمهُ ليلى : سيدي أبا عبدالله ، هل أصيب ولدي بشيء ؟ فقال لها : لا يا ليلى ، ولكن برز إليه من يخاف منه عليه ، يا ليلى ادعي لولدك ، فأني سمعت جدي رسول الله يقول : إنَّ دعاء الأم مستجاب في حقِّ ولدها ، فدعت ليلى لولدها بالنصر فاستجاب الله لها وعاد علي الأكبر من المعركة يهدر كالليث ، بعد أنْ قتل بكر بن غانم ، وجاء الى أبيه الحُسين يطلب جائزة ، لكن الإمام الحُسين قطع عليه الطريق قائلاً : اسرع إلى أمك في الخيمة ، فهي على وشك الموت فدخل الخيمة فوجدها في

حال لا يسر حتى العدو ،فما أن رأته حتى احتضنته باكية ، وهي تشجعه وتحثه على الاستبسال بين يدي أبي عبدالله الحُسين ، حتى تقر عينها عند الزهراء يوم القيامة بعد أنْ قدمت وحيدها وفلذة كبدها فداءً للحُسين (فنعم المفدي ونعم الفادي) فأجابها بصلابة : لأنعمنك عيناً يا أماه ، ثم ودعها وخرج ، وقد أخذ العطش منه مأخذاً عظيماً ، فقال يا أبتي : العطش قتلني وثقل الحديد أجهدني ، فهل إلى شربة من ماء أتقوى بها على الأعداء ؟ فبكى الحُسين وقال وا غوثاه ! يا بني قاتل قليلاً فما أسرع الملتقى بجدك مُحمّداً ، فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبدا ، وقد علق السيد عبدالرزاق المقرم على هذه المحاورة قائلا [٧٣] : (هذه شكوى لم يقصد بها إلا بثها ، وأنه قد ناء بما وجب عليه على قدر وسعه وطاقته ، وأنه لم يفتر عن ذلك ، فالاستفهام إنكاري قصد به المعذرة عن القيام بمثل ما تقدم منه في المستقبل) ، أي أنَّهُ ضعف عن القتال لكثرة ما أصابته من جراح السهام وطعنات الرماح وضرب السيوف ، ومع كل ذلك ، كانوا يهابونه ولا يبارزونه أفراداً ، بل كانوا يرشقونه بالسهام ، إذ قتل علي الأكبر منهم ((٧٠)) سبعين فارساً في المبارزة الفردية [٧٤] ، وقد بلغ مجموع حملاته على جيش العدو ((١٢)) اثنتا عشرة حملة ، حتى ضج الناس من كثرة ما قتل منهم ، وفي سفينة البحار قال محمد ابن الحنفية : إنَّ علي بن الحسين قاتل ورجع الى أبيه اثنتي عشرة مرة [٧٥] ؛ ثم عاد الى أرض المعركة متدرعًا بعزمه ومتسلحاً بعقيدته ، فلم يجرأ أحد من التقرب إليه ، فرشقوه بوابل من السهام ، حتى أصابه سهم العبدي رُضى بن منقذ في فمه الشريف[٧٦] ؛ فاعتنق فرسه آملاً أنْ يعود به إلى المخيم ، ولكنَّ ارتباك الفرس واضطرابه ، قاده الى وسط معسكر الأعداء ، فاحتوشوه من كل جانب ، هذا يطعنه بالرمح ولآخر يضربه بالسيف ، فنادى بأعلى صوته : يا أبت السلام عليك ، هذا جدي يقرؤك السلام وقد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً وهو يقول : إنَّ لك كأساً مذخورة [٧٧] ، فأقبل إليه الإمام الحُسين (عليه السلام) كالليث الغضبان ، فكشف الأعداء عنه ، ومن

هول المصيبة أنَّ الإمام الحُسين على عظمته وجلال قدره لم يتمالك نفسه الشريفة ، فاستلقى على الثرى الى جانبه واضعاً خده على خد ابنه علياً الأكبر ، حتى فاضت روحه الطاهرة ، فقال الحُسين : على الدنيا بعدك العفا ، ما أجرأهم على الرحمن وانتهاك حرمة الرسول (٧٨) ، ولما استشهد علي الأكبر خرجت أمه حافية حاسرة تنادي وا ولداه وكانت وافقة بباب الفسطاط تنظر إليه (٧٩) ، والصواب هي عندما علمت بشهادة ولدها دخلت خيمتها ، وقد بدا عليها الحزن والألم ، إلا أنَّها تحملت هول الصدمة ، فقامت تقرأ القرآن الكريم ، ثُمَّ صلتْ صلاة الشكر رافعة يدها بالدعاء لولدها الشهيد (٨٠) ، بعد شهادة علي الأكبر عليه السلام دخل الى خيمة امه ليلى ليواسيها ، فاستقبلته برباطةِ جأشٍ وايمان أصيل وعزيمة ثابتة وصبر جميل ، ثُمَّ قالت : للإمام الحسين عليه السلام : بوركت يا سيدي بهكذا أولاد سبقوك الى الجنة ، فردَّ عليها الإمام الحسين قائلاً : هنيئاً لك بهكذا ولدٍ نبيلً التحق بشهداء الإسلام (٨١) ، وقال أحد أرباب المقاتل (٨٢) : (كنت أطوف في سكك المدينة ؛ وأنا على ناقة لي ؛ حتى أتيتُ دور بني هاشم ؛ فسمعتُ في دارٍ رنة شجية وبكاءً وحنيناً ؛ فعرفتُ إنها إمراة وهي تبكي وتنوح وترثي كالمرأة الثكلى ؛ بحيث إنَّ ناقتي لما سمعت لم تبقَ لها طاقة ؛ فبركت ونزلتُ ووقفتُ انتظر أحداً أساله عن الدار وعن الباكية ؛ فعند ذاك اقبلت جارية فتقدمتُ إليها وسألتها : لمن هذه الدار ؟ قالت : لقد قُتِلَ صاحبها وهو الحسين عليه السلام ؛ فقلت : فمن الباكية ؟ قالت : هي ليلى أم علي الأكبر ؛ لم تزل تبكي أبنها ليلاً ونهاراً) .

قال التوستري في خصائصه (٨٣) : (إنَّ الإمام الحُسين شارف على الموت في يوم الطف ثلاث مرات : الأولى حينما برز علي الأكبر ، والثانية بعد أن قتل علي الأكبر بكر بن غانم وطلب شربة ماء ، والثالثة حينما هوى علي الأكبر من على ظهر جواده صريعاً) ، وهنا تقول السيدة سكينة بنت الإمام الحُسين : حينما سمع أبي صوت أخي علي الأكبر ، قام فوقع على الأرض ثلاث مرات ، وأنا أقول ساعد الله قلبك سيدي ومولاي

وعظم الله لك الأجر بشهادة ولدك زين الشباب علي الأكبر ، ولما قتل علي الأكبر ؛ رفع الحسين صوته بالبكاء ؛ ولم يسمع أحد إلى ذلك الوقت صوته بالبكاء ؛ وقال : قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة رسول الله ؛ وانهملتْ عيناه بالدموع ثم قال : على الدنيا بعدك العفا[٨٤] .

قال أبو مخنف في مقتله [٨٥] : (لما قتل علي بن الحسين ، تنفس الحسين عليه السلام الصعداء ؛ ثم دعا ببردة رسول الله فلبسها ، وأفرغ على نفسه درعه الفاضل ، وتعمم بعمامة السحاب ، وتقلد بسيفه ذي الفقار ؛ واستوى على ظهر جواده ؛ وحمل على القوم وفرقهم عنه ؛ وأخذ رأسه ووضعه في حجره ؛ وجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه ويقول : يا بني لعن الله قاتلك ما أجرأهم على الله ورسوله ؛ وهملت عيناه بالدموع حزنا لما أصابه ؛ ثم وضع ولده في حجره وقال : يا ولدي أما أنت فقد استرحت من هم الدنيا وغمها ؛ وسرت إلى روح وريحان وجنة ورضوان ؛ وبقي أبوك لهمها وغمها ؛ فما أسرع لحوقهُ بك) .

ولما رجع الحسين عليه السلام ؛ ودنا من الخيام خرجت سكينة وقالت [٨٦] : (يا أبي مالي أراك تنعى نفسك وتدير طرفك ؟ أين أخي علي ؟ فبكى الحسين وقال : قتلهُ اللئام ؛ فصاحت وا أخاه وا علياه ؛ وأرادت أنْ تخرج من الخباء ؛ فأخذها الحسين وقال : يا بنتاه اتقي الله واستعملي الصبر ؛ قالت : ابتاه كيف تصبر من قتل أخوها وشرد أبوها ؟ فقال الحسين : إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وفي رواية فريدة رواها بعض أرباب المقاتل تقول[٨٧] : (إنَّ السيدة زينب عليها السلام أقبلت إلى علي الأكبر ووقعت عليه قبل مجيء الحسين؛ وإنَّما سبقت أخاها لأنها علمت بأنَّ علي قد قتل ؛ ولو رآه الحسين مقتولا لفارقت روحه جسده ؛ فأشغلته بأمر الناموس حتى تهون عليه المصيبة ؛ لأنَّ أمر الناموس أصعب الأمور على الغيور ؛ فإذا رأى

الأنسان أخته أو حرمه بين الأعداء فينسى غير ذلك) ، وأنا أتحفظ على هذه الرواية .

لقد تركت شهادة علي الأكبر جرحا غائرا في قلب الإمام الحسين عليه السلام فقد قال أحد كبار العلماء [٨٨] : (إنَّهُ رأى الإمام الحسين عليه السلام في منامه ؛ مضطجعاً على مرقده الشريف وجراحاته تشخبُ دماً ؛ فقلت : سيدي ما هذه الجراحات ؟ قال هذه الجراحات من ضرب سيوف بني أمية وطعن رماحهم ؛ فانتبه العالم من نومه مرعوباً فزعاً ؛ وقال فلما صار اليوم الثاني ؛ قال : رأيت الحسين في منامي ؛ ولكن تلك الجراحات لم أجد لها أثراً ؛ فقلت : سيدي ما صارت جراحاتك ؟ فقال : إنَّ زواري أخذوا بالبكاء عليَّ فبرأت تلك الجراحات ؛ لكن بقي جرحان في قلبي لم يندملا وهما ليس من ضرب السيوف ولا من طعن الرماح ؛ بل ظهر أحدهما حين سقط ولدي علي الأكبر عن ظهر جواده ؛ ونادى رافعا صوته ؛ ابتاه عليك مني السلام ؛ والآخر حين سقط العباس ؛ ولم يزل الحسين عليه السلام قلبه مجروحاً وعينه مقروحة من هاتين المصيبتين).

وهناك رواية مفادها أنَّ علي الأكبر استشهد بعد شهادة عمه العباس وهي تقول[٨٩] : (لما قتل العباس عليه السلام تدافعت الرجال على أصحاب الحسين عليه السلام ؛ فلما نظر إلى ذلك نادى : يا قوم أما من مجير يجيرنا؟ أما من مغيث يغيثنا ؟ أما من طالب حق فينصرنا ؟ أما من خائف فيذب عنا ؟ أما من أحد فيأتينا بشربة من ماء لهذا الطفل ؟ فإنَّهُ لا يطيق الظمأ ؟ فقام إليه ولده علي الأكبر وكان له من العمر سبع عشرة سنة فقال: أنا آتيك بالماء يا سيدي ؛ فقال عليه السلام إمضي بارك الله فيك ؛ قال : فأخذ الركوة (الجود) بيده ثم اقتحم الشريعة ؛ وملأ الركوة ؛ وأقبل بها نحو أبيه ؛ فقال : يا أبتي الماء لمن طلبت؛ اسق أخي وإن بقي شيء فصبه علي فأني والله عطشان ؛ فبكى الحسين عليه السلام وأخذ ولده الطفل وأجلسه على فخذه وأخذ الركوة وقربها من فيه ؛ فلما هم الطفل أن يشرب

الماء أتاه سهم مسموم فوقع في حلق الطفل فذبحه قبل أن يشرب من الماء شيئا فبكى الحسين عليه السلام ورمى الركوة من يده) ، ،انا اتحفظ على هذه الرواية.

وأرجح أنَّ عمره الشريف يوم استشهاده كان قد يتراوح بين الثالثة والثلاثين والثامنة الثلاثين ؛ وفي رواية أخرى كان عمره سبع وعشرين سنة وخمسة شهور ؛ وأني أرجح أنَّ عمره الشريف قد تجاوز الثالثة والثلاثين سنة ؛ وإنْ قال الشاعر السيد حسين بركة الشامي [٩٠] :

أولهم نجل الحسين الأكبر عليٌّ الفتى المهاب الأنــور

أشبه آل بيته بالمصطفــى ووارثُ المكرمين الشـرفـا

سبع وعشرون له أعـوامُ ووجهه بدرٌ بدا تمـــــــامُ

وهنا نقطة لافتة للنظر؛ وتتطلب الوقوف عندها ؛ لمناقشتها ومحاورتها واستلهام ما فيها من معانٍ ودلالات ؛ والنقطة هذه مخصوصة بالإمام الحسين عليه السلام ولكنها تنسحب على ولده علي الأكبر ... في الزيارة عاشوراء الوقفية في زيارة وارث حينما تخاطب الإمام الحسين عليه السلام وتقول[٩١] : ((السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره ؛ والوتر الموتور)) فثأر الله هو الإمام علي بن أبي طالب ؛ وابن ثأره هو الإمام الحُسين ؛ وهذا يعني أنَّ كلَّ شهيد وقتيل يُدرك ثأره من قبل أهله وذويه ؛ باستثناء ثأر الأمام علي بن أبي طالب ؛ وولده الإمام الحسين عليهما السلام لم يدرك ثأرهما ؛ فثأرهم تعهد الله به ؛ والوتر الموتور تعني الثأر الذي لم يؤخذ بعد ؛ لذلك نجد الراية الحمراء ترفرف فوق قبة الإمام الحسين إلى اليوم تشير إلى هذا المعنى ؛ ولن يُدركْ ثأره إلا بظهور الحجة الإمام المهدي عليه السلام ؛ عجل الله مخرجه الشريف ؛ فهو ولي الدم ؛ وعندما تفجرت ثورة التوابين بقيادة المختار الثقفي ؛ قام الثوار بقتل كل من تلطخت يداه بدماء آل البيت الكرام في واقعة الطف ؛ فقتلوهم جميعاً ؛ ولم

ينجُ أحداً منهم ؛ ولكني وخلال دراساتي في الأدب الإسلامي وجدت أنَّ ابن منقذ العبدي الذي رمى علياً الأكبر بسهم في فيه ؛ وقيل هو الذي ضربه بالسيف على رأسه الشريف ؛ قد هرب من الكوفة ؛ ولم يقتل ؛ ولم يقتص منه ؛ إذْ هرب إلى البحرين ؛ حيث كانت تسكن قبيلته قبيلة عبدالقيس ، ومن هناك أعلن ندمه في المشاركة في حرب الإمام الحسين في واقعة الطف ؛ وأنه قد غُرر به ؛ وقد تمثل ذلك في قوله (٩٢) :

ولو شاءَ ربي ما شهدتُ قتالهم ولا جعلَ النعماءَ عند ابن جابــرِ

لقد كانَ ذاكَ اليومَ عاراً وسبةً يُعيرُهُ الأبناءُ بعدَ المعاشـــــــرِ

فيا ليتَ أني كنتُ من قبلِ قتلـهِ ويومَ الحسـينِ كنتُ في رمسِ قابرِ

فهل ينفعه هذا الندم ؛ وتمنيهُ الموت قبل واقعة الطف ؛ بالتأكيد لا ينفعه ؛ وهو في قعر جهنم خالداً فيها أبدا ؛ والذي يستفاد من هذه المعلومة أنَّ قاتل علي الأكبر مات حتف أنفه ؛ ولم يقتله أحد ؛ وهذا يعني أنَّ دم علي الأكبر وثأره لم يدرك أيضاً شأنه شأن جدّهِ وأبيهِ ؛ وبقي ثأرهُ معلقاً إلى أنْ يظهر ولي الدم الإمام الحجة المهدي المنتظر ليأخذ بثأرهِ ؛ ويشفي صدر جدّهِ الإمام الحسين عليه السلام بمن قتل ولده .

علي الأكبر والعصمة الصغرى : كان أبو الحسن علي الأكبر يتمتع بالعصمة الصغرى شأنه شأن عمتيه زينب وأم كلثوم بنتي علي وفاطمة ، وعمه العباس عليهم السلام ، والعصمة الصغرى تعني أنَّ صاحبها لا يحتاج في أمور دينه ودنياه إلا الى إمام عصره المعصوم ، والعصمة الصغرى بالمحصلة النهائية تعني أنَّ من يتمتع بها منـزهٌ عن عمل القبيح ، ومعصومٌ من الذنوب بملكة اكتسبها ، ومرتبة سامية حصل عليها لطفاً من الله سبحانه وتعالى به ، لعلمه بصحة ضميره وصدق نيته وإخلاصه في طاعته وانقياده لأمره جل شأنه ، وتعرف هذه المكانة السامية لهؤلاء بأمرين هما :

أولا : شهادة الإمام المعصوم بحقهم ، وهو لا يعطيها اعتباطاً لتنـزهه ِعن الخطأ في القول والعمل .

ثانيا : مرورهم بالأزمات العظيمة والخطوب الجسيمة ، ومع ذلك لا يصدر منهم إلا الرضا والتسليم بقضاء الله سبحانه وتعالى .

وقـد تحقق ذلك لعلي الأكبر (عليه السلام) بما يأتي :

١) تقديم الإمام الحُسين (عليه السلام) له على أخيه الإمام المعصوم على الأصغر (زين العابدين) في حياته .

٢) ثناء الإمام الحُسين عليه والدعاء له بقوله [٩٣] : (جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده ، ثم تلا قوله تعالى [٩٤] : {إنَّ اللهَ اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمين ذريةً بعضُها من بعضٍ واللهُ واسعٌ عليمٌ } ، وهذا يعني أنَّ علياً الأكبر من المصطفين الأبرار، وهو أهلٌ لذلك، أليس الإمام الحُسين إمامٌ معصومٌ ولا ينطق إلا بالحق والصدق، وما فيه رضاً لله ورسوله ، وهذه شهادته لعلي الأكبر.

٣) في يوم الطف وحينما برز علي الأكبر للقتال : رفع الإمام الحُسين شيبتهُ الشريفة نحو السماء ثم قال : اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا إذا اشتقنا لنبيك نظرنا إليه ، وعندما دخل علي الأكبر ساحة القتال ، نادى الإمام الحُسين بابن سعد : قطع الله رحمك كما قطعت رحمي .

٤) حينما كبا على الأكبر عن ظهر جواده صريعاً ، وقف الإمام الحُسين على جسده الطاهر ثم قال : (قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على انتهاك حرمة رسول الله) ، ونحن نعرف أنَّ حرمة رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) لا تنتهك بمقتل رجل عادي بل بمقتل رجل له شأن ومنزلة في الإسلام ، وها هو الإمام الحسين يشهد بذلك.

٥) قيام الإمام الحُسين برمي دمه الطاهر الى السماء ، ولم تسقط قطرة من ذلك الدم الطاهر إلى الأرض ، ولم يفعل الإمام ذلك إلا مع عبدالله الرضيع لطفولته ، وكذلك حينما وقع السهم المثلث على قلبه الشريف ، وبناءً على ذلك يخاطبه الإمام الصادق قائلاً : (بأبي أنت وأمي دمك المرتقى به الى حبيب الله ، بأبي أنت وأمي من مقدم بين يدي أبيك ، يحتسبك ويبكي عليك محترقاً عليك قلبه ، يرفع دمك بكفه الى عنان السماء ، فلا يرجع منه قطرة ، ولا تسكن من أبيك عليك زفرة ، ودعك للفراق فمكانكما عند الله مع آبائك الماضين ومع أمهاتك في الجنان منعمين) ، لاحظ كلمة الإمام الصادق (عليه السلام) فقد كرر مرتين بأبي أنت وأمي ، أي انه لو كان يستطيع فداءه بأبيه وأمه لفعل ، من أجل أن يخفف من شدة الحزن والألم الذي اعتصر قلب جده سيد الشهداء ، ولكنَّ هذا قضاء الله وقدره ، ولا راد لقضاء الله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٦) قيام الإمام علي الأصغر (زين العابدين) بدفنه في قبر مستقل بجوار أبيه عند رجلي الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة ، تميزاً له عن بقية الشهداء ، رضوان الله عنهم ، والذين دفنهم جميعاً في قبر واحد .

٧) إفراد الإئمة المعصومين (عليهم السلام) له زياراتٍ خاصة مستقلة تعقب زيارة الإمام الحُسين مباشرة ، وذلك إشعاراً منهم بسمو مقامه وعظيم منزلته عند الله سبحانه وتعالى ، إذ تتجاوز عدد زياراته العشرة .

٨) قال أحد موالي الامام زين العابدين (عليه السلام) لزين العابدين [٩٥]: (أما آنَ لحزنك أنْ ينقضي ؟ ولبكائك أنْ يقل ؟ فقال له الإمام : ويحك إنَّ يعقوب بن اسحق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي وله أثنا عشر ابناً ، فغيب الله واحداً منهم ، فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم ، وذهب بصره من البكاء ، وابنه حيٌّ في دار الدُنيا ، وأنا رأيت أبي ، وأخي ، وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي ؟) من يقرأ كلمة الإمام زين العابدين يشعر منذ الوهلة الأولى أنَّ استذكار الإمام زين العابدين لواقعة الطف ، بدأ بذكر أبيه الإمام الحُسين أولا ، وأخيه عليا الأكبر ثانيا ، وشهداء الطف كافة ثالثا .

٩) يخاطبه الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارته له قائلاً : (سلامُ الله وملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته) ، فخطاب الإمام الصادق له بمولاي وهو الإمام المعصوم وقائد المذهب ، تعني أنه كان على منزلة عظيمة عند الله ورسوله والأئمة المعصومين كافة عليهم السلام) .

١٠) في إحدى الزيارات خاطبه الإمام الصادق قائلاً: (السلام عليك يا ولي الله وابن وليه، السلام عليك يا حبيب الله وابن حبيبه، السلام عليك يا خليل الله وابن خليله عشت سعيدا ومت فقيدا ، وقتلت مظلوما ، يا شهيد بن الشهيد عليك من الله السلام) فمعنى ولي الله هو الإمام القائم بأمر الله لأنَّ أولياء الله هم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين وحدهم ، وعندما عدَّ الإمام الصادق عليا الأكبر من أولياء الله فهو يعني أنه مكمل للأئمة المعصومين وهو معصوم بالعصمة الصغرى .

١١) في زيارة الأول من رجب المعظم وبعد أن تُنهي زيارة الإمام الحُسين عليه السلام تتحول إلى رجلي الإمام الحُسين وتسلم على علي الأكبر

بهذه الزيارة وتقول: (كما منَّ الله عليك من قبل ؛ وجعلك من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) والتطهير وذهاب الرجس يعني أنه يتمتع بالعصمة الصغرى .

١٢) وأما الإمام الحجة بن الحسن عليهما السلام فيخاطبه في زيارته [٩٦] : (أشهد أنك من الفرحين بما آتاهم الله من فضله ؛ هذه منزلة كلِّ شهيد؛ فكيف منزلة الحبيب إلى الله ؛ القريب إلى رسول الله ؛ زادك الله من فضله في كلِّ لفظة ولحظة وسكون وحركة مزيداً يغبطه به أهل عليين ؛ يا كريم الجد ؛ يا كريم الأب ؛ يا كريم النفس) ؛ ونلحظ هنا التشابه المطلق لما وصف به النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) النبي يوسف الصديق في قوله [٩٧] : (إنَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم) ؛ والإمام الحجة (عجل الله فرجه) يخاطبه بالخطاب نفسه فعلي الأكبر كريم النفس وهو ابن كريم الأب الإمام الحُسين وابن كريم الجد الإمام علي بن أبي طالب وهو ابن كريم الجد رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ فهذه أربعة في أربعة .

صــلاة الزيارة : يكاد يتفق علماء الشيعة نقلا عن الأئمة المعصومين أنَّ صلاة الزيارة وهي ركعتين مخصوصة للأئمة المعصومين، ولكنَّ هناك روايات خاصة حول هذه الصلاة فيما يخص العباس وعلي الأكبر ، لأنهما يتمتعان بالعصمة الصغرى ، فقد ورد عن الشيخ المفيد [٩٨] ومزار بن المشهدي ، ورد الأمر بها في زيارة العباس ، وقد نص ابن طاووس في مصباح الزائر على رجحانها بالنسبة للعباس ، ولم يكن متأكداً منها ، أما صلاة الزيارة لعلي الأكبر فقد أكدها الإمام الصادق عليه السلام [٩٩] : (... ثم زُرْ علي بن الحُسين وصلي ركعتين وأكثر بعدهما من الصلاة على النبي وآله ، واسأل حاجتك) وهذا يعني ليس صلاة الزيارة فقط ، بل الدعاء عند قبره الشريف مستجاب ؛ ثم أكد

الإمام الصادق صلاة الزيارة له ولعمه العباس ولشهداء الطف كافة في زيارة أخرى حينما قال: (ثم زُرْ علي ابن الحُسين والشهداء والعباس وصلي ركعات الزيارة الثمان) ، والمقصود بالثمان : ركعتان للإمام الحُسين (عليه السلام) ، وركعتان لعلي الأكبر وركعتان لشهداء الطف كافة، والركعتان الأخيرتان للعباس ، ولم تثبت صلاة الزيارة لغير الأئمة المعصومين والعباس وعلي الأكبر وشهداء الطف .

زيارة يوم عاشوراء : في زيارة يوم عاشوراء تقول مئة مرة (السلام عليك يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك ، عليك مني سلام الله أبدا ما بقيت وما بقي الليل والنهار ، ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم، السلام على الحُسين ، وعلى علي بن الحُسين ، وعلى أولاد الحُسين ، وعلى أصحاب الحُسين) [١٠١] ، في هذه الفقرة المخصوصة لسيد الشهداء وأبو الأحرار الإمام الحُسين وأهل بيته وأصحابه الذين استشهدوا بين يديه في يوم الطف ، نلحظ أنه لم يرد اسم صريح في هذه الزيارة إلا اسم الإمام الحُسين وابنه علياً الأكبر ، وهذا يدل على المكانة العلية التي يتبؤها الإمام الشهيد علي الأكبر عند الله ، إذا علمنا أنَّ هذه الزيارة هي زيارة وقفية متواترة منقولة بالنص عن الأئمة المعصومين عن رسول الله عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال لصفوان الجمال [١٠٢] : (تعاهد هذه الزيارة وادعو بهذا الدعاء وزر به أني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد أن زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصل غير محجوب ، وحاجته مقضية من الله تعالى بالغة ما بلغت ، ولا يخيبه ، يا صفوان وجدت هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي عن أبيه علي بن الحُسين عليهما السلام مضموناً بهذا الضمان عن الحُسين (عليه السلام) والحُسين عن أخيه الحسن (عليه السلام) مضموناً بهذا الضمان والحسن عن أمير المؤمنين عن رسول الله مضموناً بهذا الضمان عن جبريل مضموناً بهذا الضمان وجبريل عن الله تعالى مضموناً بهذا الضمان) ،

تلحظ هنا تكرار الضمان أكثر من مرة ، والتكرار في العربية هو من التوكيدات اللفظية التي تعطي الكلام قوة ومتانة ، وإذا قرأنا سلسلة الرواية تأكد لنا بما لا يقبل الشك أنه من زار بهذه الزيارة قد فاز فوزاً عظيماً ، لأنَّها تقبل منه سواء تجشم عناء السفر الى كربلاء المقدسة ، أم أدى الزيارة من بيته .

الخاتمة :

بعد أنْ حللنا ضيوفاً على بيت العزِّ والمجد والجود والكرم والندى ، بيت ريحانة رسول الله الإمام الحُسين لنلتقي بشبله بطل كربلاء ، ونسجل سيرته العطرة من مولد الى استشهاده ، وكذلك لنسمع قول سيد الشهداء ، وأبو الأحرار فيه ، وكذلك أقوال الأئمة المعصومين ، وأرباب المقاتل ، ورواة التاريخ ، وكانت الحصيلة رائعة جدا، فقد حصلنا على النتائج الآتية:

١) إنَّ علياً الأكبر كان أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٢) إنَّ علياً الأكبر هو أكبر أولاد الإمام الحسين عليه السلام .

٣) كان عدد حملاته على جيش عمر بن سعد ((١٢)) في يوم الطف اثنتي عشرة حملة ؛ ولم يصل الى هذا العدد أي مقاتل من أصحاب الحسين وآل بيته .

٤) قتل ((٧٠)) سبعين فارساً من جيش العدو مبارزة فردية ؛ بعدها توقفوا عن مبارزته .

٥) إنَّ الإمام الحسين عليه السلام في كلمته المشهورة لم يقل : برز إليهم غلام أشبه الناس بنبيك .... بل قال : وبرز اليهم اشبه الناس بنبيك ... ؛ والغلام من إضافة الرواة ؛ ليعطوا رواياتهم قوة على أنَّهُ الأصغر عمراً ؛ لأنَّ كلمة الغلام تدل الشاب الصغير الذي لا يتجاوز عمره العشرين سنة .

٦) إنَّ علياً الأكبر هو أول شهداء الطف من أهل البيت الكرام .

٧) إنَّ علياً الأكبر اقتحم المشرعة مرتين بمفرده ؛ وطرد منها جيش عمر بن سعد ؛ وملأ الركوة (الجود) مرتين وذلك في اليوم الثامن من المحرم ؛ وفي اليوم العاشر من المحرم .

٨) إنَّ علياً الأكبر كان يتمتع بالعصمة الصغرى .

٩) إنه كان أكبر من أخيه الإمام زين العابدين عليهما السلام .

١٠) إنه كان متزوجاً من أم ولد كما أكد ذلك الإمام جعفر الصادق وكذلك الإمام علي ابن موسى الرضا عليهما السلام ؛ وله عِترة طاهرة .

١١) إنَّ ثأره لم يدرك شأنهُ شأنُ جده وأبيه (عليهم السلام) .

١٢) سماه الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف بـ علي الكبير.

١٣) تعد زياراته من مكملات زيارات الإمام الحُسين (عليه السلام) .

١٤) له زيارات عديدة وفي مناسبات مختلفة ، على عدد زيارات أبيه الإمام الحُسين (عليه السلام) .

١٥) يجب أداء صلاة الزيارة خاصة له ؛ عند قبره الشريف شأنه شأن الأئمة المعصومين .

١٦) ورث صفاته الأخلاقية والخُلقية من أصحاب الكساء .

١٧) كان من رواة الحديث الشريف ، فقد روى عن جده أمير المؤمنين وعمه الحسن ، وأبيه الحسين عيهم السلام ، فضلاً عمّا رواه عن السيدة عائشة ، وغيرها من الصحابة الكرام .

١٨) كان من أجواد بني هاشم ، إذ كان له مضيف خاص ؛ وعلم توقد عليه النار ليلاً ليهتدي إليه الضيوف والطارقين ليلا وعابري السبيل وغيرهم .

وفي الختام أقول : إنَّ علياً الأكبر هو القدوة المثالية لمن أراد من الشباب الإقتداء والإمساك بالعِروة الوثقى للدين الإسلامي الحنيف وفق المعايير الصحيحة ، وأقول ثانية : هذا قدر وسعي واستطاعتي ، فإنْ أصبتُ فيما كتبتُ ، فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب ، فحسبي أني اجتهدت ؛ ولكل مجتهد نصيب ؛ والحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ورحمة الله وبركاته .

الهوامش :

١- - معالي السبطين : ٣٧٠

٢- - مثير الأحزان : ١٠٢

٣- - نقد المحصل : ١٧٩

٤- معالي السبطين : ٣٧٠

٥- مقاتل الطالبيين : ٨٧

٦- معالي السبطين : ٣٧٠

٧- مناقب ال ابي طالب : ٣ / ٢٥٧

٨- الإصابة في تمييز الصحابة : ٤١٢/٣ ، المعارف : ٩٣

٩- سورة الزخرف ، الآية : ٣١

١٠- نفس المهموم : ٢٧٨ ؛ ومعالي السبطين : ٣٦٧

١١- الإصابة : ١٧٨/٤ ، الروض الأنف : ٢/ ٣٢٦

١٢- الإصابة : ٤/ ١٣٠

١٣- الإصابة : ٤/ ١٧٨

١٤- نافذة على التاريخ : ٦ / ١٩٥ - ١٩٦

١٥- نافذة على التاريخ : ٦ / ١٩٩

١٦- نسب قريش : ٥٩

١٧- معالي السبطين : ٣٦٧

١٨- مقاتل الطالبيين : ٨٦ ، كامل الزيارات : ٢٤٠

١٩- معالي السبطين : ٣٦٧

٢٠- نسب قريش : ٥٩

٢١- كامل الزيارات : ٢٤٠

٢٢- الكافي بهامش مرآة العقول : ٤٦٥/٤

٢٣- الكافي : ٤/ ٤٦٥

٢٤- كامل الزيارات : ٢٣٩

٢٥- البداية والنهاية : ٩/ ١٠٣ ، حياة الحيوان ، مادة : بغل ، نسب قريش : ٥٨

٢٦- الإمام الحسين وأصحابه : ٣ / ١٦٨ ؛ ٣ / ٣٤٦

٢٧- المعارف : ٩٣-٩٤ ، الروض الأنف : ٢/ ٣٢٦ ، تذكرة الخواص : ١٥٦ ، وغيرها كثير لم أذكرها لكي لا أثقل الهامش .

٢٨- لبيك يا حسين - زيارة الناحية : ١٣٢المصادر والمراجع

٢٩- معالي السبطين : ٣٦٩

٣٠- معالي السبطين : ٣٦٩

٣١- المناقب : ٢/ ١١٢

٣٢- الخصال : ٣٩/١

٣٣- المستدرك على الصحيحين : ٣/ ٢١١

٣٤- اللهوف : ٧١

٣٥- مقاتل الطالبيين : ٨٦-٨٧

٣٦- معالي السبطين : ٣٦٨

٣٧- مقاتل الطالبيين : ٨٦

٣٨- علي الأكبر: ٦٤ ــ ٦٦

٣٩- مقاتل الطالبيين : ٨٧

٤٠- معالي السبطين : ٣٦٧

٤١- عمدة الطالب : ١٩٢

٤٢- المصدر نفسه : ١٩٣

٤٣- عمدة الطالب : ١٩٢

٤٤- الأخبار الطوال : ٣٨٦ ؛ وكذلك ينظر : ٣٨٢ ؛ وينظر تاريخ الطبري : ٤/ ٣٥٣ ؛ وقد توهم ابن نما حينما قال : عمر بن الحسن ؛ وأضاف فقال له : أتصارع ابني خالداً ؟ فقال : لا ؛ ولكن أعطني سكينا ؛ وأعطه سكينا ثم أقاتله ؛ فقال يزيد : ما تتركون عداوتنا صغاراً وكباراً ثم قال :

شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحية إلا حية : مثير الأحزان : ١٥٤ ــ ١٥٥

٤٥- معالي السبطين : ٤١٤

٤٦- نسب قريش : ٥٩ ؛ عمدة الطالب : هامش مخطوطة عمدة الطالب : ١٩٢ ، معالي السبطين : ٣٦٧ ؛ الإمام الحسين وأصحابه : ٣٩/٣

٤٧- عمدة الطالب : هامش مخطوطة عمدة الطالب : ١٩٢

٤٨- معالي السبطين : ٦٢٠

٤٩- معالي السبطين : ٣٦٦ ؛ ٦٢٠

٥٠- معالي السبطين : ٣٧٣

٥١- معالي السبطين : ٣٨٧ نقلا عن كتاب الأسرار : ٧٧٢/٢

٥٢- معالي السبطين : ٣٨٧

٥٣- الإمام الحسين واصحابه : ٢ / ١٥٥

٥٤- الإمام الحسين وأصحابه : ٢ / ٧

٥٥- انا زرته ورأيت قبره الشريف بأم عيني في حلب في سوريا .

٥٦- اللهوف : ٧١

٥٧- اللهوف : ٧١

٥٨- تاريخ الطبري : ٢٣١/٦

٥٩- اللهوف : ٥٦

٦٠- علي الأكبر : ٩٩

٦١- اللهوف : ٥٦

٦٢- علي الأكبر : ١٧

٦٣- علي الأكبر : ١٠١

٦٤- نساء حول لحسين : ٦٩

٦٥- أصحاب الحسين : ٢ / ١٧٣

٦٦- المصدر السابق نفسه : ٢ / ١٧٣

٦٧- المصدر السابق نفسه : ٢ / ١٧٣

٦٨- الإمام الحسين وأصحابه : ١٧٢/٢ وينظر اللهوف : ٧١ برواية مختصرة .

٦٩- الإمام الحسين وأصحابه : ٢ / ١٧٢ ؛ وينظر اللهوف : ٧١ برواية مختصرة.

٧٠- نساء حول الحسين : ٦٩

٧١- معالي السبطين : ٣٧٧

٧٢- معالي السبطين : ٣٧٧

٧٣- علي الأكبر : ١١٣

٧٤- مناقب ال أبي طالب : ٤ / ١٢٢

٧٥- سفينة البحار : ٢ / ٣٨٧

٧٦- مثير الأحزان : ١٠٣

٧٧- اللهوف : ٧٨

٧٨- تاريخ الطبري : ٦/ ٢٥٦

٧٩- معالي السبطين : ٣٧٧

٨٠- نساء حول الحسين : ٧٠

٨١- نساء حول الحسين : ٧٠

٨٢- معالي السبطين : ٣٧٦

٨٣- روضة الصفا والبحار : ٤٥/ ٤٤

٨٤- معالي السبطين : ٣٧٢

٨٥- معالي السبطين : ٣٧٣معالي السبطين : ٣٧٧- ٣٧٨

٨٦- معالي السبطين : ٣٧٣

٨٧- معالي السبطين : ٣٧٦

٨٨- معالي السبطين : ٣٧٩

٨٩- معالي السبطين : ٣٨٢

٩٠- مقتل الحسين ملحمة شعرية : ١١٨

٩١- مفاتيح الجنان : ٥٢٥

٩٢- شعراء عبدالقيس وشعرهم : ١١٨ ؛ وينظر تاريخ الطبري : ٤٣٣/٥

٩٣- تاريخ الطبري : ٢٣١/٦ ، علي الأكبر بن الإمام الحسين : ١٧ـ١٨

٩٤- سورة آل ياسين ، الآية : ٣١

٩٥- مزار البحار : ١٧٣

٩٦- اللهوف : ١٣٥

٩٧- قصص الأنبياء : ٢٠٠

٩٨- مزار البحار : ١٦٥ ، نقلا عن السيد عبدالرزاق المقرم

٩٩- مزار البحار : ١٦٩ نقلا عن السيد عبدالرزاق المقرم

١٠٠- مزار البحار : ١٨٠ ، نقلا عن السيد عبدالرزاق المقرم

١٠١- مفاتيح الجنان : ٥٣١ـ٥٣٢

١٠٢- مفاتيح الجنان : ٥٣٦

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .

- الأخبار الطوال – للعلامة أبي حنيفة أحمد بن داوُد الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ ؛ قدم له ووثق نصوصه ووضع حواشيه الدكتور عصام محمد الحاج علي ؛ منشورات محمد علي بيضون ؛ دار الكتب العلمية ؛ ط ٢ ؛ بيروت – لبنان ؛ (د.ت).

- الإصابة في تمييز الصحابة - محمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ) تحقيق ولي عارف ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٢٣هـ .

- الإمام الحسين وأصحابه – تأليف العلامة الشيخ فضل علي القزويني (ت١٣٦٧ه) ؛ تنظيم وتحقيق السيد أحمد الحسيني ؛ ط ١ ؛ ١٤٣٧ه – ٢٠١٥م ؛ كربلاء المقدسة.

- البداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٥١هـ .

- تذكرة الخواص من الأمة في خصائص الأئمة -عبدالله البغدادي المعروف بسبط ابن الجوزي الحنبلي ثم الحنفي نزيل دمشق (ت ٦٥٤هـ) طبعة بيروت ، ١٤٠١هـ .

- تاريخ الطبري - محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، ١٤١٢هـ .

- حياة الحيوان - محمد بن موسى الدميري (ت٨٠٨هـ) ، طبعة الرباط بالمغرب الأقصى ، ١٤٠٣هـ .

- الخصال - أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) ، (د.ت) .

- الروض الأنف - أحمد بن علي السهيلي (ت٨٥١هـ) تحقيق عبدالرحمن الوكيل ، طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة بمصر ، ١٣٩١هـ .

- شعراء عبدالقيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي - جمع وتحقيق د.عبدالحميد المعيني ؛ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ؛ ٢٠٠٢م ؛ الكويت .

- علي الأكبر - السيد عبدالرزاق المقرم ، المكتبة الحيدرية ، قم ، ايران ، (د.ت) .

- علي الأكبر بن الإمام الحسين (ع) - علي محمد علي دخيل ، مؤسسة أهل البيت (ع) ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م .

- قصص الأنبياء – تأليف الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) حققه علي عبدالحميد أبو الخير ومحمد وهبي سليمان ومعروف مصطفى زريق ؛ دار الخير ؛ ط ١١ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٩٣م ؛ بيروت .

- الكافي (بهامش مرآة العقول)- محمد بن يعقوب الكُليني الرازي (ت٣٢٩هـ) ، تحقيق علي أكبر الغفاري ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٥١هـ .

- كامل الزيارات - ابن قولويه ، طبعة النجف الأشرف ، ١٣٥٦هـ .

- اللهوف في قتلى الطفوف ـ السيد ابن طاووس ، مؤسسة الفار الثقافية ، قم ، ط١ ، ٢٠٠٣هـ .

- لبيك يا حسين : زيارات وأدعية الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام ؛ لبنان ؛ بيروت ؛ (د . ت) .

- مثير الأحزان – لنجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلي (٦٤٥هـ) ؛ مكتبة كرار السعدي ؛ سوق الحويش ؛ ط ١ ؛ العراق ؛ النجف الأشرف ؛ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٤م .

- معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين – للشيخ محمد مهدي الحائري ؛ المازندراني قدس سره ؛ مؤسسة البلاغ ؛ الطبعة الأولى ؛ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م ؛ بيروت ؛ لبنان .

- المستدرك على الصحيحين - عبدالكريم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

- المعارف - محمد بن قتيبة (ت١٧٦هـ) ، تحقيق وتقديم ثروت عكاشة ، منشورات الشريف الرضي ، ط١ ، مصر ، ١٤١٥هـ .

- مفاتيح الجنان - الحاج عباس القمي ، منشورات لقاء ، ط١ ، قم ، إيران ، ١٤٢٤هـ.

- مقاتل الطالبيين - أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط١ ، ايران ، ١٤٢٠هـ .

- نساء حول الحسين – سعيد رشيد زميزم ، مراجعة وتحقيق الشيخ محمد صادق تاج ، دار الجوادين ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م ، بيروت – لبنان .

- نسب قريش - أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (ت٢٣٦هـ) ، حققه إ.ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ، ١٩٨٢م .

- نقد المحصل – للخواجة نصير الدين الطوسي ؛ طبعة مصر ؛ (د . ت) .

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهـــــداء	٣
المقدمـــــة	٥
الفصل الأول : خطبةُ الوداع امتدادٌ طبيعي للقرآن الكريم	٧
الفصل الثاني :الإمامُ علي بن أبي طالب (عليه السلام) مبتكرُ علم النحو والنقد	٣١
الفصل الثالث : الشعرُ شاهدُ صدقٍ عن بيعة الغدير	٥١
الفصل الرابع : السيدةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام) : سيرتها وألقابها وكناها	٧٥
الفصل الخامس : السيدةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعضلة فدك	١٠٥
الفصل السادس : أثرُ القرآن الكريم في النص الخطابي للإمام الحسن (عليه السلام	١٢٥
الفصل السابع : صلحُ الإمام الحسن (عليه السلام) : أسبابه ومبرراته ونتائجه	١٤٥
الفصل الثامن : عليُ الأكبر بن الإمام الحُسين (عليهما السلام) : قدوة مثالية للشباب المسلم	١٦٩
الخاتمة	٢٠٥

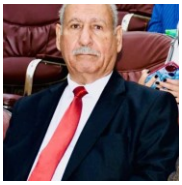

المؤلف في سطور

*- أ . د . المتمرس عبداللطيف حمودي الطائي

*- مواليد ١٩٤٩م – بعقوبة / محافظة ديالى

*- حاصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة المستنصرية سنة ١٩٩٥م

*- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق من منذ سنة ٢٠٠٣م

الكتب المنشورة

-شعر عمرو بن قميئة – دراسة فنية تحليلية ، ٢٠٠٢م

-اشكالية الرواية والرواة في الشعر العربي قبل الإسلام ، ط١، ٢٠٠٨م

-الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مرشداً وواعظاً ٢٠٠٩م

-قبيلة ضبّة : أخبارها وأشعارها في الجاهلية وصدر الإسلام ط ١ ٢٠٠٩م

-مساكن قبيلة طيّئ وعشائرها وديانتها قبل الإسلام ، ٢٠١٠م

-حمّاد الراوية كبير رواة الشعر العربي المُفترى عليه ، ٢٠١٠م

-علي الأكبر بن الإمام الحسين (عليهما السلام) قدوة مثالية للشباب المسلم ، ثلاث طبعات : ٢٠١٣ – ٢٠١٦ – ٢٠٢٠

-ديوان عدي بن حاتم الطائي مع سيرة حياته في الجاهلية والإسلام ، ط ١، ٢٠١٠م

-ديوان عدي بن حاتم الطائي مع سيرة حياته في الجاهلية والإسلام ، ط ٢ ، ٢٠١٣م

-ديوان عدي بن حاتم الطائي مع سيرة حياته في الجاهلية والإسلام ، طبعة جديدة ، ٢٠٢٢م

-خلف الأحمر كبير رواة البصرة المُفترى عليه ، ٢٠١٣م

-اشكالية الرواية والرواة في الشعر العربي قبل الإسلام ، ط ٢ ، ٢٠١٦م

-الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) خطيباً مفوهاً ، ط ١ ، ٢٠٢١م

-الشعراء الفرسان – قبائلهم وأخبارهم وسيرهم وما بقي من شعرهم ، ٢٠٢٢م

-مباحث قرآنية ، ٢٠٢٣م

-شعر قيس بن زهير العبسي ، ٢٠٢٣م

-الشعر ديوان علم العرب – مباحث تراثية ، ٢٠٢٣م

-الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) خطيباً مفوها ، ط ٢ ، ٢٠٢٣م